

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الحاج لخضر
- ب - - اتنة -

التفكيـــــــــــــــــر البلاغي عند الزركشي
من خلال كتابة البرهان في علوم القرآن

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في اللغة والآداب
تخصص النقد العربي القديم

إشراف الأستاذ الدكتور:
كمـال عجالـي

إعداد الطالب:
عمر بن طرية

لجنة المناقشة:

د/الـعـزـيـي دـو	رئـيسـا	جامعـة باتنـة
أ/د/كمـال عـجـالـي	مشرفا ومقررا	جامعـة باتنـة
د/عبد الحميد بن سخرية	عـضـو مناقشـا	جامعـة باتنـة
د/أحمـم دبلـخـزـر	عـضـو مناقشـا	جامعـة ورقـلة
د/عـبـاس بن يـحـي	عـضـو مناقشـا	جامعـة المسيلـة
د/العـلمـي مـكـي	عـضـو مناقشـا	جامعـة أم البواقي

السنة الجامعية:

1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الحاج لخضر
ب- باتنة -

التفكيـــــــــــــر البلاغي عند الزركشي
من خلال كتابة البرهان في علوم القرآن

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في اللغة والآداب
تخصص النقد العربي القديم

إشراف الأستاذ الدكتور:
كمـال عجالـي

إعداد الطالب:
عمر بن طرية

لجنة المناقشة:

د/الـعـرـبـي دحـو	رئـيسـا	جامعـة باتنـة
أ/د/كمـال عـجـالـي	مشرفا ومقررا	جامعـة باتنـة
د/عبد الحميد بن سخرية	عـضـو و مناقشـا	جامعـة باتنـة
د/أحـمـد بـلـخـضـر	عـضـو و مناقشـا	جامعـة ورقـلة
د/عـبـاس بن يـحـي	عـضـو و مناقشـا	جامعـة المسيلـة
د/العـلمـي مـكـي	عـضـو و مناقشـا	جامعـة أم البواقي

السنة الجامعية:

1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم ا الرحمن الرحيم

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُمْ بَعْدَهُ سَبْعُهُ

أَبْحُرٍ مَا نَفَذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

لقمان (27)

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

الأحزاب (56)



الإهداء

من كان رمزا للخير والفضيلة والمروءة إلى من علمني فقه الحياة إلى
وغرس في حب الناس، وحب العلم والمعرفة .

والدي رحمه ا

إلى سويداء قلبي وروحي وجسدي رمز الصبر والتضحية

والدتي الكريمة أمدا في عمرها

إلى ريحانة فؤادي رمز المودة والوفاء والبلسم والدواء

زوجتي الفاضلة

إلى من نقشت حبا في فؤادي لهم، شموع حياتي ضياء دربي

أبنائي الأحبة :إبتهاال / بسام / جواهر / غسان

فلولا سماحة تنازلهم عن كثير من حقوقهم ما استطعت إنجاز هذا البحث

إلى إخوتي الكرام لهم مني جزيل الشكر، وبالف الاحترام

إلى كل من علمني حرفا ،ودلني على الخير...

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع عربون محبة ووفاء

عمر بن طرية



شكر و تقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من علمني حرفا فصرت له عبدا من الكتاب إلى الجامعة .
كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من مد لي يد العون من أجل إنجاز هذا البحث من
قريب أو بعيد .

وشكري العميم إلى القيمين على مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر باتنة ،
وكذا القيمين على مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها جامعة قاصدي مرباح ورقلة .
وموفور الشكر إلى أستاذي الفاضل ؛ الأستاذ الدكتور : كمال عجالي على الجهود الجبارة
التي بذلها معي طوال فترة إعداد هذا البحث ، وعلى توجيهاته ، وإرشاداته ، ونصائحه
القيمة التي أسداها لي ، وكانت أيادي بيضاء على هذا البحث ، وهو في كل ذلك آخذ
بيدي إلى بر الأمان ، إذ لم يبخل علي بعلمه الغزير ، وتواضعه الأشم ، ووقته الثمين ، ومد
يد العون .

فله مني كل التقدير والامتنان ، راجيا من المولى عز وجل أن يجعل ثواب ذلك في ميزان
حسناته .

وأن يجعله منارة لطلاب العلم ، وذخرا للإسلام والمسلمين .

المختصرات

ب ط : بدون طبع

ت : توفي

تح : تحقيق

تر : ترجمة

ج : جزء

د ت : دون تاريخ

د ق : دون تحقيق

د ن : دون ناشر

م : ميلا دي

ص : صفحة

مج : مجلد

هـ : هجري

(لو لم يكن لبشر الدين الذر كشئ

غير كتاب

” البرهان في علوم القرآن ”

الحفاه

حيما يقتل المكافحة التي شغلها وسما

منظومة علماء المسلمين ”

الدكتور خالد ابراهيم المحجوبي

عن مجلة الكلمة الطيبة 5 اكتوبر 2004.

مقدمة

مقدمة :

الحمد الذي خلق الإنسان ، وعلمه البيان ، وفضله على كثير ممن خلق بنعمته-ي العقل واللسان ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، وصل اللهم على أفضل الخلق سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم تسليما.

وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب معجز ، ورسالة خاتمة للناس كافة ، جاء ليدل على صدق نبوة سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم وصحة رسالته.

هذا الكتاب الخاتم أبهر العلماء ، وأخذ بمجامع قلوبهم ، ودفع بهم إل-ى الانكباب عل-ى دراسته في محاولة للكشف عن مكنون إعجازه ، وبداع أسلوبه ، وجمال تأليفه، وروعة نظمه ، وإماطة اللثام عن جمالياته التي لا طاقة للبشر أن يأتوا بمثله ، فهو كلام ا الذي لا تنقضي غرائبه ، ولا تنتهي عجائبه ، ولا يصل المرء إلى سبر أغ-واره ، ومعرفة أسرارهِ ، مالم يتدبره حق التدبر ، ويتأمله حق التأمل ، ومن ثم فالواقف وقف-ة المتأمل-ل المتريث المتسلح بزداد المعرفة المتشرب بالتقوى ، يمكنه استخراج بعض م-ن اللاك-ئ والدرر من عباب بحاره ، فضلاعن تفردهِ وإعجازه.

ولا شك أن التفكير البلاغي عند العرب ارتبط أساسا بالتفكير الديني الأخلاقي ، فالبلاغة العربية ترعرعت في رحاب الدراسات الدينية وسارت جنبا إلى جنب مع البحوث القرآنية التي كانت ربيبته من حيث الاهتمام بالنص القرآني . ومن ثم فلا جدال ف-ي أن الق-رآن يتسزم هرم البيان العربي ، وهو كتاب العربية الأسمى ، وناموسها الأعلى ، وحامي حمى لغتها من الدرس والتلاشي على مر الأزمنة والحقب ، يقف كالطود الأشم متحديا فطاحلة البيان ، وجهابذة اللغة ، وأساطين العلم ، ومصاقع الخطباء على أن يأتوا بمثله ، فبهرهم وخاب ألبابهم ، وأذهب بريق فصاحتهم، وأزال نصاعة بلاغتهم ، وأبلى جزالة أسلوبهم .

ويعد إعجازه البياني ينبوعاً متدفقاً فياضاً بالجمال و الفن ، كما أن ارتقاءه البلاغي عـن لكل ذي بصر ، وسطع كالشمس في كبد السماء ، فغدا حقيقة ناصعة نمت على مـدى تفوقه في فن القول ، وجعل العرب تقف حيرى أمام إعجازه وبلاغته وبيانه . فلاغرو إذا ما وجدنا كثيراً من الدارسين والباحثين بحثوا وتعمقوا في أسرار القرآن الكريم من زوايا ومناحي عديدة ومختلفة.

ولعل الإمام الزركشي واحد من العلماء الأفاضل تناولوا القرآن العظيم بالبحث والدراسة وعن ذلك في سفره النفيس : البرهان في علوم القرآن "

الذي يعد من خيرة ما ألف و خاف ، فهو موسوعة إسلامية جامعة لعلوم شتى، وهو من أنفـس كتبه سموا ورفعة ، كثر غراسه ، وجنى حصاده.

سلخ فيه عمره ، فجمع فأوعى ، فجاء بحمد الله ، نعم البـستان الحافـل بخير الثـمار والأزهار ، يزود من يصاحبه بخير الزاد.

ولعل من أبرز العلوم التي عالجها الزركشي في برهانه علم البلاغة ؛ لأنه وثيق الصلة بالإعجاز القرآني وفصاحته ، فهو كتاب العربية الأكبر ، ومعجزتها الباقية إلى قيام الساعة.

وقد هداني الله تعالى إلى انتقاء هذا الموضوع ، والذي يتناول التفكير البلاغي لدى الزركشي من خلال برهانه ، والإشكالية التي يطرحها البحث تتمثل في :

"اتخاذ الزركشي المصطلحات البلاغية مطية لإبراز واستكناه مكامن الجمال في النص القرآني ، والكشف من خلالها عن التجليات الجمالية للتعبير القرآنية ، وإيضاح روعة الأسلوب في الخطاب القرآني وإبراز وجوه الإعجاز فيه.

ومن هنا كان موضوع بحثي هو :

التفكير البلاغي عند الزركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن "

أما عن الدوافع التي حملتني على اختيار هذا الموضوع يمكن حوصلتها فيما يلي :

أولا :

إبراز شخصية الزركشي كعلم من أعلام البلاغة المغمورين في هذا الجانب على الرغم من إسهامه في إثراء مباحث الدرس البلاغي .

ثانيا :

كتابه البرهان في علوم القرآن الذي يعد من أمهات المصادر التي تناولت البلاغة العربية تناولاً أدبياً وذوقياً على الرغم من أنه ظهر في حفة متأخرة .

ثالثا :

توظيف المصطلح البلاغي توظيفا جماليا خدمة للإعجاز القرآني.
هذه الدوافع وغيرها كان من شأنها أن تولد في الحافز للكتابة في هذا الموضوع ، والإبانة عن أهميته وقيمه في الدراسة النقدية والبلاغية والأدبية.
- الوقوف على كبريات قضايا التفكير البلاغي عند الزركشي وعلاقتها بجماليات القرآن الكريم .

- الوقوف على طريقته في توظيف المصطلح البلاغي ، والغاية التي يسعى إليها - من خلال ذلك.

- إبراز قيمة الفكر البلاغي ، وإيضاح دورها في مسألة الإعجاز القرآني.
- إبراز القيمة الجمالية والبلاغية والنقدية لكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي على الرغم من أنه عرف ككتاب في علوم القرآن ، ولم يعرف ككتاب يتناول البلاغة والنقد.
- الوقوف على منهجه في التأليف عامة ، وفي تناول الدرس البلاغي خاصة ، وتبيين أن قيمة آرائه البلاغية ، وإضافاته للدرس البلاغي والنقدي .
ولتحقيق هذه الأهداف المرسومة سلفا قسمت البحث إلى :
تمهيد وستة فصول ، ينضاف إليها مقدمة وخاتمة.

أما التمهيد :

فخصصته حديثاً موجزاً عن البلاغة قبل الزركشي ، فتناولت البلاغة والنقد قبل ذلك - زول القرآن ، ثم أشرت إلى أثر القرآن في البلاغة ، كما وضحت العلاقة بين النقد والبلاغة ، وعرجت على أبرز أعلام البلاغة فأوضحت في إيجاز دورهم وإسهاماتهم في تطوّر معالم الدرس البلاغي .

وجعلت الفصل الأول :

محطة للتعريف بالزركشي ، واقفاً عند أبرز المعالم التي شكلت شخصيته العلمية ، ثم انتقلت إلى المدونة ، مدونة البحث "البرهان في علوم القرآن" فقدّمت تعريفاً به - أبرزت منهجه ، ومضمونه ، والغاية من تأليفه .

وخصصت الفصل الثاني :

لمباحث علم المعاني عند الزركشي ، فأبرزت جهوده من خلال حديثه عن أقسام معاني الكلام في الخبر والإنشاء ، والتقديم والتأخير ، واقفاً عند بعض ما اصطلح عليه أساليب القرآن وفنونه البليغة ، وإن كانت متداخلة مع بعض قضايا البديع .

وخصصت الفصل الثالث :

لمباحث علم البيان ، فأبرزت التشبيه وقضاياها ، والمجاز في القرآن وخصائصه الفنية والخلاف الواقع بين العلماء في نفيه ، أو إثباته ، ثم عرجت على الاستعارة وجمالياتها - وأنهيته بالحديث عن الكناية وأسبابها والتعريض ، والتلويح ، والتوجيه .

أما الفصل الرابع :

فقد أبرزت جهود الزركشي في البديع ممثلاً في التورية ، والطباق ، والمقابلة والتجنيس والاستطراد ، والالتفات ... وغيرها.

أما الفصل الخامس :

فقد تناولت من خلاله قضية الأسجاع والفواصل في القرآن ، مبينا بعضا من آراء العلماء في هذه القضية وفحوى الخلاف الواقع بينهما في مسألة وقوع السجع في القرآن ، أو نفيه مبرزاً رأي الزركشي في ذلك . موضحة الفاصلة ، وجمالها ، وفوائدها.

والفصل السادس :

تناولت فيه كبريات القضايا القرآنية ممثلة في قضية الإعجاز ، واقفاً عند أهم آراء العلماء في تحديدهم لوجوه الإعجاز القرآني ، ثم إيضاح رأي الزركشي في المسألة . كما أبرزت من خلاله سمات التفكير البلاغي عند الزركشي ممثلة في : الموسوعية / العمق والشمولية / الموضوعية / الأمانة / النقد . ذوق الأدبي - الفني / المصطلح البلاغي وسيلة لإبراز جماليات القرآن .

أما الخاتمة :

فحوصلت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

منهج البحث :

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي في التعريف بالزركشي وعصره وآثاره وبيئته . وكذا تتبع القضايا البلاغية التي تعرض لها . ودراسة نقدية تعالج كل قضية علاجاً نقدياً ، وأخرى فنية تدرس قيمة المصطلحات البلاغية ، وتبين مدى إسهامها في الكشف عن جمال آي الذكر الحكيم ، والإبانة عن وجوه إعجازه وبيانها . كما تجلي مواطن التقليد والتجديد لدى الزركشي وتبيان مواقفه وآرائه .

الدراسات السابقة :

يكاد المتأمل في الدراسات التي كتبت حول كتاب " البرهان في علوم القرآن " من الوجهة البلاغية يلاحظ - في حدود علمنا - شحاً وقلّة في هذا المجال ، باستثناء ما كتبه بعض الباحثين والدارسين نذكر منهم : محمد حمدي بركات في مبحث الكناية عند الزركشي في كتابه : " فصول في البلاغة " حيث ألفيناه قد تطرق إلى زاوية من الزوايا البلاغية لدى

الزركشي ، والمتمثلة في الكناية وأسبابها، كما أشار ويلجاز إلى الغاية التي توخاها الزركشي من استخدام المصطلح البلاغي في كتابه البرهان ، والتي تبين في تبين الإعجاز القرآني والكشف عن جماليته وبيانه.

وبحث عبد الحميد أحمد محمد علي مباحث التشبيه عند الزركشي من خلال كتابه "مباحث التشبيه عند الإمام بدر الدين الزركشي".

هذه المباحث وغيرها اقتصرنا على دراسة بعض الجزئيات المتعلقة بهذا السفر النفيس ، ولم نتناوله بدراسة شاملة متخصصة تسفر عن القيمة البلاغية لهذا الكتاب "وتكشف عن قضايا التفكير البلاغي التي عرض إليها الزركشي .وأشرنا إلى هذه الدراسات القليلة والجزئية من باب الإفراز بجهود الآخرين ، والاعتراف بفضلهم.

المصادر والمراجع :

أما عن المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث ، فكانت متنوعة تنوع فـضايـا البـحـث وتوزعت على الشاكلة الآتية:

1- كتب الطبقات والتراجم .

2- كتب علوم القرآن.

3- كتب النقد والبلاغة .

1- كتب الطبقات والتراجم :

استفاد منها البحث أيما استفادة في تراجم الأعلام وأخبارهم ومواقفهم نذكر منها :

- ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

- ابن خلكان ، وفيات الأعيان.

- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء.

- ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب

2- كتب علوم القرآن

- الباقلائي ، إعجاز القرآن.

- عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن.

- محمد علي الصابوني ، التبيان في علوم القرآن.

3- كتب النقد والبلاغة

كان لها دور كبير في إماطة اللثام عن كثير من القضايا النقدية ، والبلاغية المهمة التي تعرض إليها الزركشي في سفره البرهان في علم القرآن (كالتشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية والتعريض)

وكذا الآراء النقدية التي أثارت حول هذه القضايا ، نذكر منها:

- د.بدوي طبلانة ، البيان العربي
 - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري.
 - د. إدريس الناقوري ، المصطلح النقدي في نقد الشعر.
 - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء .
 - يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.
 - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة.
- هذه المراجع والمصادر كان لها أثر واضح في توجيهه - ذا البحث - ، ورسمة معالمه الأساسية ، والمضي قدما إلى الغاية المسطرة ، بالإضافة إلى مراجع أخرى أفاد منها - الباحث - ولم تكن أول شأننا من تلك التي سبق ذكرها ، بل جميع المراجع والمصادر كانت لها آثار طيبة على هذا البحث ، وكل منها أنار جانبا منه ، ووضع لبنة لبناء صرحه.
- ولم أكتف بالمصادر والمراجع التي كانت عمدة لهذا البحث ، عن الاستئثار بأراء الأساتذة الأفاضل ، والاستزادة من توجيهاتهم القيمة ، استشارة ومراجعة.

أما فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهت البحث ، فهي كثيرة ، ولعل - ل م - ن أ ب - ر ز ه - ذه الصعوبات : - شح الدراسات المتخصصة حول الزركشي في المجال البلاغي .
- ومن الصعوبات أيضا ، حجم المدونة التي اشتغل عليها البحث لاتسعف على - ي الإلمام والإحاطة بكل شاردة وواردة ، لأنها مدونة تقع في أربعة مجلدات .
من الصعوبات أيضا ، تشعب وتنوع القضايا ، وتفرع فروعها ، بين اللغة ، والنقد والبلاغة ، وما إلى ذلك .

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى - ي ك - ل م - ن ساعدني على إنجاز هذا البحث من قريب ، أو من بعيد خلاصا بـ ذلك أسـ تاذي المـ وقر الأستاذ الدكتور "كمال عجالي " شكرا عجز منطقي عن الإبانة عنه ، أو تعديـ د بواعثـ ه فقد غمرني بفضلـه ودمائـة خلقـه ، وأحاطني برعايته وعلمـه وتوجيهـه في حـ ب ونزاهـة وموضوعية يعز على طالبها في هذه الأيام ، حتى استقام البحث على سوقه ، وكادت كل فكرة طيبة فيه تنطق باسمه ، وتلهج بالثناء عليه ، فله مني كل التقدير والعرفان وأرجـ و من ا أن يجعل كل ذلك في ميزان حسناته ، ويجزيه خير ر م - ا يجـ زي بـ ه العلمـاء المخلصين العاملين .

وا يعلم أنني بذلت مافي وسعي ، ولم أدخر جهدا في هذا البحث ، فإن وفقت فـ م - ن ا وفصله ، وإن تكن الأخرى فمن نفسي ، فحسبي أنني بذلت الجهد ، وحاولت الإخـ لاص في العمل ، ويممت شطر وجهي نحو الصواب .

و الحمد أولا و آخرا ، وهو الهادي إلى سواء السبيل

تمهيد

البلاغة قبل الزركشي

- البلاغة قبل نزول القرآن

- أثر القرآن في البلاغة

- النقد والبلاغة .

من جهود العلماء في تطور النقد والبلاغة

- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ -)

- الجاحظ : (ت 255 هـ -)

- المبرد (ت 285 هـ -)

- ابن المعتز (ت 296 هـ -)

- قدامة بن جعفر (ت 337 هـ -)

- القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366 هـ -)

- أبو الحسن الرماني (ت 384 هـ -)

- أبو هلال العسكري (ت 395 هـ -)

- عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ، أو 474 هـ -)

- الزمخشري (ت 538 هـ -)

- السكاكي (ت 626 هـ -)

- الخطيب القزويني (ت 739 هـ -)

- خلاصة

البلاغة قبل الزركشي

توطئة:

تشكل الدرس البلاغي من خلال تظافر تيارات ، ومذاهب ، ونظـرات كـثيـرة ومتعددة ، ومتباينة ، أسهمت في تطويره ، وازدهاره ، وبلورت أسسه ومعالمه ، وجعلت منه درسا مستويا على سوقه ، مكتمل الحلقات ، والكُلُّ قد أضاف لمسة وقعت منه حسنا وإذاك يقول عبد الواحد حسن الشيخ : "...فقد نشأ البحث البلاغي في بيئات مختلفة باختلاف نظرة كل بيئة والعلم الذي يسيطر عليهم ، إذا لونوا البلاغة بألوانهم المتعددة الأدبية ، أو العلمية ، أو اللغوية ، أو الفلسفية المنطقية الكلامية ، وغير ذلك من مشارب متفاوتة في البيئة الإسلامية الفنية الجديدة"¹

وإذاك ألفينا البلاغة العربية استجابت لهذا التلوين ، والتزركش ، فتعددت مشاربها ، وتميزت وجهات النظر والرؤى في مباحثها وقضاياها .
ومن هنا سنتناول الدرس البلاغي في مسيرته من العصر الجاهلي إلى زمن الزركشي ، وسمة هذا التناول ستكون بإيجاز محاولين الوقوف عند أهم كبريات المحطات التي مر بها الدرس البلاغي .

أولا : البلاغة والنقد قبل نزول القرآن:

عرف العرب في الجاهلية بفصاحتهم ، وقوة بيانهم ، وكان ذلك دأبهم ودينهم وشهد لهم الداني والقلصي بالنبوغ في أفانين القول ، وضروب الكلام ، كما عرف العرب بتميزهم في قرض الشعر حتى صاروا مضرب الأمثال .

¹ - د. عبد الواحد حسن الشيخ ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية ، 1986م (د ط) ، ص 6

والعرب أمة ديوانها الشعر ، وكان عنوان التفوق والتميز ، حتى قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"¹
كما برز فيها خطباء مصافح ، وقصاص لامعين ، كان لهم الأثر البين في شبه الجزيرة العربية.

وكانت الأسواق في الجاهلية مسرحا للشعر ، وموئلا للشعراء ، ومن أشهر هذه الأسواق ، سوق عكاظ التي كانت حلبة للشعراء يأتون إليها في موسم الحج من كل حذب ومصوب ، يلقون أشعارهم على نقاد كبار كان لهم دراية ومعرفة بالغين بكلام العرب ، ولغتهم ، وأساليبهم.

فالروايات والأخبار تروي أن زياد بن معاوية الملقب بالنابعة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء من آدم (جلد) في سوق عكاظ ، ويأتيه الشعراء ، فيعرضون عليه أشعارهم ، ويتحالمون إليه ، فيجيد المجيد ، ويستهن الرديء ، متكئا في كل ذلك على ذوقه وثقافته الواسعة .

وبعد ذلك فمن نوه به طارت شهرته تجوب الآفاق ، وسارت الركبان بشعره يقول شوقي ضيف - رحمه الله - " ففي أخبار النابعة الذبياني أن الشعراء الناشئين كانوا يحتكمون فيها إليه ، فمن نوه به طارت شهرته في الآفاق"²
وخلال تلك التحكمات النقدية - إن جاز هذا التعبير - تلوح ملاحظات نقدية كثيرة ، منها ما يتعلق بالألفاظ ، ومنها ما يمس المعاني ، ومنها ما يتعرض إلى صورته البيانية ، وغيرها.

1 - عيسى علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1997 م ، ص 56

2 - د - شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط 6 ، د ت ، ص 11

ومن أشهر هذه التحكمات النقدية ، حكومة النابغة على شعر الأعشى والخنساء وحسان بن ثابت ، والتي حكم فيها للأعشى والخنساء ، واستهجن قصيدة حسان وتروي الأخبار أن النابغة فضل الأعشى على حسان بن ثابت ، وفضل الخنساء على بنات جنسها. وثار حسان عليه ، وقال له : أنا وا أشعر منك ومنها ، فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟ قال : حيث أقول :

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي	*	وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق	*	فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : إنك لشاعر لولا أنك قلت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك ، وفي رواية أخرى :

فقال له : "إنك قلت : الجففات فقلت العدد ، و قلت يقطرن من نجدة دما ، فدلت على قلة القتل ، ولو قلت :يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان منكسرا منقطعاً"¹

فالبلاغة العربية - على عهد الجاهليين - لم تكن تعتمد على الذوق فحسب ، وإنما انكأت على الدربة والمران والمراس ، التجويد والتنقيح والتحكيك ، وتذكر كتب النقد والأخبار أن زهيراً كان ينقح ويحكك شعره حتى عرفت كبرى قصائده بالحوليات . يقول ابن قتيبة : "كان زهير يسمى كبرى قصائده الحوليات"². والخطيئة كان يقول : "خير الشعر الحولي المنقح المحكك"³.

¹ - الأصبهاني أبو الفرج ، الأغاني ، ط ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، (د ط) (د ت) ، ج 9 ، ص 340

² - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تح ، محمد محمود شاكر ، ط 3 ، القاهرة ، 1977 ، ص 84

³ - المصدر نفسه ، ص ن

فالقائلون : إن البلاغة العربية في العصر الجاهلي كانت تعتمد على الذوق الفطري المحض ، وأنها كانت في أغلبها لا تحتكم إلى أحكام معللة ، وأنها اتصفت بالسذاجة ، فهذا الرأي لا بد من إعادة النظر فيه ؛ لأن العرب في الجاهلية كانت تقاب الكلام على وجوهه ، وتختار الألفاظ ، وتنتقي العبارات ، وتنوع الأساليب ، " ومن ثم نستطيع أن نقول في اطمئنان : أن فصاحة العرب في الجاهلية لم تكن تعتمد على الموهبة والفطرة وحدها ، وإنما كانوا يعملون على صقلها بالممارسة والدراسة والتثقيع والتهذيب حتى تصل إلى ما وصلت إليه ، وهذا يتفق مع طبيعة أي فن من الفنون ¹ " أما فيما يتعلق بتلك الأحكام النقدية التي كانت تصدر عن النقاد من خلال تلك التحكيم وما اتسمت به من بساطة وإيجاز ، إلا أنها أسهمت في بناء روح البلاغة والنقد العربيين .

يقول عبد القادر حسين : " والاصطلاحات البلاغية أول ما نشأت لم تكن واضحة المعالم دقيقة التعريفات ، وإنما كانت مجرد ملاحظات عابرة يدركها العارفين بحكم ذوقهم وسليقتهم في التمييز بين الكلام البليغ ، وبين ما هو أقل درجة منه ، وبين ما هو عارض من سمة البلاغة ² " .

ومهما قيل عن تلك الأحكام النقدية التي أصدرها الشعراء والأدباء في محاكماتهم من حيث الوضع ، أو الاهتمام بالمعنى ، أو اللفظ ، أو الاتجاه إلى العروص فإنها تمثل الإرهاصات الأولى لنشأة البلاغة العربية ، وتعتبر حلقة هامة من حلقات تشكيل الصورة البلاغية في ذلك العصر .

وصدق محمد بركات حمدي حيث يقول : " فإن أمرا لا ينكر ، وهــ و أن هــ ذه البدايات تشكل جزءا من الصورة البلاغية التي تلتها مفردات أخرى على التوالي العصور ، واختلاف الزمان والمكان ³ " .

¹ - عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د ط) ، 1998م ، ص 13
² - عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 2000م ، ص 8
³ - محمد حمدي بركات ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، (د ط) ، (د ت) ، ص 17

أثر القرآن في البلاغة والنقد :

نشأت البلاغة العربية في أحضان الدراسات القرآنية ، خاصة في حقول الإعجاز القرآني ؛ لأن البلاغة في حقيقة أمرها جاءت من أجل الكشف عن أسرار الإعجاز ووجوهه ، وإظهار مواطن الفصاحة في أفنان القول العربي منشورا ومنظوما.

وبالبلاغة العربية وجدت أولا وآخرا من أجل الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، وذلك باللجوء إلى الاستدلال بالحجج المنطقية ، والأدلة الدامغة على صحة العقيدة ، يقول محمد د. د. عبد الجليل: " فكانت البلاغة بذلك من عوامل الاستدلال على صحة العقيدة " ¹.

والإسلام أحدث نقلة نوعية في شبه الجزيرة العربية ، إذ قف زب. العرب قفزة نوعية وثم ذلك على جميع الأصعدة والميادين ، حيث أخرجهم من الظلمات إلى النور ، وفك عنهم العزلة وجعلهم يحتكون بأمم وشعوب آخرين ، وانفتحوا على حضارات وعلوم أخرى ، فالتسعت زوايا الفكر والإبداع لديهم.

والإسلام جاء بمعجزة خاتمة تجلت في القرآن الكريم الذي أنزله عز وجل على نبيه سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل ، فكانت معجزة دالة على صدق نبوته ، وصدق دعوته.

والقرآن الكريم أغنى اللغة العربية ، وأثرى معانيها ، فتطورت بذلك تطورا منقطع النظير والأمر الذي لا ريب فيه أن الإسلام كان عاملا قويا في تطور اللغة عن طريق

¹ - عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د ت) ، ص 12

استخدام المجاز الذي وسع الفكر العربي ونوع مجالاته على أساس الصلة بـ ين الألفاظ والمعاني¹

وكان لقضية الإعجاز القرآني أثرها الجليل في نشأة البلاغة العربية وازدهارها وذلك لكثرة التنقيب التي قام بها العلماء من أجل الوصول إلى وجوه الإعجاز في القرآن ، والكشف عن أسرار الجمال في آياته.

كما كان لأحاديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - دور كبير في إثراء البيان العربي ، وبلوغ البلاغة العربية إلى قمة الهرم ، لأن أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت ومازالت ينبوعاً فياضاً ، وبحراً لا ساحل له - في مجال الجماليات البلاغية ، وما زخرت به من مجازات ، وأساليب بلاغية قمة في البيان والجمال ولا يخفى علينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ من الهدى النبوي الشريف وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية ، وصراطاً للإقناع البلاغي الذي خضعت له بلاغة العرب وسلمت له العرب.

ولا شك أن تلك المناقشات العميقة التي دارت حول قضية الإعجاز في القرآن ، كان لها أثر فاعل وفعال في إبراز الكثير من القضايا النقدية والبلاغية واللغوية بل قل : إن جل التطورات التي حدثت في حقول المعرفة العربية يرجع ذلك إلى الإعجاز القرآني ، يقول ديفن ج سيتوارت : "... إلا أنه من المعروف في العلم - والإسلامية أن أعظم التطورات في حقل النقد الأدبي ، والدراسات البلاغية قد تم إنجازها أثناء المناقشات الخاصة بإعجاز القرآن"².

ومن هنا يتضح جلياً أن آثار القرآن في البلاغة العربية ظاهرة للعيان ، سواء أكان ذلك على مستوى النشأة ، أم التطور ، أم النضج ، فمعالم التأثير بـ ارزة وعميقة ، ومن مظاهر هذا التأثير ما أشرنا إليه سلفاً ، والمتمثل في أن العلماء - قديماً وحديثاً -

¹ - المرجع السابق ، ص 12

² - ديفن ج سيتوارت ، السجع في القرآن ، تر ، د إبراهيم عوض مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 1998 ص 09

عكفوا على الدراسة في القرآن الكريم ، في محاولة للكشف عن أسرار إعجازه ، والغوص في أفانينه ، وسبر أغواره ، فقالوا : " إن أحق العلوم بالتعلم هو علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ، والإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، ومما شحنه به من الإيجاز البديع " ¹

وتأييد لما سبق يقول عبد القادر حسين في سياق الإيضاح والتأكيد على مدى أثر القرآن الكريم في الدرس البلاغي : " وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخذاه مداراً للدراسات البلاغية ، واتخاذ آياته البيّنات شواهد على أبواب البلاغة وموضوعاتها ، واعتبارها مثالا يحتذى في جمال النظم ودقة التركيب " ².

النقد والبلاغة

لا يختلف عاقلان على أن النقد والبلاغة تربطهما علاقة متينة ، لا يمكن فصلهما عداً. وعلة هذا الاتحاد ترجع إلى أن كليهما يسعى إلى تحقيق غاية واحدة ، وهي تهذيب الأساليب في الأعمال الإبداعية وتقييمها.

ولعل العلاقة بين النقد والبلاغة برزت بصورة واضحة ، واشتد عودها وأزهرها حين ظهر الإسلام ، وترجع الفكر الديني على الأنماط والأشكال التعبيرية ، فصار النقد يتكئ على الاستدلال والإقناع ، حيث راح ينطلق من المفاهيم الجمالية المؤسسة على أسس وقواعد علمية بعيدة على الانطباع ، أي صار النقد منهجياً.

فعالم البلاغة أصبح قادراً على التمييز بين الجيد والردي ، الجميل والقيح ، والحسن والسيئ ، وبين ما هو مطبوع ، ومما هو مصنوع ، وبين المقلد والمبتدع وهذا الطرح وضع حداً مائزاً يختلف اختلافاً جذرياً عن طريقة الجاهليين التي من أبرز سماتها الانطباعية والسلفية في إصدار الأحكام العامة بين شاعر وآخر .

¹ - أبو هلال العسكري ، الصناعات الكتابية والشعر ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، ط1 ، 2006م ، ص7

² - عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص8

والصلة بين النقد والبلاغة ظلت ربحاً من الزمن على هذه المتانة والتأزر إلى أن أصيبت الأذواق بالفساد ، وبدأت عراها تنفصم عروة عروة، فدعا هؤلاء العلماء الـ ذين حكمـوا النقد إلى فصل البلاغة عن النقد ، واستندوا في ذلك إلى جملة من الآراء يمكن حوصلتها في النقاط الآتية:

- 1- البلاغة تختلف عن النقد ، ذلك أن البلاغة محورها الشكل ، والنقد محـوره الفكـر والعاطفة والأخيلة.
 - 2- البلاغة توصف بأنها من العلوم التعليمية ، أما النقد فهو علم وصفي يعتمد على التمييز بين الأعمال الإبداعية من حيث الغث والسمين ، والجيد والردئ .
 - 3- البلاغة أحكامها جاهزة ، بينما النقد أحكامه خاضعة للنص .
 - 4- البلاغة نظرتها جزئية ، لأنها تهتم باللفظة ، أما النقد فموضوع واسع يصبو إلى تكوين المبدع من جميع النواحي : ثقافياً ، ونفسياً ، وفكرياً ، وفنياً.
 - 5- رجل البلاغة نظراته ضيقة وذاتية ، بينما رجل النقد نظراته بعيدة عميقة ، وهـو على هامش كبير من الحرية كما أنه ينأى عن الذاتية المذمومة .
- وعلى الرغم من هذه الفروق التي وضعها بعض الباحثين والدارسين بين البلاغة والنقد إلا أن مثل هذا العمل يعد ضرباً من الحيف والجور في حقيهما .
- فقد كان العلماء لا ينظرون في شعر أو نثر إلا باستخدام النقد والبلاغة كشئ واحد لـيس كشيئين منفصلين¹.
- وفي هذا السياق يقول محمد العمري : " إن التباس البلاغة بالنقد الأدبي التباس لا انفصام له . وليس هذا الأمر خاصاً بالأدب القديم ، بل يمكن ملاحظته بسهولة من تتبع الألفـاب التي حملها مجموعة من أكابر النقاد المحدثين²

¹ - المرجع السابق ، ص 11

² - د. محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان (د ط) 1929 ، ص 42

من جهود العلماء في تطور الدرس البلاغي :

والبلاغة العربية ليست بدعا من العلوم والفنون ، فهي كغيرها ، تنازعتها جهود علماء كثر ، وآراء وأفكار ووجهات نظر مختلفة ومتعددة ، فالتقت جهود اللغويين والنحويين ، بمعية آراء النقاد والأدباء ، ووجهات نظر علماء الكلام ، وإبداعات الشعراء وما إلى ذلك .

فالبلاغة العربية لم تعرف منذ الوهلة الأولى بالنضج التي هي عليه ، ولا زالت تعرفه ، وتنشده إلى أن تقوم الساعة ، ولكن البلاغة قطعت أشواطاً ومراحل صعباً حتى استقامت على سوقها ، وأعطت ثمارها .

وفي هذه الصفحات القلائل ، سنذكر جهود بعض من العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في تطور الدرس البلاغي ، والأيادي البيض في إثرائه وإخصابه . ومن هؤلاء :

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ) :

تذكر كتب النقد والبلاغة أن أبا عبيدة معمر بن المثنى ألف كتاباً سماه : (مجاز القرآن) توضيحاً لمن سأله أن القرآن خاطب العرب بما لم تعهده ولم تره ، فأنبرى إلى إيضاح هذه الأمور ، وذلك من خلال التعرض إلى ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه بالشرح والتفسير . والمجاز عنده يعني الشرح والإيضاح والتفسير ، وليس ما نفهمه اليوم عند علماء البلاغة بأن المجاز قسيم الحقيقة .

وطريقته في الشرح والتفسير تجلت في أن أبا عبيدة كان يعرض مافي السورة من ألفاظ ، فيشرحها شرحاً لغوياً ، ويفسر ما ورد فيها من غريب مشفعا ما يذهب إليه بشواهد من الشعر الفصيح وعلى الرغم من أن أبا عبيدة لم يقصد إلى المجاز الذي يقابل الحقيقة ، إلا أن المتأمل لكتابه يقع على بعض ألوان البيان : كالتشبيه والاستعارة ، والكناية ، وبعض أبواب البديع : كالإيجاز ، والإطناب ، والالتفات وغيرها .

2- الجاحظ : (ت255هـ) :

ومنهم من يرى أن نقطة الارتكاز والانطلاق في التأريخ للبلاغة العربية تأريخاً صـحياً تبدأ من الجاحظ ؛ لأنه يمثل مرحلة هامة وحساسة في تاريخ البلاغة العربية ، كما أن مؤلفاته وآثاره تعتبر من المصنفات الأولى في هذا الباب ، كما أن آراءه ونظراته تمثل أصولاً لهذا العلم ، تلقفها من جاء بعده من العلماء ، وأسسوا نظراتهم ، ووجهات نظرهم انطلاقاً من الأسس والدعائم التي وضعها الجاحظ .

ومن هنا لانعجب إذ يقول حمادي صمود : أن " الجاحظ فـي اعتقادهـا وضع الأسس الكبرى للتفكير البلاغي"¹

وعد الدارسون كتاب البيان والتبيين للجاحظ من أهم الكتب التي أرسـت أسـس البلاغة ، وأبانت على دور علماء الكلام في البلاغة العربية ، وفي هذا يقول حمادي صمود : " ولقد عدت مؤلفات الجاحظ ، خاصة البيان والتبيين أهم وثيقة عن دور المتكلمين في إرساء أسس البلاغة وضبط مقاييسها"²

وشهد على عظمة الجاحظ في المجال البلاغي شوقي ضيف - رحمه الله - حيث يقول : " لا تكاد تتقدم بعد الربع الأول من القرن الثالث الهجري حتى يتجـرد معتزلي كبير ، وهو الجاحظ لدرس شؤون البيان والبلاغة ، فيؤلف كتابه * البيان والتبيين * في أربعة مجلدات كبار ، جامعاً فيه ملاحظات العرب البيانية ، ويعرض ملاحظات الأجانب ، وسجل كثيراً من ملاحظات معاصريه ، وبخاصة المعتزلة"³

ولم تقتصر آراء الجاحظ البلاغية على كتابه * البيان والتبيين * بل نجدها مبثوثة في كتابه * الحيوان * ، فضلاً عن كتابيه المفقودين ، وهما * نظم القرآن * و * آي القرآن * .

¹ - حمادي صمود، التفكير البلاغي أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، (د ط) ، (د ت) ، ص13

² - المرجع نفسه ، ص15

³ - شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ط: دار المعارف ، القاهرة ، ط2 / (د ت) ، ص46

أسهم الجاحظ إسهاما مبينا في تطوير الدرس البلاغي ، وخطابه خطوة نوعية لـ م يـ سـ سبق إليها من خلال ملاحظاته البلاغية حيث تكلم عن التشبيه ، والاستعارة ، والكناية وغيرهـا والإكثار من الشواهد والنماذج ، وكذا تقسيمه اللفظ إلى حقيقة ومجاز ، وهذا الأمر يضع أيدينا على الحقيقة التي لا جدال فيها ، وهي أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيما حادثا ، وإنما قديم قدم البلاغة العربية ، وهذا ينفي ما زعمه ابن تيمية حين ذهب إلى أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

ولا أحسبني مبالغا إذا قلت : إن الجاحظ هو الأب الروحي ، والمؤسس للحقيقةـي لعـمـm

وبالبلاغة عند الجاحظ تجمع بين الجوانب النظرية والتطبيقية ، خاصة في حديثه عن ألوان البيان ؛ من مجاز واستعارة ، وتشبيه ، وكناية ، وغيرها. والجاحظ يقف أمام القضايا البلاغية موقف الأديب المحال ، صاحب الذوق الرفيع بعيدا عن كثرة الاعتناء بالمصطلحات ، فكان يحل النصوص ، ويبين ما فيها من جمال فـنـيـi

فجاءت آراؤه قمة في التأصيل والتأسيس من جهة ، والذوق والإبداع ، والابتكار من جهة أخرى .

ومن ثمة حق له أن يلقب بشيخ البيان العربي ومؤسسه ، ولهذا يقول سيد نوفل : " يعد الجاحظ في رأي مؤسس علم البلاغة العربية ، ذلك بأنه قد جمع ما يتصل به مـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـm

ومن باب النصفة يجب الإقرار بأن الجاحظ مؤسس علم البلاغة دون منـازع وهو إمام البيان العربي ، وفي هذا السياق يقول طه حسين بـ : " أن العرب لم يخطئوا حين عدوا الجاحظ مؤسس البيان العربي "2

1 - سيد نوفل ، البلاغة العربية في دور نشأتها ، ط ، الهيئة العامة المصرية ، (د ط) (د ت) ، ص 170
2 - قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، تقديم طه حسين ، عبد الحميد العبادي ، ط ، دار الكتب المصرية ، (د ت) ، (د ط) ، ص 7

3- المبرد (ت 285هـ):

المبرد من العلماء الأوائل الذين أطلقوا مصطلح البلاغة على مـصنفاتهم فالمبرد له رسالة بعنوان : * البلاغة * وهي رسالة موجزة رد فيها عن رسالة بعثها إليه أحمد بن الواثق يسأله فيها عن أي البلاغتين أبلغ ، بلاغة المنظوم ، أم بلاغة المنشور ؟ . فأجابه المبرد بقوله : " إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكـلام ، وحـسن النظم حتى تكون الكلمة مفارقة أختها ومعاضدة شكلها ، وأن يقرب بها البعيد وتـحـذف منها الفضول " ¹

ولكن آراء المبرد البلاغية برزت في كتابه * الكامل في اللغة والأدب * الذي اعتبره العلماء أصلاً من أصول الأدب وأركانه ، وصورة جليـة للثقافة العربيةـ الصرفة في عصر المؤلف بكل ما يتصل بها من نظم ، ونثر ، وأخبار ، ولغة ، ونحوـ وصرف ، وأقوال مأثورة ، وحكم ... وما إلى ذلك .

ويشير المبرد في مقدمة كتابه إلى محتواه ، فيقول : " هذا كتاب ألفناه يجمـع ضرورياً من الآداب ما بين كلام منشور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائرة ، وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة " ²

ويكفي * الكامل * سموفاً وعلوفاً أن ابن خلدون اعتبره واحداً من أربعة كتب كبار لاغنى لطالب المعرفة والثقافة عن قراءتها ، إذ يقول : " وسمعنا من شـيوخنا فـي مجالس التعليم أن أصول هذا الفن أربعة دواوين ، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الآمالي لأبي علي القالي ، ومـا سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها " ³

¹ - المبرد ، البلاغة ، تح ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط2 ، 1985م ، ص 81
² -- المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، تح ، عبد الحميد هندواي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999م ، مج1 ، ص32

³ - ابن خلدون ، المقدمة ، ص460

وتكمن قيمة الكتاب من الوجهة البلاغية ، فيما تناوله المبرد في باب التشبيه الذي عد فيه مؤسساً ومؤصلاً ، ذلك لأن المبرد استخدام الاستقراء في استنباط التشبيه ، ولا -م يعتمد -د على من سبقه . واعتمد على الجانب التطبيقي أكثر من اعتماده على الجانب النظري وأشار إلى أن التشبيه كثير الجريان عند العرب في تعابيرها وتأليفها ، وت -شقيقتها الكلام في مختلف فنون القول ، حتى قال المبرد : " والتشبيه جار كثير في الكلام - أغنى كلام العرب - حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد " ¹ .

وذكر أنواع التشبيه ، وقسمها إلى أربعة أضرب ، تشبيه مف -رط ، وت -شبيه م -صيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد ، يقول المبرد : " والعرب تشبه على أربعة أضرب : فتشبيه مفراط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التف -سير ، ولا ي -وم بنفسه ، وهو أحسن الكلام " ²

كما ميز حد التشبيه ، ورأى أن جودة التشبيه ، والبراعة فيه ترجع إلى المعنى ، ولا -يس إلى أركانه ؛ فيقول : " اعلم أن للتشبيه حدا ، لأن الأشياء تشابه من وجوه ، فإنما ينظ -ر إلى التشبيه من أين وقع " ³

وعالج الاستعارة بأنواعها ، لكن الجديد عنده الاستعارة بالحرف ، وع -د أول من تنبه إلى هذا النوع من الاستعارة .

وتناول الكناية ، وحدد أغراضها وأقسامها ، وجعل الكناية ثلاثة أضرب :

أ - التعمية والتغطية ، والمقصود به -ا الغم -وض والإيهام ، وع -دم الوض -وح والإفصاح .

ب - التفخيم والتعظيم ، ومنه اشتقت الكناية .

ج - الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره .

¹ - المبرد الكامل ، مج 2 ، ص 424

² - المصدر نفسه ، ص 357

³ - المصدر نفسه ، ص ن

فابن المعتز في كتابه * البديع * حاول أن يتناول البلاغة العربية بمعزل ع-ن أم-شاح العلوم الأخرى ، فجاء كتابا متخصصا في هذا المجال، " فهو في حدود م-ا وص-لنا أول تأليف مخصص لجميع الأساليب البلاغية بكيفية لم تسبق ، إذ وردت مستقلة عن الع-لوم الأخرى مقصودة في ذاتها وهذه خطوة هامة في طريق نشأة هذا الاختصاص¹

ويبرز جهد وفضل ابن المعتز في كتابه البديع في أنه أول م-ن جم-ع فذ-ون البلاغة ، وبينها واستدل عليها بشواهد متنوعة من الذكر الحكيم ، ومن الأشعار ، والحكم والأمثال ، وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، واذك أليفناه يقول : " وما جم-ع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين² وكتاب البديع جمع فيه ابن المعتز من الفنون البلاغية خمسة .

وهي : (الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ؛ ورد الأعجاز على ما تقدمها ، والم-ذهب الكلامي) ، مضيفا إليها ثلاثة عشر فنا اصطلاح عليها بمحاسن الكلام تاركا لم-ن ي-أتي بعده للزيادة والاضافة . كما حاول ابن المعتز في كتابه البديع أن يربط البلاغة بال-درس النقدي ، جاعلا من العناصر البلاغية معايير للنقد الأدبي ، ولا يمكن للبلاغة أن تنف-صل عن الأصول النقدية والعكس صحيح أيضا ؛ واذك يمكن القول : أن ابن المعتز أوض-ح النظرة الصحيحة السليمة للبلاغة ، محاولا ترسيخها. وتتلخص هذه النظرة في أنها : " تلك التي تنظر إلى العناصر البلاغية على أنها مقاييس صالحة يقيس بها الأسلوب الأدبي"³

صفوة القول :

إن المتأمل في كتاب البديع لابن المعتز يستشف الذوق الرفيع الذي امتاز به في تناول موضوعات البلاغة ، وكيفية تعامله مع المصطلحات ، كما ب-رز الإ-ساس المرهف الذي تميز به ابن المعتز ، ودل ذلك على الروح الأدبية ، والتذوق الجمي-ل . ومن ثم ، فالقارئ للكتاب لايلمس فيه : " منطق العلماء ، أو أصحاب البلاغة المتأخرين ،

¹ - حمادي صمود ، التفكير البلاغي ، ص 389

² - ابن المعتز ، كتاب البديع تح ، إغناطيوس كراتشوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت لبنان / ط3 ، 1982م ، ص 58

³ - مازن المبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، دمشق ، ط6 ، 2006م ، ص 73

وإنما هو إحساس الأديب ، وذوق الشاعر ، وماتزال تجري علومها بأغلب مـ. مصطلحات ابن المعتز إلى يوم الناس هذا¹

وعليه ؛ فقد اعتبر الدارسون كتاب البديع نقطة انعراج خطيـ. ر فـ. ي مـ. سار الدراسات البلاغية والنقدية ، وسمة بارزة في مجال النظرية الأدبية عند العرب . ومنزلته في تاريخ البلاغة شبيهة بمنزلة كتاب * سيبويه * في تاريخ البحوث اللغوية والنحوية .

فهو بإجماع الباحثين والدارسين أول كتاب جعل من البلاغة غاية تأليفه ، ومحاولة فريدة لإرساء أصول البلاغة على أسس عربية صرفة .

5- قدامة بن جعفر (ت 337هـ) :

يغلب على التفكير البلاغي عند قدامة بن جعفر ر الجانـ. ب الفـ. سفي المنطقي ، وذلك لتأثره بالفكر اليوناني وبرز هذا التأثير في طريقة معالجة للـ. ضايا البلاغية التي تعرض لها ، وفي طريقة تبويبها وترتيبها .

وقد تطرق قدامة في كتابه النفيس الموسوم بـ. * نقد الشعر * إلى الأبـ. واب الثلاثة لعلم البلاغة ، حيث تطرق في باب * البيان * إلى : التشبيه فأفاض في أقسامه

ومصوره ، الاستعارة والتمثيل ، والإرداف ، وعرف كل ذلك مع ضرب الشواهد ، وإقامة الدليل والبرهان .

وتتناول في باب علم المعاني : الإيجاز ، والتتميم ، والإيغال ، والمـ. ساواة ، والإشارة ، وغيرها.

¹ - د. حلمي مرزوق ، النقد والدراسة الأدبية ، مكتبة نهضة القاهرة ، (د ط) ، 1959 م ، ص 27

وتعرض - أيضا - إلى فنون البديع¹.

ترك قدامة بن جعفر آثارا راسخة ، وبصمات نافذة في الـ درس البلاغي ، حتى عده الدارسون والباحثون من العلماء الأوائل الذين أسهموا إسهاما منقطع النظير في اختراع البديع .

وقيل عنه بأنه الناقد البصير في علم البلاغة ، والخبير في معرفة معانيها ، وسبر أغوارها وبواطنها.

وتجالت عبقريته في كتابه الذي عده الدارسون من الكتب القلائد في النقد والبلاغة مضمونا وأسلوبا ، وسدادا وتأثيرا.

يفول شوقي ضيف - رحمه الله - " ومما لا ريب فيه أن قدامة وفق في هــ ذا الكتاب توفيقا منقطع النظير ، وهو توفيق جعل من يكتبون في البديع بعده يلهجون باسمه وفي مقدمتهم أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين ، وكذلك من كتبوا في عيـ وبـ الشعر ووجوه رداعته وفي مقدمتهم المرزباني في كتابه الموشح² "

6- القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ):

طارت شهرة القاضي الجرجاني في سماء الإبداع ، وتـ سنم قمـ م الدراسات النقدية والبلاغية من خلال كتابه الموسوم بـ * الوساطة بين المتنبي وخصومه * وأراد مـ ن خلال هذا الكتاب أن يقيم المنهج الوسط في نقود المتنبي وشعره ، منتهاجا في ذلك منهج المقايسة ؛ أي يعمد إلى قياس الظواهر الشعرية التي عابها خصوم المتنبي واستحـ سنوها في شعر غيره ، مقيما الحجة والبرهان .

¹ - ينظر ، قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، شرح محمد عيسى فنون ، المطبعة الميمنية القاهرة ، (د ط) ، 1936م ، ص 363 وما بعدها
² - شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 92

والكتاب في حقيقة أمره ؛ كتاب نقد أكثر منه كتاب بلاغة ، إلا أن الجرجاني ركز فيه على باب الاستعارة ، فتوسع فيه ، وحاول التفريق بينها وبين التشبيه البليغ¹

وفي معرض حديثه عن الاستعارة قال : " وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. ملاكها -ا- تقرير -ب- الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ؛ حتى لا يوجد بينهما ولا يتبين في إحدهما إعراض عن الآخر"²

إلى جانب ذلك عد الجرجاني الاستعارة عموداً من أعمدة الكلام التي تصني عليه مساحة من الجمال ، حيث يقول : " فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام ، وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظام والنثر"³ وقسم الاستعارة إلى حسنة وقبيحة ، ويرى أن محك حسنيتها ، أو قبحها يتجلى في م - دى قبول النفس لها ، أو النفور منها .

وأشار إلى البديع في معرض حديثه عن جودة الشعر والتفاضل بين الشعراء فيما عرف بعد بعمود الشعر حيث يقول : " وكانت العرب تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وش - وارد أبياته ؛ ولم تكن تعباً بالتجنيس ، والمطابقة ، ولا تحفز بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض"⁴

¹ - ينظر ، عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد الجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، (د ط) (د ت) ، ص 41

² - المصدر نفسه ، ص ن

³ - المصدر نفسه ، ص 428

⁴ - المصدر نفسه ، ص 33، 34

وتناول إلى جانب ذلك ؛ التجنيس ، والمطابقة ، والتقسيم وغيرها ، م- شفعا ك- ل ه- ذه الموضوعات بأدلة وبراهين من عيون الشعر العربي¹

فصاحب الوساطة - ولامراء في ذلك - قد أثر في الدرس البلاغي م- ن الناحيتين : النظرية والتطبيقية ؛ لأنه رصد كثيرا من القضايا البلاغية ، وأشار إلى ج- م من الملحوظات القيمة استفادت منها البلاغة العربية والنقد على حد سواء أيما استفادة.

7- أبو الحسن الرماني (ت384هـ):

ألف الرماني رسالة موجزة تناول من خلالها ق- ضية الإعجاز- از القرآن- ي والإشارة إلى أهم وجوه الإعجازية .

هذه الرسالة الموسومة ب- * النكت في إعجاز القرآن * بين فيها الرماني وجوه الإعجاز السبعة ، وقال : " أن وجوه الإعجاز تظهر م- ن س- بع جه- ات : ت- رك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ، وال- صرفة ، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجز²"

أما حديثه عن البلاغة فتمثل في أنه يحصر البلاغة في عشرة أقسام ، أو أب- واب ه- ي: (الإيجاز ، والتشبيه ، الاس- تعارة ، وال- تلاؤم ، والفواصل ، والتج- انس ، والت- صريف ، والتضمن ، والمبالغة ، وحسن البيان)³

وتعرض لكل هذه الأبواب بالشرح والاستدلال والتمثيل ، متوخيا من ك- ل ذل- ك م- سألة الإعجاز في القرآن ، بحثا عن أسرار إعجازه ، وقوة أسلوبه ، وشدة وقعته على النفوس ، وجماليات نظمته ، وروائع بيانه .

¹ - ينظر ، المصدر السابق ، ص 41، 46

² - أبو الحسن الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح ، د. محمد خلف الله أحمد ، د. محمد زغلول سلام ،

دار المعارف مصر ، ط3 1976م ، ص 16

³ - المصدر نفسه ، ص 16

وما البلاغة عند الرمانى إلا مطية لتحقيق الغايات المشار إليها سلفاً ، يحـدوه
في كل ذلك ذوق رفيع ، وحس مرهف ، ودراية باللغة وأساليبها ، ومعرفة بكلام العرب
وخصائصه . فجاءت الدراسة عنده مزيجاً بين الإعجاز واللغة والبلاغة.

8- أبو هلال العسكري (ت395هـ):

العسكري من علماء البلاغة القلائل المشهود لهم بالتفوق في هذا المجال ، لما له من
نظرات ثاقبة ، ورؤى نابضة ، لذلك نراه يعتبر البلاغة من أحق وأخص العلوم بالتعلم
حيث يقول : " إن أحق العلوم بالتعلم هو علم البلاغة ومعرفة الفـصاحة ، والإندـسان إذا
أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه
ا به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع"¹

وله مصنف مشهور في هذا الباب ، سماه بالصناعتين الكتابة والشعر ، ضمنه
عشرة أبواب تحتوي على ثلاثة وخمسين فصلاً تباينت موضوعاتها ، وتنوعت قضاياها.
تكلم فيها عن البلاغة ومفاهيمها ، وتناول الفنون البلاغية ، نحو: التشبيه ، الاستعارة ،
والكناية ، والمجاز ، والحقيقة ، وغيرها من تلك الفنون .

كما تحدث عن فنون البديع من مثل : الطباق ، والمقابلة ، والجناس ، وغيرها
حتى أربت عن خمسة وثلاثين نوعاً ؛ وهو في كل ذلك يقر بجهود من سبقه من العلماء .
واعتمد العسكري في معالجته للقضايا البلاغية على أسس من أهمها:

أ- الذوق الأدبي والتحليل الدقيق .

ب- الإكثار من الشواهد ، والعمل على تذوقها .

ت- الإلمام بالقضايا البلاغية .

¹ - أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تح ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1
2006م ، ص 07

وغاية العسكري من البلاغة ومصطلحاتها ربطها بقضية الإعجاز القرآني ، والكشف عن وجوهه ، ومكامن الجمال فيه .

9- عبد القاهر الجرجاني (ت 471 أو 474 هـ) :

برزت عبقرية الجرجاني في الدرس البلاغي من خلال كتابه * دلائل الإعجاز * وأسرار البلاغة . وطارت شهرته تجوب الآفاق من خلال اكتمال حلقات نظرية النظام عنده . والتي جعلها الوجه الأساس في قضية الإعجاز القرآني ، والعمود الفقري في حقل البلاغة العربية .

أما كتابه * دلائل الإعجاز * فقد تناول فيه علم المعاني ، أو ما يعرف * بنظرية الأسلوب * وأبرز ما عالجه في هذا الكتاب * نظرية النظم * التي تركز عليها موضوعات البلاغة العربية ، فبين الجرجاني علاقة النظم بالبلاغة ، سواء علاقته بالنحو ، أو الأساليب الخبرية والإنشائية ، أو التقديم والتأخير ، أو الحذف ، أو الجناس ، والتسجيع ، أو التشبيه أو الاستعارة ، أو المجاز والحقيقة ، أو الكناية والتعريض ... وما إلى ذلك . وامتناز تناوله لهذه القضية (النظم) وعلائقها بالموضوعات المشار إليها - سواء بالتحليل الدقيق ، والاستنباط الصحيح ، والحكم السليم ، والاستدلال والتمثيل الحي . فجاءت آراؤه - وإنين ونظريات في منتهى النضج والرسوخ .

أما كتابه * أسرار البلاغة * فقد تناول فيه أصول علم البيان ؛ من حقيقة ومجاز ، واستعارة ، وتشبيه .

وعالج كل هذه القضايا بدقة متناهية ، وتحليل عميق ، وإقناع سديد ، مكثرا من الشواهد والأدلة .

وعد الجرجاني في كتابه * أسرار البلاغة * مؤسسا لعلم البيان .

والخلاصة :

إن عمل الجرجاني في البلاغة العربية واضح المعالم ، وجم الفوائد ، كثير الجدى والثمار ، يدلل أن أغلب الباحثين والدارسين بعده اعتمدوا عليه في دراساتهم وبحوثهم

البلاغة والإعجازية ، وعلى رأس هؤلاء : الزمخشري صاحب الكشاف ، القزويني صاحب التلخيص ، والإيضاح ، وغيرهم كثير قديما وحديثا . إضافة إلى ذلك ، أنه كلما ذكر النظم ، إلا وذكر الجرجاني وسفره دلائل الإعجاز الذي يعد تأسيسا لنظرية (علم المعاني) .

10 - الزمخشري (ت 538 هـ) :

لم يؤلف الزمخشري كتابا مستقلا في علوم البلاغة العربية كما فعل سـابـقـوه من العلماء ، ولكن جاءت نظراته وآراؤه البلاغية مبثوثة بين دفتي تفسيره الكشاف الذي بناه على منهج يقوم على علمي المعاني والبيان .

ويرى الزمخشري أن الاهتمام بالبلاغة وعلومها ، والتعمق في معرفتها يكشف عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن ، ويجلي غوامضه وخفايا معانيه وأسراره . ولاشك أن المتأمل المدقق في تفسيره الكشاف ، والناظر إلى تلك الآراء البلاغية التي ينضح بها ، أن الزمخشري متأثر أيما تأثر بطريقة عبد القاهر الجرجاني ومنهجـه فـي كتابيه * دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة * ، حتى قيل : إن الزمخشري كان مطبقا أميناً لنظريات عبد القاهر الجرجاني ، ومكملا لعمله في مباحث البلاغة العربية ، وإذ ذلك يقول عيسى علي العاكوب : " ويعد الكشاف خير مصدر لدراسة أسرار العربية وأساليبها فـي الحقيقة والمجاز والاستعارة والتشبيه ، بل يعد كشفافي الدرس البلاغي التطبيقي"¹ والزمخشري تميز بعبقرية فذة في تذوق الكلام ومعرفة وجوهه الجمالية ، كما عرف بتملكه لناصية اللغة ، وإدراك خفاياها وأسرارها .

من ثمة يمكن القول : لو لم يكن للزمخشري في كشفه إلا التطبيق على آراء الجرجاني والاستدلال عليها بالشواهد والأمثلة لكفاه ذلك إسهاما في تطوير علمي المعاني والبيان ، ناهيك عن أن الرجل وصل التطبيق بكثير من أفكاره وآرائه التي دلت على تعمقه وفطنته

¹ - . عيسى علي العاكوب ، أ.علي سعد الشتيوي ، الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني ، البيان ، البديع) ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، د ط ، 1993م ، ص 19

في تطوير الدلالات البلاغية ، والإلمام بخواص العبارات والأساليب . وكشافه خير شاهد على ما نقول .

11 - السكاكي (ت 626هـ) :

لاشك وأن البلاغة العربية في طورها الأول كانت طفلة تحبو، ومع م- رور الأء- صر والأحباب نمت وتطورت ، ونضجت . ولا بد بعد بلوغها أوج التطور والازدهار أن تتعد وتبوء ؛ لأن أي علم من العلوم ، أو فن من الفنون يمر بمرحلة النشؤ ، ثم يتدرج ش- يثا فشيئا حتى يصل إلى مرحلة الاكتمال والنضج ، والبلاغة العربية ليست بدعا في العلوم ، فهي كغيرها سارت على هذا النهج وسأيرت نواميس الكون ، ولما بلغت الأوج ، ك- ان لزاما على الباحثين والدارسين من أن يضعوا القواعد والنظريات لها ، وهذا أمر طبيعي لأن العلم لا يصابن إلا إذا وجدت قواعده وأسسها ، وإلا ضاع وداخله الكثير م- ن الخل- ل والزال ، وإذلك يقول فضل حسن عباس ، وهو في معرض حديثه عن جهود ال- سكاكي تجاه البلاغة العربية : " أن البلاغة كانت بحاجة إلى من يحدد مصطلحاتها تحديدا تاما

ومن يفصل مسائلها ، وتفصيل بعضها عن بعض ، وتلك حسنة لا ينبغي أن تغفل ، ولكن الكثيرين - سامحهم ا - لا يذكرون إلا السلبيات ¹

ومن هنا يمكن القول : أن السكاكي - رحمه ا - كان له فضل كبير ، وجهد مشكور ، وعمل مقدور ، حين قعد للبلاغة العربية وجمعها من شتات ، ويكفي- ه عل- و كعب ما قام به ، إلا أن الذين وصموه بأنه كان السبب في جم- ود البلاغة- و تعقي- دها ، وقتلها قبل آوانها ، فإن مثل هذا الرأي يحتاج إلى إعادة نظر ومناقشة بناءة ترتكز عل- ي أسس صحيحة ؛ لأن في ذلك ظلم كبير لهذا العالم .

¹ - د. فضل حسن عباس ، البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان الرذن ، ط2 ، 1999م ، ص 145

والذين قالوا : إن البلاغة العربية جمدت وانتهت بمجئ السكاكي ، هذا رأي - أي - ضا -
يحتاج إلى مناقشة عميقة .

تعقيبات :

أولا : السكاكي ما جمدت البلاغة العربية على يديه، أو من بعده ، بل على العكس -
تماما فالرجل أعطى البلاغة العربية ملمحها النهائي ، وألبسها ثوبها اللائق بها . فجمعها
من شتات ، وقعدلها ، ورتبها ، وبوبها ، وقسمها إلى أقسام ثلاثة :

- علم المعاني .

- علم البيان .

- علم البديع .

فهذا عمل جبار ، وجهد ثمين ، يحسب للرجل ، ولولاه لصاعت أصد - ول البلاغة -
العربية .

أما الذين توهّموا أن البلاغة العربية بعد السكاكي أصابها الجمود والوهن والضعف
وجنوح أصحابها إلى الشروحات والتلخيصات ، بعيدا عن الإبداع والجمال .

لو سلمنا بهذه الحقيقة ، هل البلاغة مسؤولة على هذا الاختيار وتبني هذه الوجهة ؟
البلاغة العربية في جوهرها ، وحقيقة أمرها ليست المسؤولة على هذا الاختيار ، وتبني -
هذه الوجهة ؛ فالبلاغة العربية براء مما نسب إليها ، ومما علق بها ، فالبلاغة من الفنون
والعلوم المتجددة ، بتجدد الأعصار والأمصار ؛ لأن البلاغة العربية جاءت - أولا وقبل
كل شيء - خدمة للقرآن الكريم ، ولتكشف عن جمالياته التعبيرية والفنية .

فالقرآن باق ما بقيت البشرية ، متجدد يفتر عن كنوز ثمينة في كل زمان ومكان .
ومما يشد عضد ما نذهب إليه ما قاله محمد بركات حمدي : " أن البلاغة العربية
من العلوم التي لم تحترق ولم تنضج ؛ لم تحترق لأنها أحد مفاتيح الإعجاز القرآني

والجمال الأدبي ... أما أنها لم تنضج ؛ فلأن الوسائل التي تعرض بها بحاجة إلى تجديد - د وثقافة العصر الذي تشيع فيه...¹

ولنفاسة العمل الذي قام به السكاكي ، والإثراء الذي قدمه للدرس البلاغي - م - ن خلال كتابه الشهير * مفتاح العلوم * والذي بلغ شأوا كبيرا لدى العلماء ، وصار محجة رائدة في علم البلاغة منهاجا ومضمونا ، وأغلب من جاء بعده كان يـ دور فـي فلكـه ، ويعشو إلى ضوء ناره ، إما تلخيصا ، أو شرحا ، ومن أهم شروحاته ؛ شرح الخطيب القزويني (ت 739 هـ) .

ولكن هذا الحكم لا يعمم ، ولا يتخذ منه قاعدة ، أو قانونا ؛ لأن هناك من أجاد فـي فقه الدرس البلاغي ، وعمل على استخراج كنوزه ودرره .

وعليه ، إن دور السكاكي في تطور الدرس البلاغي لا ينكر ، وإضافاته يجب أن تذكر ، وستبقى سماتها شاهدة العصر على ما أسداه الرجل من آراء وأفكار ، ونظرات استنارت بها دروب البلاغة العربية .

12 - الخطيب القزويني (ت 739 هـ) :

عمد القزويني إلى كتاب * مفتاح العلوم * للسكاكي ، فخلص فيه القـسم الثالـث الخاص بالبلاغة ، تلخيصا تميز بالدقة والوضوح ، وجاء تلخيصا فريـدا مـن نوعـه ، ومميزا عن التلخيصات الأخرى التي قام بها بعض العلماء من أمثال : بدر الدين بن مالك وغيره .

والأمر الذي دفع بالقزويني إلى تلخيص كتاب المفتاح للسكاكي ، يرجع إلى ما وقع فيه السكاكي من حشو وإطناب وتطويل ، وبعض الاضطراب ، فـأراد أن ينقـحه ويهذبـه ويصونه عما فيه من غموض وتعقيد .

¹ - محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1983 ، ص 8

حيث يقول في مقدمة تلخيصه :

" أما بعد ؛ فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرا وأدقها سرا ، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها ، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستاذها ، وكما ان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف - ف - السكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا لكونه أحسنها ترتيبا ، وأتمها تحريرا وأكثرها للأصول جمعا ، لكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد - ف - ابلا للاختصار ؛ مفتقرا الى الإيضاح والتجريد : ألقت مختصرا يتضمن ما فيه من القواعد ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ، ولم آل جهدا في تحقيقه وتهذيبه ورتبته أقرب تناولا من ترتيبه... وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب الفقهوم عليها ... وسميته تلخيص المفتاح¹

وما كاد القزويني ينتهي من كتابه * التلخيص * حتى نراه يشرع في وضع شرح آخر سماه * الإيضاح في علوم البلاغة * فصل فيه بعض ما أجمله في التلخيص ، مضيفا إليه زوائد من دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، والكشاف ، ومستكثرا بالشواهد والأمثلة.

تناول القزويني في كتابه * الإيضاح * موضوع الفصاحة و البلاغة ، و محاولة التمييز بينهما ، و تناول أحوال الإسناد الخبري ، و أحوال المسند إليه ، و أحوال الم - سند و غيرها.

و تناول التشبيه ، و الاستعارة ، و الكناية ، و تحدث عن المجاز و علاقته . و لم ينل البديع حظه الكافي من الدراسات كما هو الحال في أبواب المعاني و البيان.

و على الرغم مما جاء به القزويني في كتابه * التلخيص * و * الإيضاح * من روائع في عملي المعاني و البيان خاصة ، إلا أنه يبقى مدينا للسكاكي بمادة الكتابين ؛ و إن كان قد أضاف إليها من كتابات عبد القاهر ، و الزمخشري و من آرائه الخاصة التي انفرد بها ،

¹ - القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، تح ، عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ، ط2 ، 1932م ، ص 22، 23

و أثنى عليه بهاء الدين السبكي بقوله : " أما بعد ، فإن تلخيص المفتاح في علم البلاغة و توابعها بإجماع من وقف عليه ، و اتفاق من صرف العناية إليه ، أنفع كتاب في هذا العلم صنف ، وأجمع مختصر فيه على مقدار حجمه ألف¹"

وفي نهاية تناولنا لبعض من جهود أهم أعلام البلاغة العربية ، وبشئ من الإيجاز تاركين التوسع والإسهاب لمن أراد أن يعود لكتب البلاغة وتاريخها ، والتي استقينا مـ ن أهمها هذه الإطلالة لتكون جسرا للوصول إلى الزركشي الذي يعد واحدا من أهم البلاغيين الذين نجموا في القرن الثامن الهجري ، والذي كان له صولات وجولات في جنبات الـ درس البلاغي ، ولكن رغم ذلك بقي الرجل مغمورا في هذا الجانب ، لأنه عرف فـي مجـال الدراسات القرآنية والدينية واشتهر فيها ؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام ، وتنفض غبار السنين ، وتنير ظلمات الأحقاب والأمصار عن شخصية كان لها قدم رائدة فـي مجال البحث البلاغي ، ويتجلى ذلك من خلال سفره النفيس * البرهان في علوم القرآن* .

وتناول الزركشي للبلاغة العربية جاء مختلفا عن عاصره من المتأخرين الذين شـاع عنهم الاهتمام بالشروحات والتلخيصات لكتاب * مفتاح العلوم * للسكاكي فـي قـسمه الثالث.

الزركشي عالج البلاغة معالجة المحلل المتذوق لجمال البلاغة ومصطلحها ، لأن غايته السامية التي يرمي إليها من خلال دراسته للمصطلح البلاغي تكمن فـي الكـشف عـن جماليات القرآن العظيم ، وإبراز وجوه الإعجاز وأسرارها فيه.

ومن هنا يجب أن نصح تلك النظرة القائلة بأن البلاغة العربية لم تفهم فهمـا صحـاحيا وسليما بعد عصر الجرجاني والزمخشري ، حيث يقول بكري شيخ أمـين : " ولعلنا لا نغالي إذا قلنا : إنه لم يأت بعد عصر الجرجاني والزمخشري من فهم البلاغة فهمهما

¹ - بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط2 ، 1343هـ ، ج1، ص4.

إياها ، وإن الذين جاؤوا من بعد ، إنما كان عملهم - في أكثر الأحيان - تلخي-صا ، أو شرحا ، وإنهم لم يزدوا في فهم البلاغة وشرح فنونها شيئا ذا بال ¹ .

إن ما ذهب إليه بكري شيخ أمين فيه نظر ، وذلك أن البلاغة لم تكن لتنتهي بمجئ الجرجاني والزمخشري ، أو تنقطع سبل الفهم والفقه بمن جاء بعدهما ، فالبلاغة العربية ليست حكرا على قوم دون قوم ، ولا على زمن دون زمن ، وإنما يقيض لها في كل عصر ومصر من يأتي ويتأمل أساليبها وفنونها ، ويمخض زبدتها ، ويفتق أكمامها ، ويسفر عن أسرار جمالها .

ولا نذهب بعيدا ، فالزركشي نجم في القرن الثامن الهجري ، ويعد من المتأخرين ، وكتابه * البرهان * جاء في زمن متأخر أيضا ، وعلى الرغم من ذلك ألفناه نظر إلى البلاغة نظرة القارئ المتفنن ، والناقد البصير ؛ فأفاد من الدرس البلاغي أيما فائدة ، واستفاد من آرائه من عاصروه ، ومن جاؤوا بعده . ومن ثم فنحن لسنا مع القائلين بمثل هذه الأقوال بل البلاغة العربية حية طرية الغصن ، غضة العود ، شهية الأكل . وستظل هكذا إلى أن يرث الأَرْض ومن عليها.

خلاصة القول :

وهكذا قطع الدرس البلاغي أشواطا كبيرة ، وطوى مراحل عديدة ، ومر بمرحلة طويلة ومضنية استهلها بملحوظات ذوقية فطرية بسيطة معللة وغير معللة ، حتى وصل بها إلى علم واضح المعالم ، متعدد الأقسام ، واضعا الأسس الرئيسة لهذا العلم ، تاركها هامشا للجمال والإبداع والتجديد والابتكار ؛ لأن البلاغة في حقيقة أمرها ، وعمق جوهرها علم لم ينضج ولم يحترق.

يقول حمدي بركات اعلم : " أن البلاغة العربية من العلوم التي لم تحترق ولم تنضج ، ولم تحترق لأنها أحد مفاتيح الإعجاز القرآني ، والجمال الأدبي ... أما أنها

¹ - د. بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، ج 1 علم المعاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 7 ، 2001م ، ص 46

لم تنضج ؛ فلأن الوسائل التي تعرض بها بحاجة إلى تجديد وثقافة العصر الـ ذي تـ شيع فيه...¹

ومن هنا ، فإن القائلين بأن الدرس البلاغي انتهى وجمد لدى السكاكي ، ومن جاء بعده ، هذا الحكم لا بد أن يعاد فيه النظر ، لأن البلاغة ما عرفت الجمود والركود على عهد السكاكي ؛ بل للرجل فضل مزية ، أنه جمع البلاغة العربية من شتات ، وقعد لها - و قن ، فحافظ عليها من الضياع والإندثار هذا من جهة ، والسكاكي ما أغلق الأبـ واب أمام المبدعين والباحثين حين عمد إلى هذا العمل ، بقدر ما سهل لهم الأمر ، وأنار لهم - م الدرب ، ومهد لهم الصراط ، ووضعهم على السكة الصحيحة.

وهذه النظرة الخاطفة الموجزة إلى تاريخ البلاغة العربية ، وضعت أيدينا على لفي ف من الخصائص تبلورت في النقاط الآتية :

1 - الأحكام النقدية الجمالية التي وجدت في العصر الجاهلي - وعلاى الـ رغم مـ ن بساطتها - كانت بمثابة شرارة الانطلاق لنشأة البلاغة العربية ، إن لم نقل نقطة التأسيس.

2 - ظهور الإسلام في شبه الجزيرة ، وتأييد النبي صلى ا عليه وسلم بمعجزة خالدة وخاتمة ، وهي القرآن ، كان عنصرا أساسيا في نشأة البلاغة العربية وازدهارها ونجم ذلك عن بلاغة القرآن ، وفصاحته ، وبديع أساليبه التي أعجزت الثقلين (الإنس والجن) ، وكان لقضية الإعجاز القرآني اليد الطولى والأثر البالغ في استفادة البلاغة العربية ، واستمداد قواعدها.

3 - كان للأحاديث النبوية الشريفة ، الفياضة بألوان البلاغة من مجـاز ، وتـ صوير وألفاظ جديدة ، وعبارات قشبية ، وأساليب رفيعة بالغ الأثر في إثـ راء الـ درس البلاغي وازدهاره.

¹ - د . محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير ، ص 8

4- كان لأئمة العلماء على اختلاف ثقافتهم ، وعلومهم ، وميولهم الأثر الكبير - في دفع عجلة التطور والازدهار ، والسمو بالبلاغة وإثراء مباحثها.

الفصل الأول

الزركشي وكتابة البرهان في علوم القرآن

المبحث الأول: عصر الإمام الزركشي

- الحالة السياسية
- الحالة الاجتماعية
- الحالة العلمية
- علاقة الزركشي بهذه الأحداث

المبحث الثاني: التعريف بالزركشي

- اسمه ونسبه
- رحلاته في طاب العلم
- ثقافته
- مكانته العلمية
- ألقابه العلمية ومناصبه
- عقيدته وصفاته
- شيوخه وتلاميذه
- وفاة الزركشي
- تصانيفه
- من أقوال العلماء فيه

المبحث الثالث: كتاب البرهان في علوم القرآن

- التعريف بالبرهان
- موضوع الكتاب
- منهج الكتاب وأسلوبه
- مضمون الكتاب
- الغاية من تأليفه
- خلاصة القول

توطئة :

تعد الحضارة العربية الإسلامية – ولا شك - من الحضارات العريقة التي رفدت مسيرة التراث الإنساني بمختلف ألوانه وزركشاته ، وأفانينه ، وميادينه خلال أحقاب وآماد طويلة وعديدة ، فأسهمت بذلك في إثراء الموروث الإنساني ، وإشادة صرح الإنسانية إضافة لمساحات فكرية وعلمية ، وثقافية وفنية وجمالية كثيرة ومتنوعة لامست جميع الحضارات الإنسانية ، فأثرت وتأثرت.

وعلى الرغم من أفول مجدها الغابر ، إلا أنها تركت بصمات واضحة المعالم على صفحات التاريخ ، وأسماء منقوشة على وجه الزمن تنزل غيثاً من سماء العلم والمعرفة ، وتتلاً أنجوما لامعة ، وأعلاما مرفرفة ، يسطع نورها وذكرها في النفوس . وما نالت الحضارة العربية الإسلامية هذا الشموخ والعلاو إلا بجهود أولئك العلماء الفطاحل ، والأدباء الجهابذ ، والمفكرين الأساطين ، الذين برزوا في حقول معرفية متشعبة ومتباينة ، وبلغوا بها شأوا بعيدا ، وشأنا عظيما ، حتى عدوا مفخرة للدراسات الجادة ، والأبحاث القيمة النفيسة التي آتت أكلها في كل حين بإذن ربها .

وقد حظيت العلوم الدينية على مختلف مشاربها ومصباتها بعناية بالغة من قبل الفقهاء والعلماء - وتبلورت في بعث علوم الدين في الأصول والفروع .

كما اتسعت دائرة التأليف في مجالات العلوم القرآنية ، لاسيما تفسير القرآن ، وعُتت فيه روح الجدة والإبداع ، والابتكار ، وحسن التأليف والتنسيق ، مما أدى إلى نبوغ الكثير من العلماء الأفاضل ذاع صيتهم ، وطارت شهرتهم تجوب الآفاق .

ومن هؤلاء الإمام الزركشي صاحب التأليف الكثيرة ، والتصانيف القيمة المتنوعة المعروفة بصاحب البرهان في علوم القرآن . الذي هو محط بحثنا ، وموضوع دراستنا وقبل التطرق إلى التعريف به، وجبت الإشارة ولو بشئ من الإيجاز إلى ملامح عصره وهذا ما سنتعرض له بشئ من التفصيل .

الحالة السياسية :

في القرنين السابع والثامن الهجريين تمزق شمل المسلمين وتفرقوا طوائف وشيعا وصاروا أشتاتاً وطرائق قددا ، مما أدى إلى تريبص الأعداء بهم ، وازدادت أطماعهم في البلاد العربية و الإسلامية . وكانت حملات التتر والمغول تتكالب على المسلمين يوما بعد يوم ، وأثخن المغول في البلاد الإسلامية جراحات غائرة وجرعوها المآسي وعاثوا في الأرض فسادا ، فأهلكوا البلاد والعباد . وفي هذا السياق يقول ابن الأثير¹ : " ولقد أزال المغول معظم معالم الحضارة في البلاد التي تعرضت لغزوهم واحتلالهم ، وقتلوا قسما كبيرا من السكان ودمروا كثيرا من مظاهر العمران " ¹ ، إلا أن أوضاع المسلمين ما لبثت تهدأ بعض الشيء ، والجراحات تندمل لأسباب عدة منها :

أ- اعتناق بعض القبائل المغولية للإسلام .

ب- دخول الدولة العثمانية إلى البلاد الإسلامية ، وبسط نفوذها .

ج- تحرك الفتح الإسلامي ، وهزيمة زعماء البلقان ، وانكسار الجيوش الصليبية.

ولا شك أن هذه الأسباب كانت الصحة التي أعادت الثقة والأمل للمسلمين بعد ديار أس وانكسار .

كما أن الاضطرابات الداخلية زعزعت كيان الدولة الإسلامية على كبر الجديـ دين وخاصة ذلك الصراع والتطاحن والتقاتل الدائر الرحي بين تلك الدويلات المتدثرة في اليمن والحجاز ، وبلاد الجزيرة ، وبلاد فارس ، والشام ، ومصر وغيرها.

وعلى وقع هذه الأحداث الأليمة ، كانت الحالة السياسية للبلاد الإسلامية على شفا جرف هار يندرج بالخطر . إلا أن أقيض لمصر في مطلع القرن الثامن الهجري حاكما صالحا ورعا ، تقيا ، راجح العقل ، صاحب حكمة ، وبعد نظر ، تمثل في شخص الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي استطاع أن يعيد التوازن للمسلمين ، ويغير ميزان القوى ، ويعلي

¹ - ابن الأثير ، عز الدين على بن محمد الجزري ، الكامل في التاريخ ، بيروت (د ط) ، 1965 م ، ج 12 ، ص 148

من هممة المسلمين ، وذلك من خلال إنكاء جذوة الإيمان ، إلا أن يد المنون تخطفته قبل أن يقيم أركان الدولة الإسلامية على أقدامها ، إذ توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية (741هـ).

ثم تولى بعده ابنه سيف أبو بكر ، ولكنه لم يكن بهمة والده ، ولم يستطع أن يتمم ما أقامه والده ، فكثرت الخلافات والنزاعات ، وأطالت الفتنة برأسها من جديد ، وعادت الصراعات تحمل أصنافا من الجور ، وضروبا من الحيف .

وخر السقف بعودة نفوذ الأمراء ، وانتكس المسلمون وعادوهم الألام والوجع ، وانتشر فيهم الداء ، واتسع الشرخ ، مما أدى إلى سقوط دولة المماليك البحرية في سنة أربع وثمانين وسبعمائة (784هـ) وظهور دولة المماليك الجراكسة ، وأول ملوكهم الملك الظاهر برقوق بن أنس الذي أشعل حربا ضروسا بينه وبين سابقه ، مما أدى إلى إضعاف المسلمين وتفريق شملهم وكلمتهم ، وتمزيق ما بقي من صفهم .

الحالة الاجتماعية :

والظاهرة اللافتة للنظر في هذا العصر عذت في انقسام المجتمع إلى طبقات

متعددة ومتباينة تمثلت في ثلاث طبقات:

أ- طبقة الحكام.

ب- طبقة العلماء.

ج - الطبقة العامة.

فطبقة الحكام تمثل أعلى الطبقات ، لأنها تحظى بالنفوذ والجاه ، وتمثل سلطان الحكم وقوته ، أما طبقة العلماء فكانت لها منزلة خاصة ، ولها السمع والطاعة ، خاصة في أمور الدين ، أما الطبقة العامة ، فكانت تركز تحت سلطان الأمراء ، وترصد له ، وأغلبهم كانوا زراعا وصناعا ، وتجارا في المال القليل ، ولذلك قال ابن خلدون واصفا لهم : " فهم الذين عليهم الكد والكدح ومتاعب الحياة الإنسانية " ¹

¹ - ينظر ، أيمن عبد الرزاق الشوا ، والإمام ابن قيم الجوزية وأراؤه النحوية ، دار البشائر الطباعة والبشر والتوزيع دمشق ، ط 11995 ، ص 22

² - مقدمة ابن خلدون ، دار المعرفة بيروت ، (د ط) 1968 ، ص 434

ونظرا للطبقية المتفشية في البلاد ، نجم عنها معضلات اضطبغت بها الحياة ، وانعكست سلبا على الناس ، وتمظهرت في طغيان الظلم والتغطرس ، والسطو على الأمم - وال ، واختلاسها والاستحواذ عليها بغير وجه حق . كما عم الفساد والانحلال الخلقي حتى راجت تجارة الحشيش ، وغدت مباحة لا تقيدتها قيود ، بل صارت تباع جهارا في كل مكان وزمان والدولة لا تحرك ساكنا. إلى جانب هذا شيوع الفاقة ، وانتشار العوز ، وكثرت الأمراض ، والأوبئة وتفاقمت الأمور ، واستعصى علاجها ، والفساد ضاع عليها . وعلة ذلك انصراف الدولة عن مشكلات المجتمع وهمومه إلا لماما ، وفي حالات من إدارة لمحاولة الإصلاح.

الحالة العلمية :

على الرغم من المشكلات السياسية التي أقضت مضجع الدولة الإسلامية ، وأقلقت راحة الخلق سنين عددا . إلا أن المجتمع الإسلامي لم يخل من الرجال الربانيين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية ثقيلة ، وعبئا أثقل من أجل خدمة العلم بكل إخلاص . ففي هذا العصر قد ألفينا كثيرا من العلماء زهدوا في السلطان ، وضحوا بالجاه والمال لخدمة العقيدة والدين ، واجتهدوا في نشر العلم لطلابه ومريديه . ومن العلماء الذين سبقوا الزركشي الإمام المجاهد ابن تيمية الذي أبلى بلاء حسنا في المعارك لدى السلطان وجنوده بإشغال جذوة الجهاد ، وإنكاء قبس الإيمان . ومن أولئك شيوخ الزركشي الذين أخذ عنهم ومنهم أفاد علما كثيرا . ولا مماراة في الأمر أن ثبات أولئك الجهادية من العلماء انتشل البلاد من قيود الجهل وسيمال الضلال ومنقذا للأمة من تلك الطوائف والمال والنحل الضالة المضلة ، وكانوا بمثابة الدرع الواقي ، والترس الحامي لجسد الأمة من ضربات الإلحاد والوثنية ، ومن خطر الزندقة الزاحف الجارف.

كل هذه المحن انبرى لها هؤلاء العلماء الأجلاء برباطة جأش ، وصبر لا ينفذ وعزيمة لا تقهر ، ونور من لا ينطفي .

علاقة الزركشي بهذه الأحداث :

المدقق في عصر الزركشي وما اكتنفه من أحداث عظماء ، وتصدعات وشروخ شاسعة وطوائف منكرة وغيرها ، لم تكن لتقف عقبات كأداء في وجه الزركشي ، وإنما اتخذ منها مطية لبلوغ مآربه وغاياته ، فلم تنفد به هذه الظروف والمحن والأهوال ، عن طلب العلم والتفرغ له ، والاستزادة منه ، وملازمة شيوخه من جهة . والزهد في الحياة والانعزال عن الناس تعمدوا ، ومن أجل الاعتكاف على التأليف والتنصيف من جهة أخرى كما أن تلك الظروف الحالكة والخطوب القاسية لم تقف حائلا أمام الرجل لمحاربة الأعداء بقلمه السيل ، وفكرة الغزير المستنير ، فألفيناه يكتب عن الركن الـركين مـن أركـان الإسلام ، وهو العقيدة محاربة للوثنية والزندقة والإلحاد.

وصنف في تحريم الحشيش المتفشي في المجتمع بصورة بشعة ومندرة بالخطر . كما نجده يعتني بالطبقة العامة من الناس وطبقة العلماء المصنفين فكان يفكر في العامة بعمق لتحديد المشكلة والحكم الشرعي فيها ، وكان يرى أن هذا هو الحل الأنجع ، والعلاج المفيد للمجتمع .

أما طبقة العلماء ، فكان ملازما للشيوخ منهم ، ينهل من علمهم الـصافي ، ليكـون لنفسه زادا معرفيا يساعده على عوادي الزمن ، وظلمات الجهالة المتفشية فـي عـصره وإنارة الدروب لأبناء جلدته وغيرهم . فعكف على العلم طلبا واستزادة وتصنيفا ، وتأليفا واستفادة ، وإفادة . مع العلم أن أعماله لم تخل من النكت والفرائد ، وفي أعماله حـرص كبير عـلى الخيـر والبـعد عـن مخـاطر الـسلطان وفـتن المـجتمـع .

التعريف بالزركشي :

الإمام الزركشي علم من أعلام القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وإمام من أئمة الإسلام ، شافعي المذهب ، وأحد الفطاحل المشهود له - م ب - النبوغ والاجتهاد ، وعمدة في التأليف والتصنيف ، وحجة في العلوم الدينية ، ومنازة للعلم ومفخرة العلم - ماء بالديار المصرية .

كرع من معين الثقافة الإسلامية ، ونهل من علومها الصافية الغراء ، فكان جماع ذلك كله أن عرف الزركشي بالمحدث ، والأصولي ، واللغوي ، والأديب ، والفقيه - ه - المتمرس ، الكفاء . ومؤلفاته جميعها تصطبغ بهذا التلوين الثقافي الفكري المنقطع النظير .

اسمه ونسبه :

تتفق كتب التراجم على أن اسمه الكامل هو :

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر المنهاجي الزركشي¹

اسمه محمد بهادر بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد الله ، ويلقب ببدر - در - الدين ، يع - رف بالمصري² ؛ لأنه مصري المولد والنشأة والوفاة ، ويقال له ، التركي باعتبار أصله ، لأن أباه كان مملوكا لبعض الأكابر³ .

ويعرف - أيضا - بالزركشي ، لأنه احترف صناعة الزركش وهو صغير ، وكان يلقب - ب أيضا بالمنهاجي ، لأنه حفظ المنهاج في الفروع للإمام النووي في سن مبكرة⁴ .

ولادته ونشأته :

تتفق كتب التراجم على أن الزركشي أبصر النور سنة خمس وأربعين وس - بعمائة (745) للهجرة في القاهرة.

¹ - أبو بكر هداية الله الحسيني ، طبقات الشافعية ، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ، (تح) ، عادل نويهض ، ط2 ، 1979، ص242

² - الزركشي ، المنثور في القواعد ، (تح) ، د. تيسير فائق أحمد محمود ، ج1، ط1، 1986 ، ص40

³ - م ، ن ، ص40

⁴ - م ، ن ، ص40

ينحدر من أسرة مغمورة مطمورة ، لم يكن لها باب من الشهرة ، أو الوجاهة. فهي أسرة فقيرة تدين بالإسلام، وتعيش في بلاد إسلامية ، وكان والده مملوكا .

يقول تيسير فائق أحمد محمود : "فإن أباه كان مملوكا لبعض الأكابر"¹

إلا أن الحالة الاجتماعية التي نشأ عليها الزركشي كانت دافعا قويا ، لأن يشق دربه إلى قمم العلم ومسالك النبوغ ، إذ استهل حياته بتعلم حرفة تساعد على الحياة ، وتقيه عوادي الزمن ، ونوائب الدهر ، فألفيناه يمهر ويبرع في حرفة الزركش ، ولكن هممة الرجل السامقة لم تقف به عند هذا الحد ، بل راح يعب من العلوم والمعارف ويستزيد منها دون ملل أو كلال . فوجدناه يختلف إلى حلق العلم منذ نعومة أظافره ، ويومها كانت القاهرة تـمـور بالحركة والنشاط ، وتغص بالمدارس ، وتحفل بالعلماء ، وتزدان بالأدباء، وتزدحم بـرجالات العلم ، كما كانت تزخر بالمكتبات الخاصة والعامة.

وما فتئ الزركشي ينتظم في حلقات الدروس حتى لاحت عليه أمارات النجابة وسـيـما النبوغ والتفوق . تتلمذ على أيدي شيوخ القاهرة الجهابذة وقتئذ ، ف لازم الشيخ جمال الدين الإسـنوي رئيس الشافعية بالديار المصرية ، وتتلمذ على يديه ، ونهل من علمه الوافر ، حتى فاق أقرانه ، فكان أنجبهم وأذكاهم ، وأوعاهم ، كما تخرج على الشيخ سراج الدين البلقيني والحافظ مغطاي وغيرهم من شيوخ مصر وعلمائها.

رحلاته في طلب العلم :

لم تتسع الرحلة عند الإمام الزركشي ، فلم تذكر له كتب التراجم إلا رحلتين

الأولى : إلى حلب .

والثانية : إلى دمشق .2

فألفيناه يشد الرحال إلى حلب ، فيأخذ الأصول والفقه على يد الإمام شهاب الدين الأذرعي ثم يمم وجهه شطر دمشق ، ليأخذ الحديث وعلومه على يد العالم الفذ الجليل:الحافظ ابن كثير.

1- الزركشي ، المنشور في الفوائد ، ج 1 ، ص 40

2- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 7

ثم ألقى عصا التسيار بمسقط رأسه القاهرة ليتفرغ بعدها للتدريس والإفتاء والتأليف والانكباب على القراءة والمطالعة ولعل سائلا يسأل : لم إذا ضاقت الرحلة عند الزركشي؟

الجواب في اعتقادنا ، ربما علة ذلك أن القاهرة وقتئذ كانت قبلة للطلبة ، وكعبة للمريدين لما عرف عنها من تطور في المجال العلمي والتعليمي ، كما أنها كانت من أهم الحواضر العلمية والثقافية ، وكان بها لفي ف من خيرة العلماء والأئمة المبرزين المشهورين ، المشار إليهم بالبنان ، لغزارة علمهم ، ونبوغهم ، وتمكنهم في علوم شتى ، ومعارف جمّة وميادين متنوعة ، ولذلك لم تنل الرحلة نصيبا وافرا ، وحظا واسعا لدى الإمام الزركشي فقد كفته القاهرة مؤونة السفر والرحلة .

ثقافته :

والزركشي منذ صغره كان محبا للعلم ، مولعا بالقراءة ، شغوبا بالمطالعة ، ملازما للشيوخ ، ومنتظما في حلق الدروس ، سائحا بين الكتب ، منوعا في مصادره ، صابرا مرابطا ، ويروى أنه لم يشتر كتابا قط ، بل كان يلزم حوانيت الكتب يقرأ ، وفيه م ويستوعب ويدون صفوة ما يقرأ على ظهور أوراق كان يستصحبها معه ، وفي هذا السياق يقول ابن حجر: "وكان منقطعاً في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب وإذا حضر إليها لا يشتري شيئا ، وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره ، ومعه ظهر أوراق يعلق فيها ما يعجبه ، ثم يرجع ، فينقله إلى تصانيفه" ¹ ويشير ابن حجر - أيضا - إلى شغف وتعلق الزركشي بالمطالعة ، والاعتكاف على أمهات الكتب قراءة وفهما وانتقائها وتدوينها قائلا : "بل كان يقضي نهاره في حوانيت الكتب يقرأ ويفهم ويدون ما يروق له" ² فثقافة الزركشي في الأساس كانت ثقافة دينية أصيلة ، وجعل علوم القرآن وأفانيه على وجه الخصوص همه ووكده ، ولذلك ألفنا أغلب تصانيفه تدور حول الفقه ، والأصول والحديث ، والقرآن ، والتفسير وكل ما له صلة موصولة بحقل الدراسات القرآنية والدينية .

1- الزركشي ، البرهان ، ج 1 ، ص 7

2- المصدر نفسه ، ص ن

بيد أن هذا التوجه إلى العلوم الدينية لم يصرف الرجل عن التلقت إلى علوم أخرى ذات صلة بما سلف من الدراسات ، بل تعد من الأصول و الأساسات المتينة ، كاللغة ، والنحو وعلوم البلاغة .

وثقافة الزركشي تتسم بالموسوعية في العطاء والدقة في التحليل والتعليق والموضوعية في الطرح والإقناع ، كما أنها تصطبغ بصبغة دينية ذات جذور إسلامية أصيلة ، وهي ثقافة عربية قحة لم تشبها شائبة من الثقافات الأعجمية المثقلة بالتوجهات الفلسفية والتيارات المتنازعة.

ومن ثم ، إن ثقافة الزركشي أساسها ثقافة دينية تضرب في الأصول ، والفقه ، والحديث وعلوم القرآن بسهم وافر ، كما اتسعت للفنون الأدبية والعلوم البلاغية والنحوية واللغوية. وهكذا كان الزركشي محصلا للعلم ، جماعا للمعرفة ، مستوعبا لأصـولها وفروعها مضفيا عليها وشيا وجمالا من بنات أفكاره وعصارة جهده ، لا تشـي عزمه العقبات الكاداء ولا تقف في سبيله العوائق والسدود.

مكانته العلمية :

تبوأ الإمام الزركشي مكانة مرموقة عند العلماء خاصة والعامة من الناس ، لمـا يحمله من علم غزير وثقافة واسعة ، وما تحلى به من أخلاق فاضلة ، وخصال حميدة وفي هذا السياق أشار تيسير فائق أحمد محمود إلى علو منزلة الزركشي العلمية وتـلـون ثقافته وزركشتها قائلا: "فكان محدثا أصوليا وفقها ولغويا وأديبا، وانعكست أضواء ثقافته على مؤلفاته ، فهو أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن الهجري".¹

1 - الزركشي ، المنشور في الفوائد، ص 40

كما كان الزركشي مقصدا للطلاب ، وكعبة للمريدين ، وقبلة للعلماء ، يعبون من علمه الوافر ويحتذون بأخلاقه الرفيعة وسيرته الطيبة ، وسيرته الصافية ، ومما يبرز مكانته العلمية ، وشدة ولعه بالعلم ، والانقطاع له ، والاشتغال به ما رواه تلميذه شمس الدين البرماوي قائلا : "أنه كان منقطعاً إلى الاشتغال بالعلم لا يشتغل عنه بشئ ، ولاه أقراب يكفونه أمر دنياه"¹

ومما يشير أيضا إلى عظمة الزركشي في المذاهب العلمية تفرسه بالتأليف والتصنيف في سن مبكرة من حياته ، حيث بدأ التأليف وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، أشار إلى ذلك صاحب الدرر الكامنة قائلا : "يصنف الكتب وهـ و في الرابعة والعشرين لجدير بالمكانة العلمية العالية"² كما توضح مسيرته الحياتية مدى حرصه على الوقت واستغلاله أحسن استغلال والعمل على استثماره على الوجه الصحيح والأكمل ، فتراه يرتاد حوانيت الكتب يستفيد من كتبها ، أو يلزم شيخا يفيد من علمه ، أو معتكفا في بيته على كتاب يدرس مسائله ، أو يؤلف ويستمر على هذا النحو دون انقطاع ، أو فتور . وفي صدد الإشارة إلى مكانة الزركشي في الشروحات والحذق في التأليف ذكر الحافظ ابن حجر في معرض حديثه عن شرح الزركشي لكتاب المنهاج في الفروع للإمام النووي قائلا : "هو أنفع شروح المنهاج على كثرتها"³ صنف إلى ذلك كثرة مصنفاته التي تعد أكبر شاهد على سعة علم الرجل ورسوخ قدمه في التحصيل والتأليف كما شهد له كبار العلماء وأساطين الباحثين بسمو كعبه ، وعلو شأنه في ميادين العلم والمعرفة ، فكان خليفاً أن ينال تلك الشهرة ، وذلك الشأو البعيد ، فأكثر العلماء الأجلاء الذين جاءوا بعده استفادوا من مؤلفاته ، وأفادوا بها معرفة وعلماً ، فكان مثلاً حياً في الفقه وعنواناً في الأصول ، وأنموذجاً للمحدث البار الذي لا يشق له غبار ، وأديباً فذاً ، وناقداً متميزاً .

1 - البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 8

2 - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة تح محمد سيد جاد الحق ، القاهرة 1966 ، (ب ط) ، ج 3 ، ص 397

3 - الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1980 ط 5 ، مج 6 ، ص 61

ألقابه العلمية ومناصبه :

ذكرنا فيما سلف أن الإمام الزركشي تربع على مكانة علمية كبيرة لما قدمه من عمل جليل وخلق فضيل ، وهذه الأعمال الجليلة النافعة القيمة ألبست الرجل ألقابا علمية كثيرة وبوأته مناصب ورتبا راقية شهد له بها الداني ، والفاصدي ، وبقيدت وسام اسـتحقاق ووشي تفوق وسم به الزركشي على مر الدهور ، وكر العصور . فمن هذه الأوصاف والألقاب العلمية التي خلعتها العلماء على الإمام الزركشي قولهم : بأنه عالم علامة .

وقالوا : المفتي وهو من الألقاب العلمية الرفيعة ، والتي لا تطلق إلا على من شهد له بغزارة العلم ، والتفوق ، والألمعية ، والتقوى ، والورع ، والصلاح ، والزركشي قمين بذلك كله . ومن ألقابه العلمية - المصنف - فقد برع في هــذا الجانب وأبدع ، وآثاره شاهد عيان على أحقية هذا اللقب .

كما أسبغوا عليه لقبا علميا خصصه تخصيصا دقيقا ، وهو مرتبط بحفظه وعنايته به بالمنهاج في الفروع للإمام النووي ، وهو مازال صغيرا فقل عنه : " المنهاجي " ، فهـو أوثق من اعتنى بهذا المؤلف ، وأبدع في شرحه ، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر¹ . أما عن المناصب العلمية ، فقد تقلد الزركشي مناصب علمية نالها بعلمه وتفوقه ونبوغه إذ تولى منصب الإفتاء والتدريس ، يقول عادل نويهض : " سمع بحلب ودمشق ودرس وأفتى "2 ، كما تولى مشيخة خانقاه كريم الدين *بالقراة الصغرى بمصر³

1 - ينظر ، الزركلي ، الأعلام ، مج 6 ، ص 61

2 - عادل نويهض ، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، لبنان ، ط3 1988 ، مج ، ص 505

3 - المنثور في القواعد ، ج1 ، ص 44

*" خانقاه كريم الدين " نسبة إلى كريم الدين وكيل السلطان ، وإليه ينسب الجامع الكرمي بالقبيبات أما " خانقاه فلا تزال موجودة في الشارع الجمالية بالقاهرة باسم جامع بيبرس " ينظر ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج12 ، ص 134

والمشيخة منصب علمي راق لا يناله إلا من برز على أقرانه ، وفـافهم علمـا وكياسـة وفطانة إلى جانب ذلك تولى إيوان الشافعية بالديار المصرية¹

عقيدته وصفاته:

تجمع كتب التراجم أن الزركشي مسلم العقيدة ، فقيه شافعي المذهب وإمام من أئمة الإسلام يقول عادل نويهض :

" الزركشي فقيه شافعي أصولي مفسر"²

ويقول تيسير فائق أحمد محمود في معرض حديثه عن الزركشي أنه : "إمـام مـن أئمة الإسلام وعلم من أعلام الشافعية"³

أما عن صفاته وأخلاقه ، فكان يتسم بأخلاق رفيعة وصفات جلية ، ومثـالا حيـا للتواضع ، وأنموذجا من الطراز الأول في المحافظة على الوقت ، والحرص على تـثمينه ، وإتقانه في العلم والمعرفة . يقول محمد أبو الفضل إبراهيم : "وكان رضي الخـلـق محمود الخصال ، عذب الشمائل ، متواضعا رفيقا ، يلبس الخلق من الثياب ، ويرضى بالقليل من الزاد ، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا ، أو شؤون الحياة"⁴ كما كان حاذقا بالعلوم ، ذواقا للفنون ، نقادة بصيرا ولم يكن جماعا دون تمييز بين غـث وسمين ، بل كان له في كل علم جولة وصولية تشهدان له بالبراعة والإتقان والحدق. ومن سماته - أيضا - التواضع في العلم والموضوعية في الإفادة ممن سبقوه.

1 - المنثور في القواعد ، ج 1 ، ص 44

2 - عادل نويهض ، معجم المفسرين ، مج 2 ، ص 505

3 - المنثور في القواعد ، ج 1 ، ص 40

4 - البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 8

يقول: "اعلم أن بعض الناس يفتخر ، ويقول : كتبت هذا وما طالعت شيئا مـ ن الكتب بـ ويطن أنه فخر ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ، فإنه لا يعلم مزية ما قاله إلا إلى ما قيل ولا مزية ما قيل إلى ما قاله ، فبماذا يفتخر" 1؟

كما عرف بزهده وورعه وتقواه ، وآية ذلك أنه كان منقطعاً عن الدنيا ، ولم يشغله بهرجها ومفاتها ، وكان همه الوحيد الاستزادة من العلم والعب منه

ومما يدل على تواضعه أثناء التصنيف والتأليف قوله : "ومع هذا ما كتبت شيئا إلا خائفاً من المستعينا به ، معتمداً عليه ، فما كان حسناً فمن الفضله ، وما كان ضعيفاً فمن النفس الأمارة بالسوء" 2 وتواضعه هذا يذكر بما قاله والد الشيخ متولي الشعراوي - رحمه الله - لابنه أثناء طلبه للعلم والتحصيل الموصول إلى قمم العلم ، والإمام ساك بعري : "والعلم لا تتأتى فتوحاته إلا بالتواضع" 3

والتواضع من أجل الصفات الخلقية التي تبلغ بصاحبها إلى الدرجات العلى عند الله وعند الناس .

مما سبق ذكره نخلص إلى أن الإمام الزركشي منذ صغره أكب على العلم والفضيلة ومجاهدة النفس حتى بلغ شأواً بعيداً ، فكان عالماً فاضلاً ، زاهداً ، ورعاً متنبهاً عن بهرج الدنيا وأطماعها ، بل تركها لعشاقها والمتكالبين عليها ، والاطامعين فيها والمتهاكين على متاعها الزائل ، ولذاتها الزائفة ، كان راضياً بالقليل ، والعيش الكفيف فغذت حياته كلها ورعاً ، ومجاهدة للنفس ، وتقللاً من الدنيا ومتاعها.

1- الزركشي ، تصحيح العمدة ، تح ، د ، مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني ، ج 1 ط 1 ، ص 10

2 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 10

3- محمد الصديق المنشاوي ، الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، ص 78

شيوخه :

تتلمذ الزركشي على يد ليف جم من علماء عصره وزمانه في علوم شتى ، منها :
علم القراءات ، والأصول ، والشعر ، والنحو ، واللغة ، وعلا-وم البلاغة ، والتف-سير
وغيرها.

وشيوخ الزركشي كثر ، لا يمكن إحصاؤهم وعددهم ، وبالتالي س-نكتفي ب-ذكر أش-هرهم
لاسيما من كان له الأثر الواضح والعميق في تكوينه العلمي ، وبناء معالم شخصيته.

من هؤلاء :

1- **الإسنوي (ت/772هـ) ، عبد الرحيم بن الحسن بن عمر ، أبو محمد جمال الدين**

: فقيه شافعي ، مفسر ، أصولي ، ومن علماء العربية ، ولي وكالة بي-ت المال
والحسبة ، ودرس التفسير بالجامع الطولوني ، انتهت إليه رئاسة الشافعية ، تتلمذ
على يده خلق كثير ، منهم الزركشي الذي لازمه ، ونهل من علمه الوافر ، فك-ان
من أنجب تلاميذه ، وأوعاهم ، وأفضلهم ، وأنكاهم . وله ت-صانيف كثي-رة م-ن
أهمها شرح أنوار التنزيل في التفسير للبيضاوي ، ت772هـ- "1"

2- **الأذرعي (ت/783هـ) ، أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد ، أبو العباس**

شهاب الدين فقيه شافعي: واد بأذرعات الشام ، وتفقه بالقاهرة ، وول-ي نيابة
القضاء بحلب له تصانيف كثيرة منها : شرح المنهاج على ش-رحين ، أح-دهما :
غنية المحتاج ، ثمانى مجلدات ، والثاني : قوت المحتاج ثلاثة ع-شر ج-زء ،
الحلبيات في مجلد ، وغيرها توفي في حلب 783هـ . تتلمذ على يديه الزركشي
فأخذ عنه الفقه والأصول في حلب "2"

¹ - عادل نويهض ، معجم المفسرين ، مج 1، ص 280

2 - الزركلي ، الأعلام ، مج 6 ، ص 188

3- أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع الفرشي البصري ث-م
الدمشقي ، عماد الدين ، حافظ : مؤرخ فقيه ولد في قرية من أعمال بصرى الشام
له تصانيف قيمة منها : البداية والنهاية ، شرح صحيح البخاري ، طبقات الفقهاء
الشافعيين ، وتفسير القرآن الكريم وغيرها ، أخذ عنه الزركشي الحديث وعلومه
في دمشق . ت. 774هـ - بدمشق¹

تلاميذه :

تلقى على يد الزركشي العلم جمع غفير من الطلبة والمريدين ، فأخذوا عنه
المعرفة في مختلف الميادين والمجالات ، كما تزودوا منه بالخلق الرفيع ، والتقى
والإيمان والورع .

نذكر منهم :

- شمس الدين البرماوي المتوفي سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة للهجرة
(831هـ -)
- ابن حجي : عمر بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي الدمشقي
الشافعي المتوفي سنة ثلاثين وثمانمائة للهجرة . (830هـ -)
- كمال الدين الشمني : محمد بن حسن بن محمد السمني ، ث-م
الأسكندري المالكي المتوفي سنة إحدى وعشرين وثمانمائة للهجرة
(821هـ -).
- عمر بن عيسى سراج الدين الوزوري المتوفي سنة إحدى وسبعين
وثمانمائة للهجرة وغيرهم² (861هـ -)

1 - م ، س ، مج 1 ص 320 ، وينظر ، ناصر بن سعود بن عبد الله السلامه ، معجم مؤلفات العلامة الزركشي الشافعي ، دار الفلاح ، مصر (د)

(د ط) ، ص 65

2 - المنثور في القواعد ، ج 1 ص 41

ومن أشهر هؤلاء ، وأكثرهم رواية ، وملازمة للزركشي شمس الدين البرم -أوي وه- و محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني ، أبو عبد الله شمس الدين : عالم بالفقه والحديث ، شافعي المذهب مصري أقام مدة في دمشق وتصدر للإفتاء والتدريس بالقاهرة له تصانيف كثيرة ومشهورة منها :

شرح الصدور بشرح زوائد الشذور في النحو، ومنظومة في الفرائض ، وكتاب اللامع الصحيح على الجامع الصحيح في شرح البخاري . تتلمذ على يد الزركشي ولازمه . وحصل عليه العلم في جميع الفروع ت 831هـ - في بيت المقدس¹

وفاة الزركشي:

بعد مسيرة علمية زاخرة بالعطاء العلمي ، والثراء الفكري والعمل الجاد -دؤوب والاجتهاد المتواصل الحافل بالتأليف والتصنيف، انطفأت شمعة م -ن ش -موع الح -ضارة العربية الإسلامية ، تاركة وراءها قبسا يتوهج على مر العصور والأحقاب و الأزم -ان ، يهتدي به الحيارى في غياهب الجهل وظلماته، وتتزود منه الأجيال ، وتتخذ منه خير ظهير على مواجهة معترك الحياة ، والوقوف سدا منيعا أمام أخطار التغريب، وهمجية الت -ضليل وزحف التيارات المدمرة ، الهادمة للشخصية، الطامسة لكل الثوابت ، والمحطمة لكل فكر مستنير بناء.

هذا وكانت وفاته يوم الأحد ثالث شهر رجب سنة أربع وتسعين وسبع مائة (794هـ -) بإجماع مترجميه ، ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة بكنمر ال -ساقى يرحم -ه ا بالقاهرة²

1 - - الأعلام ، مج 6 ، ص 188
2 - معجم المفسرين ، مج 2 ص 505 ، وينظر البرهان في علوم القرآن ، ج 1، ص 8 ، وينظر الأعلام مج 6 ، ص 61

تصنيفه :

لا يخفى على أحد أن الزركشي أنفق حياته في طلب العلم والتأليف ، فكأن نتاج ذلك وثمرته إثراء المكتبة العربية الإسلامية بما قدمه من ع-صارة م-سيرته العلمية- مؤلفات بقيت شهود عيان على عظمة الرجل ، وشموخ قدره ، ورسوخ قدمه في العلم-م ، وأبانت عن أصالة ثقافته ، وعمق فكره ، وبعد نظره ، وصفاء قريحته ، ونقاء علمه م-ن كل ما هو دخیل ممجوج مفسد للعقل ، مشوه لثقافة الغير.

1- وكان أغلب مصنفاته في علوم القرآن ، والفقه ، والأصول ، والحديث ، وهي - ولا ريب - تكشف عن عمق معرفته بعلوم الدين ، ومدى استيعابه لها وتمرسه بها حتى غدت مؤلفاته في هذا الحقل ملاذ الدارسين والباحثين والمتلقين في كل عصر وزمان . كما كانت له بعض المؤلفات في علوم البلاغة ، والنحو ، والأدب لا تقل شأنًا عن سابقتها.

ومما سبق يتضح في الأذهان وضوح الشمس في رابعة النهار أن مؤلفات الإمام الزركشي ذات أهمية بالغة ، وعلى جانب من النفاسة بمكان ، ولذلك سأعرض جل تأليفه التي وقفت عليها من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن الطبعة المحققة من قبل محمد أبو الفضل إبراهيم الذي عرج فيها على أغلب ت-صانيف الزرك-شي المخط-وط منها-ا والمطبوع على حد سواء، كما أشير إلى مصنفات أخرى لم يذكرها محقق البرهان وعرض إليها محقق المنشور في القواعد للزركشي ، تيسير فائق أحمد محمود.

وعادل نويهض صاحب معجم المفسرين وهي على التوالي :

- الإجابة لإيراد مااستدرسته عائشة على الصحابة .
- إعلام الساجد بأحكام المساجد.
- البحر المحيط في أصول الفقه، ونشرته لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتحقيق الأسـ. تاذ أبـ. و الوفـ. المـراغـي سنة 1385هـ .
- البرهان في علوم القرآن ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم.
- تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعي ، المسمى بكتاب فتح الغزيـ. ز على كتاب الوجيز.
- التذكرة في النحو، ذكره محقق المنشور في القواعد ، تـيـ. سير فـ.ائق أحمد محمود.
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع.
- تفسير القرآن، ذكره السيوطي وقال :إنه وصل فيه إلى سورة مريم وكذا أورده صاحب الأعلام ، الزركلي.
- تكملة شرح المنهاج للإمام النووي.
- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح.
- خادم الرافعي والروضة في الفروع .
- خبايا الزوايا في الفروع.
- خلاصة الفنون الأربعة.
- الديباج في توضيح المنهاج.
- ربيع الغزلان في الأدب.

- رسالة في كلمات التوحيد ، وذكره تيسير فائق أحمد محمد - ود فـي المنشور بعنوان رسالة في علم التوحيد.
- زهر العريش في أحكام الحشيش.
- سلاسل الذهب في الأصول ، وذكره تيسير فائق أحمد محمود تحت عنوان سلاسل الذهب في أصول الفقه.
- شرح الأربعين النووية.
- شرح البخاري.
- شرح التنبيه للشيرازي.
- شرح الوجيز في الفروع للغزالي .
- عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان لابن خلكان.
- الغرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر.
- فتاوى الزركشي .
- في أحكام التمني. وذكره تيسير فائق أحمد تحت عنـ وان : أحكامـام الثمن.
- القواعد في الفروع ، ويسمى - أيضا - المنشور في القواعد ذكـ ره تيسير فائق أحمد محمود محققه.
- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة.
- لقطة العجلان وبلة الظمآن في أصول الفقه والحكمة والمنطق
- مالا يسع المكلف جهله.
- مجموعة الزركشي في فقه الشافعي .
- المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر.
- النكت على عمدة الأحكام.

- النكت على ابن الصلاح ، وذكره تيسير فائق أحمد محمد - ود تحت عنوان : النكت على علوم الحديث لابن الصلاح .
- كشف المعاني¹

من أقوال العلماء فيه :

حظي الإمام الزركشي بمكانة عالية لدى العلماء والدارسين ، والذين شهدوا له بالتميز والتفرد في مجالات المعرفة ، واعتبروه نسيجا وحده ، ومثلا للعلماء الكفاء والمصنف الفير ، ولذلك نراهم ينوّهون بعلمه ، وفضله ، لاسيما في الدراسات القرآنية . ومن ثم فلا غرو أن تكثر الأقوال في شخص الإمام الزركشي وعلمه وفضيله خلقه . قال عنه تيسير فائق أحمد محمود : " فهو أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن الهجري"²

وقال عنه أيضا : "فهو عالم من قلة العلماء الذين لم تختصم في أذهانهم ملكات الفقه والأدب وقد تجلّى في مؤلفاته جميعا صفاء الذهن ، وعمق الفكر ، ودقة التحقيق ووضوح الأسلوب"³

وجمع محمد أبو الفضل إبراهيم محاسن الزركشي في العلم والتحصيل والتأليف فقال : " وقد جمع أشتات العلوم ، وأحاط بالأصول والفروع ، وعرف الغامض والواضح ووعى الغريب والنادر واستقصى الشاذ والمقيس ، إلى نكاء وفطنة ، وثقافة وألمعية فأهله كل ذلك للفتى والتدريس والتوفر على الجمع والتصنيف ، واجتمع له من المؤلفات في عمره القصير ما لم يجتمع لغيره من أفاضال الرجال"⁴

¹ ينظر البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 8، 9، 10، 11، 12، 12 ، وينظر المنشور في القواعد ، ج 1 ، ص 42، 43 ، وينظر معجم المفسرين ، مج 2 ص 506.

² المنشور في القواعد ج 1 ، ص 40

³ - م ، ن ، ص 42

⁴ - البرهان في علوم القرآن ص 8

وقال عنه محمد بركات حمدي أبوعلي ، وهو يوضح طريقته في فهم البلاغة العربية وكيفية تناولها : "وأنه اختار طريقة الجاحظ وعبد الفاهر الجرجاني في فهم البلاغة العربية وهي طريقة الأدباء ، وطريقة ذات الأسلوب الواضح غير المتفلسف"⁴

إن أقوال العلماء في الزركشي ومكانته العلمية البارزة كثيرة لا يمكن حصرها في هذا المقام ، وحسبنا منها ما سلف كإضاعة تنير درب المتلقي ليتعرف على شخصية الرجل عن كثب ، ويتلمس مكانم العظمة عنده ، والنبوغ في شتى ضروب المعرفة وصنوفها.

ويكفي الزركشي رفعة وسموا أنه استطاع أن يترك أعمالاً بقيت شاهداً مدى العصر على ثبوت قدمه ورسوخها على بساط تراث الأمة العربية الإسلامية . يبعثها عبق السنين شذاً وأريجاً، يدفعنا إلى العودة إليها نستشرف الماضي لبنني الحاضر والمستقبل في سيرورة مع نواميس الحياة المتجددة والمتواصلة.

1- محمد بركات حمدي أبو علي ، فصول في البلاغة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1983 ، ص173.

التعريف بالبرهان :

البرهان في علوم القرآن كتاب فريد من نوعه، متميز في طرحه، قشيب في أسلوبه. فهو كتاب يحفل بعلوم القرآن والتنزيل ، وحقائق التأويل، وحكمة العـدل عـند مشتهات الأمور، ومن حيث فصاحته، وإعجازه.

كما يعتبر الكتاب محصلة وعصارة ما تلقاه الزركشي من علوم ومعارف ، وما فقهه من العلماء ، وما جمعه واستوعبه من مظان الكتب التي عكف يستخلص زبدتها ، ويستخرج كنوزها ، ويستلهم عبرها .

فالكتاب خلاصة تجاربه ، وثمره زاده المعرفي ، وصفوة أقوال العلماء ، ومحصلة آرائهم على اختلاف نحلهم ، ومللهم وتخصصاتهم ، مـن مـفـسـرين ، ومـحـثـين ، وفقهـاء ، ونحويين وبلاغيين ، وهام جرا.

فجمع أقوالهم في فصول ومحاور مستقلة المعالم ، واضحة الدلالات ، مشبعا الفصول نائبا عن الحشو والفضول ، كما أن الزركشي لم يكن ، جماعا للآراء والأقوال فحسب ، وإنما كان مستوعبا فاقها لما يقرأ، ويحصل ، كما كان ينقد ، ويرجح ، ويضيف مـن علمـه العزيز ، وفهمه المستنير.

قسم الزركشي كتابه إلى سبعة وأربعين نوعا يضاف إليها مقدمة وفصلان تحدث كل نوع من الأنواع عن علم من علوم القرآن . وفي هذا السياق يقول في مقدمته : "إن أولى مـا اعملت فيه القرائح ، وعلقت به الأفكار اللواحق ، الفحص عن أسرار التنزيل ، والكـشف عن حقائق التأويل ، الذي تقوم به المعالم، وتثبت الدعائم ، فهو العصمة الواقية ، والنعمة الباقية ، والحجة البالغة ، والدلالة الدامغة ، وهو شفاء الصدور ، والحكمـم العـدل عـند مشتهات الأمور ، وهو الكلام الجزل ، الفصل الذي ليس بـالهزل ، وسـراج لا يخبـو ضياؤه، وشهاب لا يخدم نوره وسناؤه ، وبحر لا يدرك غوره ، بهرت بلاغته العقـول وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتطافر إيجازه وإعجازه ، وتطافرت حقيقته ومجازه

وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه ، قد أحكم-م الحكيم صيغته ومبناه ، وقسم لفظه ومعناه ، إلى ما ينشط السامع ، ويقرط المسامع ...¹.

ومن خلال هذا التقديم يمكننا أن نستشف النقاط التالية :

1. تلخص علوم القرآن.
2. توضح علومه.
3. تحدد الغايات المقصودة منه.

والكتاب يعد من أهم المصنفات التي ألفها الزركشي ، فهو يمثل جماع القول في علوم القرآن ، والبلاغة ، والنحو ، والأدب . وإذالك قال عنه محمد أبو الفضل إبراهيم: "فجاء كما شاء ا كتأيا فريدا في فنه ، شريفا في أغراضه ، مع سداد المنهج ، وعذوبة المورد وغزارة المادة ، بعيدا عن التعمية واللبس ، نائيا عن الحشو والفضول"².

موضوع الكتاب :

موضوعات الكتاب في أغلبها تدور حول علوم القرآن ومباحثه ، تتخللها لطائف-ة بلاغية وفرائد لغوية ونكت أدبية.

والكتاب على الرغم من تخصصه في الدراسات القرآنية وما يتعلق بها ، وم-ا ي-دور في فلكها ، إلا أنه يضم بين دفتيه كبرى القضايا البلاغية : كعلوم المعاني ، والبيان ، والب-ديع حيث تعرض إليها الزركشي ، وعالجها معالجة تصب في مجال إظهار جماليات ال-رآن الكريم ، وإذالك لم يعن بالتعريفات والتشقيقات والتعقيدات كسابقه، لأن الزركشي لا يسلك مسلك المتفلسفين والمناطق المتأثرين بالثقافات الأخرى ، كالثقافة اليونانية ، والرومانية والهندية وغيرها ، فهو ينتهج منهج الأدباء من أمثال : الجاحظ وعبد القاهر الجرج-اني وغيرهما.

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص19.

² - المصدر نفسه ، ج1 ، ص13.

فذلك كانت نظرة الزركشي إلى المحاور البلاغية التي طرحها في كتاب البرهان - أن في علوم القرآن نظرة جمالية وظف من خلالها المصطلحات البلاغية خدمة للإدراك - راز - جم - ال - التعبير القرآني ، والكشف عن روائعه .

فلرب سائل يسأل لماذا الحديث عن الجوانب البلاغية ونحن بصدد التعريف - ف بموضوع - وع الكتاب ؟

والجواب : لأن مدار بحثنا يركز على الجوانب البلاغية المطروحة في هـ - ذا الكتاب - وعلاقتها بالقرآن الكريم .

أما حجر الزاوية بالنسبة لموضوع الكتاب فيتجسد في علوم القرآن ومباحثه ، واعلم - م أن كل نوع من تلك الأنواع التي تعرض إليها الزركشي إلا وله صلة وثيقة بالعلوم الأخرى التي صاحبت كل نوع ، ولذلك جاءت كل المعارف خادمة للقرآن ، ورافدة لمعانيه - ودلالاته .

وعلى الرغم مما بذله الزركشي من جهود مضيئة في دراسة تلك الأنواع ، ومحاولة إشباع فصولها ، وتجذب حشوها وفضولها مصوباً سهمه نحو الغاية والمرمى ، إلا أنه رأى أن الإنسان لا يمكنه استقصاء نوع واحد منها استقصاء تاماً شاملاً ، مهما حاول . وفي هذا السياق يقول الزركشي : " واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولا - و أراد الإنسان استقصاءه ، لاستفرغ عمره ، ثم لم يحكم أمره ، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والرمز إلى بعض فصوله ، فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير " ¹ .

منهج الكتاب وأسلوبه :

إن نظرة فاحصة في كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي يستشف من خلالها الباحث ، أو الدارس حقيقة جوهرية تبرز في دقة منهجه ومدى إحاطته وشموله فهو يلم أطراف الموضوعات ، ويجمعها من شذات ، مستقصة - صيا - صيا ، منتهجاً الأسلوب العلمي ، معتمداً على الجوانب الذاتية ، وهو في كل مجتهد مبتعد عن التقليل

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 25

والتقليد كما يرتكز في مصنفه على أمهات الكتب يتدارسها وينقدها ، ويمخض زبدتها ، ويشيع الفصول ، ويجنح عن الحشو والفضول . وفي هذا السياق يقول محمد أبو الفضل إبراهيم موضحاً منهج الزركشي من خلال كتابه البرهان : " ويحصي الكتب التي ألفت فيه ، ويشير إلى العلماء الذين تدارس -وه- فأشبع الفصول ، وجمع أشتات المسائل ، وضم أقوال المفسرين والمحدثين ، إلى مباحث الفقهاء والأصوليين ، نائياً عن الحشو والفضول " ¹.

كما يتسم منهج الكتاب بالموسوعية ، فصاحبه ملم بأساليب التأليف منهجاً ، وأسلوباً ، وغزارة في العطاء العلمي ، فهو يضرب بسهم وافر في التحلي بالموضوعية والاطمئنان السليم ، وقوة الحجة ، وسطوع البرهان . ومن ثمة يمكننا أن نلخص خصائص منهجه في النقاط التالية :

- 1- الدقة في الطرح والشمولية .
- 2- تقسيم الموضوع إلى أقسام وجزئيات.
- 3- الإلمام بحيثيات الموضوع في تقص واستقصاء منطوعي النظير.
- 4- غلبة الروح العلمية والموضوعية أثناء المعالجة والطرح .
- 5- الابتكار والاجتهاد.
- 6- إحصاء التأليف والكتب التي تناولت الموضوع الذي يعالجه ، والإشارة إلى العلماء الذين تدارسوه.
- 7- إشباع الفصول ، ولملمة أشتات القضايا والمسائل .
- 8- الاستدلال بأقوال المفسرين والفقهاء والمحدثين وآراء الفصحاء والبلغاء .
- 9- مناقشة الآراء ونقدها بإقامة الدليل والبرهان الساطع .
- 10- الميل إلى الإيجاز والاختصار.

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 13

- 11- كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والشواهد الشعرية.
- 12- اختيار الأساليب الرصينة التي تزخر بها ثقافته اللغوية والأدبية ، موشية برواء-ع اللغة ، ونجائب الأشعار.
- 13- الاعتماد على مصادر أصيلة لها شهرتها ، وقيمتها العلمية ، ووزنها الأدبي .
- أما عن لغة الكتاب وأسلوبه** ، فهو يمتاز بلغة غالية في الج-ودة ، وأسلوب رص-ين وتعبير دقيقة ، كما ينفرد بالسعة والشمول ، ويغلب عليه طابع الموسوعية ، ويعتبر فيه الزركشي مفسرا ومحدثا بليغا .

وفصاري القول :

إن المنهج الذي أسس عليه الزركشي كتابه استفاد منه علماء كثر ، لاسيما ف-ي علوم القرآن والحديث ، والفقه ، والأصول ، فضلا عن علوم اللغة ، والنحو ، و البلاغة .

مضمون الكتاب :

يتألف كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي من أربعة مجلدات ، مة-سمة على سبعة وأربعين نوعا تدور موضوعاتها حول علوم القرآن ومباحثه ، وكل نوع يع-د بحثا قائما بذاته.

استهل الزركشي كتابه بمقدمة وفصلين :

مقدمة الكتاب القيمة ضمنها حديثا جامعا عن القرآن الكريم من حيث بلاغته وفصاحته وإعجازه وتفردته عن كل الأساليب ، حيث حارت فيه الأبواب ، واهت-زت ل-ه الأب-دان وطربت له الأسماع ، وخشعت له النفوس ، واطمأنت بذكره القلوب ، واكتحات ب-وره العيون لما اتسم به من جيد النظم ، وفصيح بيان ، وبلغ عبارة إلى جانب فريدة عجائب-ه التي لا تنقضي ، وأسراره التي لا تنتهي ، فهو ينبوع يتدفق دررا ، ويزخ-ر بالفرائد واللطائف ، وفي هذا السياق يقول الإمام الزركشي : "فسبحان م-ن س-لكه ين-ابيع ف-ي القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب، لا يستقصي معانيه فهم الخ-ق ، ولا يح-يط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق ، فالسعيد من صرف همته إليه ، ووق-ف فك-ره

وعزمه عليه ، والموفق من وفقه لتدبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكره ، فهو يرتفع منه في رياض ، و يكرع منه في حياض¹.

أما الفصلان :

فـ الأول : تحدث فيه عن علم التفسير موضحاً أن هذا العلم يمثل حجـ ر الأسـ اس بالنسبة للقرآن الكريم ، وعليه مداره ، ولا يدرکه من عنانه إلا من تمرس بأساليب العرب لغة ، ونحواً ، وبلاغة ، وإلماماً بأشعارها ، وحكمها ، وأمثالها ، وإلى هـ ذا أشـ ار الإـ ام الزركشي حيث قدم تعريفاً لعلم التفسير: "والتفسير علم يعرف به فهم كتـ اب ا المنـ زل على نبيه محمد صلى ا عليه وسلم ، وبيان معانيـ ه ، واسـ تخراج أحكامـ ه وحكمـ ه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو، والتصريف، وعلم البيان ، وأصول الفقه والـ راءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ."²

أما الفصل الثاني :

تناول فيه علم القرآن مشيراً إلى أقسامه التي ذكرها العلماء والمتمثلة في التوجيه والتذكير ، والأحكام ، كما تحدث عن أم الكتاب الفاتحة ، موضحاً لمـ سـ ميت الفاتحة ، وتحدث عن نظمه.

وبعدها ينتقل إلى الحديث عن الأنواع الموزعة على الأجزاء الأربعة ، وهي - كما أسلفنا - سبعة وأربعون نوعاً ، أولها أسباب النزول ، وآخرها معرفة الأدوات.

وأولى هذه الأنواع معرفة أسباب النزول :

وأوضح فيه الزركشي عناية المفسرين بذلك في كتبهم ، وإفراد التصانيف فيه ، لأنه يعد عمدة الدراسات القرآنية ، وزاد المفسر ، كما تطرق أيضاً إلى خـ صوص الـ سبب وعموم الصيغة.

ثم انتقل إلى النوع الثاني : وهو علم المناسبة ويرى أنه علم من العلوم الشريفة تحرز به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، ثم يورد تعريفاً لغوياً للمناسبة ،

¹ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 / ص 20
² - المصدر نفسه ، ج 1 / ص 26

وهي المقاربة و المشاكلة، ثم يتعرض إلى المناسبة من حيث الاصطلاح فقال: "واعلم أن المناسبة علم شريف تخرز به العقول ويعرف به قدر الفائل فيما يقول"¹ وفائدته يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذ برقاب بعض ، والتناسب يتضح أكثر في مـ.دى اتصال اللفظ والمعنى، وعلى خلاف ، ومن ثمة فالتناسب يعمل على تقوية الارتباط وإحكام التأليف والبناء في التعبير القرآني.

وبعدها يتطرق إلى النوع الثالث: والمتمثل في الفواصل ورؤوس الآيات ، ويبدأ بتحديد الفاصلة: "وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"² ثم يبين أن الفواصل في القرآن تختتم مقاطعها بحروف المد واللين ، كما أن الفواصل مبنية على الوقف.

ثم يتطرق إلى أقسام الفواصل ، فوجد أن الفواصل تقسم باعتبار التماثل والمتقارب في الحروف ، كما تقسم أيضا باعتبار المتوازي، والمتوازن ، والمطرف. والفواصل عنده محصورة في أربعة أضرب: تمكين ، وإيغال، و توشـيح ، وتـصدير، وبين - أيضا - أن الفاصلة لها ضابطان : الأول توقيفي ، والثاني قياسي .

وبعدها يعرج على النوع الرابع : وهو جمع الوجوه والنظائر ، حيث أشار إلى أن وجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، وضرب لذلك مثلا لفظ الأمة ، أمـا النظائر فهي بمثابة الألفاظ المتواطئة ، وقال بعضهم أن الوجوه والنظائر تعد نوعا مـن أنواع الإعجاز في القرآن ، لأن الكلمة الواحدة تتصرف إلى وجوه كثيرة ، وعد بعـضهم عشرين وجها، أو أكثر، أو أول ، ولا يمكن أن تعثر على ذلك في كلام البشر³.

ثم ينتقل إلى النوع الخامس: والمتعلق بعلم التشابه ، وبين أن هذا العلم مـن أجل العلوم ، لأنه ينوع أساليب الكلام ، ويتصرف في صنوف الفواصل ، وخاصة في باب القصص القرآني ، وهذا السياق يقول الزركشي: "وعلم التشابه هو إيراد القصة الواحدة

¹ - ينظر المصدر السابق ص 91² - ينظر المصدر السابق ص 114³ - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 84

في صور شتى ، وفواصل مختلفة ، ويكثر في إيراد القصص والأنباء ، وحكمته التصرف في الكلام و إتيانه على ضروب ، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذاك : مبتدأ به - ه ومتكرراً¹.

ثم تحدث عن النوع السادس: والمتمثل في علم المبهمات في الف - رآن الك - ريم والمقصود به أن ا عز وجل أبهم كثيرا من الأسماء والأعلام لحكم وغايات لا يعلمها - ا إلا هو، وضرب الزركشي أمثلة لذلك منها قوله تعالى : "وأخريين من دونهم لا تعلم - ونهم ا يعلمهم " والعجب من تجرأ وقال : إنهم قريظة ، وقيل من الجن². وأبان على أن هذا الإيهام لم يأت هكذا سهلا ، وإنما لأسباب كثيرة ، ذكرها الم - صنف بالتفصيل مدعومة بالشواهد والأدلة.

في النوع السابع: يتعرض الإمام الزركشي إلى أسرار الفواتح والسور ، ويبين أن ا تعالى افتتح كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ، بدأها بالثناء وأنهاها بالتعليل وهي : (الثناء عليه ، وحروف الهجاء ، والنداء، والقسم ، والجمل الخبرية ، والأمر، والشرط والاستنهام ، والدعاء ، والتعليل).

ثم ينتقل بنا إلى النوع الثامن : والمتعلق بخواتم السور ، ورأى أن الخ - ولتم مثل الفواتح في الحسن ، لأنها آخر ما يقرع الأسماع ، ولذلك ألفيناها - ات - ضمن المع - اني البديعة إيذاناً للسامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشويق النفس إلى ما يذكر بعده ، كم - ا أبان عن تنوع الخواتيم حسب المواقف تارة تكون دعاء ، وأخرى تكون وع - دا ووعد - دا وتكون مرة تعظيما وتجيلا ... إلخ .. وألمح أيضا - إلى مناسبة فواتح السور وخواتمها. **يهدف بنا إلى النوع التاسع:** والمتمثل في المكي والمدني من حيث النزول فلاحظ أن آراء العلماء على ثلاثة أقسام، فمنهم من قال : المكي هو ما نزل بمكة ، والمدني هو م - ا

¹ - ينظر المصدر السابق ، ص 91² - المصدر السابق ، ص 114

نزل بالمدينة ، ولقيف قال المكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعدها ، وآخرون قالوا: المكي ماجاء خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

ثم أشار إلى المشهور فيها ، وهو أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة ، وإن كان بمكة ، كما أوضح الفوائد الناجمة عن معرفة المدني من المكي وذكر منها :

- يفيد في معرفة الناسخ والمنسوخ.

- يفيد في معرفة المخاطبين بالآيات.

كما تعرض إلى النوع العاشر: والمتعلق بأول ما نزل من القرآن وآخر ما

نزل ، ويرى أن الأمر في هذه المسألة على خلاف بين العلماء فمنهم من قال : أن أول ما نزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : " اؤرأ باسم ربك الذي خَلَقَ {1} " ¹ ويرى مسلم في صحيحه أن أول ما نزل من القرآن سورة المدثر ، ثم يورد أقوالا كثيرة للعلماء تنبي على تباين آرائهم واختلافها.

وكذلك الأمر فيما يتعلق بآخر ما نزل من القرآن ، فمنهم من قال: آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى : ² " واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله " .

ويرى فريق آخر ومنهم السدي أن آخر ما نزل قوله تعالى : ³ " إِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " . إذا فمسألة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل تبقى من المسائل الخلافية بين العلماء.

وفي النوع الحادي عشر: يعرج الزركشي على عدد اللغات التي نزل بها القرآن

وبين أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، ثم أشار إلى الخلاف الذي وقع بين العلماء في تحديد ماهية الأحرف السبع. موضحاً رأي جمهور العلماء وما أجمع عليه المسلمون في

¹ - العلق ، الآية 01

² - البقرة ، الآية 281

³ - التوبة ، الآية 129

هذه العصور قولهم: "كان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة مـ ن ا ورحمة على الأمة"¹.

وفي النوع الثاني عشر: يتطرق الإمام الزركشي إلى كيفية إنزاله مشيراً إلى أن العلماء اختلفوا في كيفية الإنزال ، وانقسموا إلى ثلاث فرق ، ثم أوضح الأشهر والأصح والمتمثل في أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة ، أوفي ثلاثة وعشرين ، أو خمسة وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة.² وبعدها يقول الإمام الزركشي "وهذا القول أشهر الأقوال وأصحها"³.

ثم يتحدث عن النوع الثالث عشر: والمتعلق بجمعه وحفظه من قبل صدحاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبين أن حفظ القرآن في الصدور كان سابقاً في الزمان والمكان فكثير من الصحابة تلقوا القرآن على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوه حفظاً جيداً ، كما قام الصحابة بحفظه في الألواح والعظام والعسيب والخاف وغيرهـا ، فقد كان محفوظاً كاملاً فيها ، ولكنه كان متفرقاً بين أيدي الصحابة والقطعة الواحدة كان يحفظها جماعة كثيرة ، وأقلهم بلغ حد التواتر .

أما عن جمع القرآن في مصحف واحد فقد تحدث الزركشي عن جهود أبي بكر رضي الله عنه وسعيه الحثيث للقيام بهذا العمل الجليل حيث كلف زيد بن ثابت رضي الله عنه بذلك. ثم جاء من بعده سيدنا عثمان رضي الله عنه وجمع الأمة على مصحف واحد عرف بمصحف عثمان ، وأحرق ما سواه مما كان متفرقاً ، أو كان مختلطاً بسواه.

¹ - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ج 1 ، ص 162

² - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ج 1 ، ص 163

³ - المصدر نفسه ، ص 163

ثم ينتقل إلى النوع الرابع عشر: في معرفة تقسيمه ، فيوضح الزركشي أن العلماء قسموا القرآن الكريم إلى أربعة أقسام : (الطوال ، المئون ، المثاني ، والمفصل) ثم يقدم شـرحا لكل واحد من هذه الأقسام مستدلا عليها من آي الذكر الحكيم ، كما تطرق إلى عدد سور القرآن وآياته وكلماته .

وفي النوع الخامس عشر: يتحدث عن أسماء القرآن الكريم ذاكرا أسماءه بالتفصيل مشفعا بكلامه بالأدلة والشواهد من آي الذكر الحكيم .
ومن أسمائه:

- "هدى" : لقوله تعالى : هدى ورحمةً للمحسينين ¹.
 - "نور" : لقوله تعالى : وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ².
 - "كلام" : لقوله تعالى : حتى يسمع كلام الله ³.
 - "عزيز" : لقوله تعالى : وإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ ⁴.
- وغيرها من الأسماء.

وفي النوع السادس عشر: والمتعلق بما وقع فيه من غير لغة أهـل الحجـاز . يتحدث الزركشي عن قضية مهمة تتضح في أن المتعارف عليه بـدين علمـاء الأمـة أن القرآن نزل بلغة قريش ، وبين أن خالد بن سلمة قال : " إنما نزل بلسان قريش ولاـسان خزاعة ، وذلك أن الدار كانت واحدة ⁵ وجمهور العلماء يجمع على أن القرآن نـزل بلغةـة الحجازيين "وقد فضل الفراء لغة قريش على سائر اللغات ، وزعم أنهم يـسمعون كـلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم ⁶.

¹ - لقمان ، الآية 3² - النساء ، الآية 174³ - التوبة ، الآية 6⁴ - فصلت ، الآية 41⁵ - البرهان في علوم القرآن ج 1 ، ص 198⁶ - المصدر نفسه ، ص 199

ثم ينتقل إلى النوع السابع عشر: معرفة ما فيه من غير لغة العرب ، وفيه يوضح الزركشي أن القرآن نزل بلغة العرب ، ولا يجوز أن يتلى، أو يقرأ إلا بها مستدلاً بقوله تعالى: **إنا أنزلناه قرآناً عربياً**¹ كما أن القرآن تحدى به المولى عز وجل العرب ليكون معجزة دالة على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبرهاناً على صدق رسالته وعزز رأيه بما ذهب إليه الإمام الشافعي بأن القرآن لو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة ، ومذهب الشافعي يمثل رأي الجمهور من العلماء.

أما النوع الثامن عشر: تكلم فيه الزركشي عن غريب القرآن وبين أن الكشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسماً، وفعلاً ، وحرفاً بالحروف لقتها تكلم النحاة على معانيها. فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الأسماء والأفعال ، فيؤخذ ذلك من كتب اللغة ، وأشهرها صنف في هذا الباب كتاب المفردات للراغب الأصفهاني .

وفي النوع التاسع عشر: تحدث فيه عن التصريف ، ويبدأ بتعريفه ، وهو ما يلحق الكلمة ببنيته وقسمه إلى قسمين :

الأول : يجعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني وحصرها في : (التـصغير والتكبير ، والمصدر ، واسمي الزمان والمكان ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والمفعول به) .

أما الثاني : تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها وحصره في (الزيادة والحذف ، والإضافة) .

وفائدة التصريف تتمثل في حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد والتصريف أجل من علم النحو ، وهو من العلوم التي يحتاجها المفسر.

¹ - يوسف ، الآية 2

وفي النوع العشرين : والمتعلق بمعرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها - يرى الزركشي أن معرفة الأحكام من جهة الأفراد والتركيب يخضع لعلم النحو ، لأن النحو وعمدة هذا الباب.

ثم يشير إلى لفيف من المصنفات التي اهتمت بهذا الموضوع منها : كتاب البرهان في تفسير القرآن للحوبي ، والمشكل لابن قتيبة ، وكتاب المستحب للهمداني وغيرها .

ثم أوضح أن التطرق لهذا الموضوع عليه معرفة مايلي :

- فهم المعنى الذي يريد إعرابه مفردا كان أو مركبا.
- تجذب الأعراب المجهولة علي اللغات الشاذة لأن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش.
- تجذب اللفظ الزائد في كتاب الله تعالى أو التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بالتأويل .
- تجذب الأعراب التي هي خلاف الظاهر ، والمنافية لنظم الكلام.
- الابتعاد عن التعبيرات البعيدة والمجازات المعقدة.

وفي النوع الحادي والعشرين : المتعلق بمعرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح بين الزركشي بأن هذا الموضوع مداره علم البيان ، والبدیع ، وهــ و مـ ن العـ و مـ والجليلة التي لاغنى للمفسرين عنها ، لأن به يعرف إعجاز القرآن ، وحقيقته ومجازه وغير ذلك ، وقد صنف فيه خلق كثير منهم حازم القرطاجني في كتابة منهاج البلغاء وسراج الأدباء وغيره.

أما في النوع الثاني والعشرين : والمتمثل في معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص ، أو تغيير أشار الزركشي إلى أن ذلك يعرف عن طريق علم القراءات وهو مـ ن العلوم الجليلة التي لايمكن لقارئ القرآن ، أو المشتغل بعلوم القرآن الاستغناء عنها فهـ و لب الدراسات القرآنية.

ثم ينتقل بنا إلى النوع الثالث والعشرين : وهو معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه مذهب إليه كل قارئ وقال : "وهو فن جليل ، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به ، وأفردوا فيه كتباً منها كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ...¹

كما بين أن كل قراءة لها خصوصيتها ، وإذنا نجد كثيراً من الفروق في توجيه القراءات حسب الرواية ومدى شهرة القراءة أو شذوذها.

وتحدث الزركشي في النوع الرابع والعشرين : عن الوقف والإبتداء وقال : هـ - و " فن جليل وبه يعرف كيف أداء القرآن ، يترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة وبه تبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات² . وأبان أبو بكر بن مجاهد شروط متقن هذا العلم بقوله : " لا يقوم بالتمم في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير والقصص ، وتخليص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها"³ . والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام :

- تام مختار .
- كاف جائز .
- حسن مفهوم .
- قبيح متروك⁴ .

أما في النوع الخامس والعشرين : والمتعلق بمراجعة ومخطأ أوضح - ج الزركشي بأن به يعرف كيف تكتب كلمات القرآن تبعاً لخط مصحف الإمام أبي

¹ - البرهان في علوم القرآن ج1، ص238

² - البرهان في علوم القرآن ج1، ص241

³ - المصدر نفسه ص242

⁴ - المصدر نفسه ص246

خط مصحف عثمان رضي ا عنه ويذكر أن الصحابة(ض) اختلفوا فـي كتابـه التابوت ، فقال زيد: اكتبوها التابوه بالتاء المربوطة وقال النفر الفرشيون : بل تكتب (التابوت) بالتاء المفتوحة، وترافعوا إلى عثمان رضي ا عنه فقـال : اكتبوها التابوت ، فإنما نزل القرآن على لسان قريش¹.
لذلك تختلف بعض الكلمات القرآنية من حيث الكتابة على الكتابة العادية وهذا من الإعجاز القرآني.

وتعرض في النوع السادس والعشرين : إلى فضائل القـرآن الكـريم

وذكر من صنف فيه من العلماء ومنهم أبو بكر بن شيبه ، وأبو عبيد القاسـم بن سلام ، والنسائي وغيرهم .كما بين أن جمهرة المفسرين يتعرضون لذكر فضائل السور في أول كل سورة ترغيبا وحثا على حفظها ،إلا الزمخشري فكان يـذكرها في أواخر السور .

ثم يعرض جملة من الأحاديث تبين أهمية القرآن ، ودوره فـي الـسمو بحامـله والإعلاء من شأنه ، منها ما رواه مسلم من حديث عمر رضي ا عنه : "إن ا يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين"².

وفي النوع السابع والعشرين : يتطرق إلى خواصه ، وفـي هـذا النـوع

يستوقفنا الزركشي عند خواص بعض الآيات في القرآن الكريم ، كآيات الشفاء والاستعانة با ، وتفريج الهموم وغيرها.ناقلا لفيفـا مـن الروايـات والحكايات المتواترة عن السلف منها ما يحكى عن الشيخ أبي القاسـم القـشيري أنه رأى النبي(ص) في المنام ، فقال له رسول ا (ص) : مالي أراك محزونـا؟ فقـال : ولدي قد مرض ، واشتد عليه الحال فقال له :أين أنت عن آيات الشفاء:
(ويشف صدور قوم مؤمنين)

¹ - المصدر السابق ص 26

² - البرهان في علوم القرآن ج 1 ، ص 299

(وشفاء لما في الصدور)

(وفيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)... الخ¹

يتحدث الإمام الزركشي في النوع الثامن والعشرين : ع- ن ف- ضل بع- ض

الآيات في القرآن الكريم ويذكر فيها فضل آية الكرسي قوله تعالى : **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ**²

ونذكر ما ورد أيضا في فضل سورة الفاتحة ، سورة البقرة ، سورة يس ، وسورة الإخلاص وهذا العلم (علم فضائل الآيات) يرشد إلى أي آية في كتاب ا أرجى وأي آية في كتاب ا أخوف .

أما في النوع التاسع والعشرين : والمتعلق بآداب تلاوته وكيفية تح- دث

الزركشي عن عظمة القرآن، وبين أن القرآن أعظم معجزة أرسل بها الم- صطفى (ص).

وأن القرآن هو الحجة الباقية على مر الأقطاب والأزمان وعلى قارئ القرآن أن يستحضر عظمة القرآن، وأن يتمثل أفعاله الصالحة ، ويجتنب نواهيه ، وليح- رص على ترتيله وتدبره والتأدب معه وقال بعضهم تلاوة القرآن على ثلاثة مقامات :

1. التأمل في أوصاف المتكلم في كلامه ومعرفة معاني خطابه.

2. حضور القلب.

3. مناجاة ربه والخضوع أثناء تلاوته وترتيله ، كأنه يرى ربه.

ثم ينتقل إلى النوع الثلاثين : والمتعلق بهل يجوز في الت- صانيف والرس-ائل

والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟ وهل يقتبس منه في شعر وتغني- ر نظم- ه بتر- ديم وتأخير وحركة إعراب ؟

¹ - البرهان في علوم القرآن ج1، ص298
² - البقرة ، الآية 255

أجاب الزركشي بأن بعض العلماء جوزوا ذلك للمتمكن من العربية ، واستدل على ذلك بأمثلة كثيرة منها:

أن الشيخ عز الدين سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : (وجهت وجهي) والـتلاوة
إني وجهت وجهي¹.

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم فالق الإصـباح ، وجاءـل الليل سـكنا ،
والشمس والقمر حسبنا ، أفض عني الدين ، وأغنني من الفقر)².

كما أشار إلى أنه يكره ضرب الأمثال بالقرآن الكريم ، ولا يجوز تعدي أمثلة القرآن إلى
غيره وتمثل بقول أبي عبيد : (وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه ، أويهم بحاجته ، فيأتيه
من غير طلب ، فيقول كالمأزح : (جئت على قدر يا موسى) ، فهـذا مـن الاسـتخفاف
بالقرآن³.

وفي النوع الحادي والثلاثين: والمتعلق بمعرفة الأمثال الكائنة فيه يذكر الإمام

الزركشي أن الإمام الشافعي عده مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال "
أي في معرض سرده لشروط المجتهد - قال : ثم معرفة ما ضرب فيه مـن الأمثـال
الدوال على طاعته المثبتة لاجتناب معصية"⁴.

وقد صنف فيه من المتقدمين الحسن بن الفضل وغيره.

ويكفي هذا العلم مزية وتفخيما قوله سبحانه : **تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ**⁵.

والأمثلة في القرآن جاءت مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المـدح والـذم ، وعلى
الثواب و العقاب ، وعلى تفخيم الأمر ، أو تحقيره.

¹ - الأنعام ، الآية 79

² - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ص 326

³ - المصدر نفسه ص 328

⁴ - البرهان في علوم القرآن ص 330

⁵ - العنكبوت ، الآية 43

وفي النوع الثاني والثلاثين : والموسوم بمعرفة أحكامه بين الإمام الزركشي

أن آيات الأحكام على قسمين :

أحدهما ما صح به في الأحكام ، وذكر بأنه كثير مثاله : (سورة البقرة ، والنساء ، والمائدة والأنعام) .

وثانيهما ما يؤخذ بطريق الاستنباط ، وهو على قسمين أيضا :

أولهما : ما يستنبط من غير ضمنية آية إلى أخرى

والثاني : ما يستنبط مع ضمنية آية إلى أخرى .

أما في النوع الثالث والثلاثين : والمتعلق بمعرفة جدله ، يشير الزركشي إلى

أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع الأدلة والبراهين ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شئ من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أوردته تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين¹ .

أحدهما : بسبب ما قاله : وما أرسلنا من رسول إلا ليلسان قومهم ليبين لهم² .

والثاني : أن الله جعل القرآن في أوضح صورة لفظا ، وأسلوبا وخطابا تفهمه العامة والخاصة ، وهذا من الإعجاز .

ثم ينتقل إلى النوع الرابع والثلاثين : والمتعلق بالناسخ والمنسوخ ، ونلاحظ

أن الزركشي في بداية الأمر يشير إلى عظم شأن هذا الباب موضحا أن جماعة كثيرة من العلماء صنفت فيه ، منهم : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو جعفر النحاس ، وأبن العربي وابن الجوزي ، وغيرهم .

ثم أشار إلى أن الأئمة لم يجوزوا لأحد تفسير القرآن إلا بعد معرفته للناسخ والمنسوخ .

ثم أبان معاني النسخ منها :

¹ - ينظر البرهان في علوم القرآن ج 2 / ص 17
² - إبراهيم الآية 4

الإزالة ، والتبديل والتحويل ، والنقل وغيرها.

ثم تحدث عن أنواع النسخ وهي ثلاثة :

1. مانسخ تلاوته وبقي حكمه.
2. مانسخ حكمه وبقي تلاوته.
3. نسخهما جميعا ، فلا تجوز قراءته ولا العمل به .

النوع الخامس والثلاثون في معرفة توهم المختاف: وهو ما يوهم التعارض بين

آياته، وهو ليس كذلك ، لأن كلام ا جل جلاله منزّه عن الاختلاف . قال تعالى : **وَأ-و** كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً¹

إنما ألف في هذا الباب أبو علي محمد بن المستنير كتاب (الرد على الملحدين في تشابه القرآن) ، ثم بين طريقة العلماء في الترجيح عند تعارض آيتين ، ويتم ذلك أولا بتقـديم المكي على المدني ، ثم من المرجحات أن يكون أحد الحكمين على غالب أحد-وال أهـل مكة، والثاني على غالب أحوال أهل المدينة ، ثم أن يكون أحد الظاهرين مستقلا بحكمه ، والآخر مقتضيا لفظا يزداد عليه ، ثم أن يكون كل واحد من العمومي محمولا على ما قصد به في الظاهر منهما من المقصود بالآخر ، وغير ذلك من المرجحات ، ثم يـورد أمثلة كثيرة عن ذلك . نذكر منها ما حكاه أبو العباس بن سريـح قال:"سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى : (لا أقسم بهذا البلد) فأخبر سبحانه أنه لا يقسم بهذا البلد ، ثم أقسم به في قوله (وهذا البلد الأمين) ... قال له لو كان هذا تناقضا لعلق به القوم وسارعوا للرد على رسول ا صلى ا عليه وسلم ، ولكن القوم علموا وجهات ، فلم ينكروا ما أنكرت ، ثم قال : إن العرب قد تدخل "لا" في أثناء كلامها وتلغي معناها"².

¹ - النساء، الآية 82

² - ينظر البرهان في علوم القرآن ج2 / ص 31، 32

النوع السادس والثلاثون في معرفة المحكم والمتشابه: يقول الإمام الزركشي :

المحكم أصله لغة : المنع

أما في الاصطلاح : فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام.

وقد حكى الحسين بن محمد بن حبيب النيسابوري عن المحكم والمتشابه ثلاثة أقوال:

أحدهما : أن القرآن كله محكم ، لقوله تعالى : (كتاب أحكمت آياته).

الثاني : القرآن كله متشابه لقوله تعالى (ا نزل أحسن الحديث كتابا متشابها).

والثالث : - هو الصحيح - أن منه محكم ومنه متشابه لقوله تعالى : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب)¹.

النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات ونكـر

أن الناس اختلفوا في الوارد منها في الآيات والأحاديث على طوائف ثلاث :

الأولى : تجري على ظاهرها ولا تؤول شيئا منها ، وهم المشبهة.

الثانية : تؤول ، ولكن نمسك عن تأويلها ، ونقول لا يعلمه إلا ا وهو قول الساف.

الثالثة : أنها مؤولة ، وأولوها على ما يليق بها.

ثم يرجح الثانية والثالثة ويرد الأولى لأن قولها باطل.

ويستدل بقول أم سلمة لما سئلت عن الاستواء ، فقالت ، الاسـتواء معاـوم ، والكيـف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة² .

النوع الثامن والثلاثون في إعجازه : يقول الزركشي في معرض حديثه عـن

الإعجاز : "وهو علم جليل ، عظيم القدر، لأن نبوة النبي صلى ا عليه وسلم لم معجزتهـا الباقية القرآن ، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز"³

ثم يستعرض وجوه الإعجاز عند العلماء وأقوالهم المتباينة في ذلك.

بدأ من الصرفة التي قال بها النظام وأتباعه ، وأبطلها ورأى أنه وجه فاسد مقدما البراهين والأدلة على بطلانه . ثم يذكر الوجوه الأخرى:

¹ - البرهان في علوم القرآن ج 2 / ص 45

² - المصدر نفسه ، ج 2 / ص 51

³ -- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 59

- التأليف الخاص.
- الإخبار عن الغيوب المستقبلية.
- إخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين.
- النظم.
- الفصاحة وغرابة الأسلوب، وسلامته من جميع العيوب ، وغيرها مـ ن الوجـ وهـ منتهيا إلى إحدى عشر وجها.
- ثم يبين رأيه في قضية الإعجاز ، وهو رأي جامع مانع حيث يقول بجميع الوجوه ما عدا الصرفة التي رآها فاسدة وباطلة.
- فالقرآن عنده معجز بجميع الوجوه التي قال بها العلماء ، وليس بوجه واحد .
- ثم يذكر وجوها جديدة حاز بها قصب السبق وهي :
- الروعة التي يتركها في قلوب السامعين وأسماعهم .
- جمعه بين صفتي الجزالة والعدوبة.
- كما أنه لايزال غضا طريا في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئ.
- اعتباره آخر الكتب غنيا عن غيره ، وغيره من الكتب السابقة تحتـاج إلـى بيـان يرجع فيه إليه.

النوع التاسع والثلاثون في وجوب تواتره:

أشار الزركشي أن العلماء أجمعوا أن القرآن منقول إلينا بالتواتر؛ أي جماعة عن جماعة حتى وصل إلينا ، والتواتر شمل أصله ، وأجزائه، ومحلّه ، ووضعه ، وترتيبه.

ويذكر أن القرآن الكريم كتاب ا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه الكتاب المعجز الهادي إلى سواء السبيل ، وهو محفوظ إلى قيام الساعة . لقوله تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ¹.

¹ - الحجر ، الآية 9

ويتحدث في النوع الأربعين: عن معاصرة السنة للقرآن ويرى أن السنة جاءت لشرح مـا غمض من الأحكام ،أو أجمل في القرآن الكريم،ومن ثم جاءت السنة مـأزرة ومعاوضة للقرآن،وبين الزركشي أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق، وإخراجـه من مدارج الحكمة حتى إن كان كل واحد منهما يخصص عموم الآخر،ويبين إجماله.

وبعدها ينتقل إلى النوع الحادي والأربعين : مشيرا إلى أهمية معرفة التفـسير والتأويل مقدما تعريفات لغوية لكل من التفسير والتأويل، ثم عدد أقسام التفسير من خلال قسمة العلماء والمتمثلة في تقسيم التفسير إلى أربعة أقسام:

1. قسم تعرفه العرب في كلامها إعرابا،وشرحا،وبيانا،وبديعا.
 2. لايعذر أحد لجهالته شرائع الأحكام ودلائل التوحيد.
 3. يعلمه العلماء خاصة اجتهد العلماء وهو يدخل في باب التأويل.
 4. لايعلمه إلا ا ،ومن ادعى علمه فهو كاذب كالغيبات.
- كما أشار إلى كل ما يتعلق بالتفسير ووجوهه، وآراء العلماء في ذلك،ومؤلفاتهم فـي هـذا الباب.

وفي النوع الثاني والأربعين : تكلم عن الخطاب في القرآن الكـريم ووجوهـه ، وأوضح أن الخطاب القرآني يأتي على أربعين وجها،وأحصى منها ثلاثين ،وأولها خطاب العام المراد بالعموم، وآخرها المعدوم مشفعا كل نوع من أنواع الخطاب بأقوال العلمـاء وأدلتهم مقدما الشواهد من القرآن الكريم .

ثم يعرج بنا إلى النوع الثالث والأربعين : والمتمثل في الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم ، وفي بداية الأمر ألفيناه يوضح اتفاق العلماء على الحقائق المشار إليها في القرآن ولا خلاف ، أما المجاز فاختلـفوا في وروده في القرآن الكريم بين مثبت ومنكر،ثم يـبين رأيه بقوله:"وهذا باطل،ولو وجب خلو القرآن من المجاز،لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتشية القصص وغيره،ولوسقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"¹ .

وينهي هذا النوع بالإشارة إلى أنواع المجاز.

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 159

أما النوع الرابع والأربعون : فتعرض فيه إلى الكناية والتعريض، وفي بدايته الأمر أوضح أن العرب تعد الكتابة أبلغ من الحقيقة، وهي من وجوه البراعة والبلاغة. ثم يعرف الكناية بقوله: "والكناية عن الشيء الدلالة عليه من غير تصريح باسمه"¹ ثم يعرج على أسباب الكناية ، أو إن شئت أغراض الكناية. ثم يتحدث عن التعريض والتلويح مبينا الفرق بينهما، ويقول : "إنه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم ، وسمي تعريضا لأن المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ أي من جانبه ويسمى التلويح لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريد كقوله تعالى: **بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهِمْ هَذَا فُلَاسًا لَهُمْ إِنْ كَانُوا يُنْظِقُونَ**"² .

في النوع الخامس والأربعين: يتحدث عن أقسام معنى الكلام فيشير إلى أن المعاني في القرآن قسمان :
خبر وغير خبر

وفي هذا الباب يتعرض للخبر والإنشاء، فيبين أنواع الإنشاء، كالاستفهام والأمر، والنهي... وغيرها.

أما في النوع السادس والأربعين: فيتحدث فيه عن أساليب القرآن بفنونه البليغة، وفي هذا الباب يقول : "وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب، وهويت القصيدة، وأول الجريدة، وغرة الكتيبة وواسطة الفلادة، ودرة التاج ، وإنسان للحدقة، على أنه قد تمت الإشارة للكثير من ذلك"³.

ثم بعد هذا التقديم يبدأ حديثه عن التأكيد مشيرا إلى أقسامه: التوكيد الاصناعي ، ويدين قسميه : اللفظي والمعنوي مشفعا ما يذهب إليه بأمثلة من آي القرآن الكريم ، ويذكر أدوات التوكيد، مشيرا إلى مؤكدات الجملة الاسمية والفعلية.

ثم تحدث عن التكرار، والتفسير، والقسم، والمبالغة ، والاستثناء، والاستدراك والاعتراض،

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 186

² - الأنبياء ، الآية 63

³ - البرهان في علوم القرآن ج3 ، ص 236

والاحتباس، والتذليل، والتتميم، والزيادة، والتعليق، والحذف، وأسبابه، وشروطه، وأقسامه، والإيجاز وهو نوع من الحذف، ويسميه العلماء إيجاز الفصحى، والتقديم والتأخير، وأسبابه، وأنواعه، والقلب، والإلغاز، والاستطراد، والترديد، والالتفات، حقيقة وأقسامه، وأسبابه، وشروطه، والتضمين، ومشكلة اللفظ للمعنى، والتشبيه حقيقة، وأغراضه، وأدواته، وأقسامه، والاستعارة، والتورية، والتجنيس، والتجريد، والطباق والمقابلة، والعكس، وإلجام الخصم بالحجة، والتقسيم، والتعديد. مشفعا كل هذه الفاضليات بأدلة وشواهد من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، والأشعار، وأقوال العلماء وتأليفهم.

ويختتم الإمام الزركشي كتابه بالنوع السابع والأربعين : والموسوم بالأدوات

ومعاني الحروف وما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها ، وفي هذا النوع يتحدث عن دلالات الأدوات على مختلف أنواعها : من حروف جر، وعطف، وغيره، واختلاف معانيها من سياق إلى آخر ، ويرجع تحديد المعاني إلى الاستخدام ، وفي هذا السياق يقول "ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها ، وترجح استعمالها في بعض المجال على بعض بحسب مقتضى الحال"¹.

هذا - ولاشك - عرض سريع لمضامين كتاب البرهان في علوم القرآن ، محاولة من أجل الوقوف على أهم محاوره وأبوابه.

ومن خلال هذه الإطلالة بدأ لنا الكتاب بحرا لا يسجل له في الدراسات القرآنية فكرة، وطرحا، وأسلوبا، ومادة ، حيث يبرز الزركشي من خلاله علما فذا، متبحرا في شتى العلوم، ملما بكثير من المعارف والفنون، مطلع على الجرم الغفير من كتب العلماء، والفقهاء، والمفسرين، والبلاغيين، والنحويين، والأدباء ، وغيرهم .

كما أوضحت لنا هذه الوقفة أن الرجل له قدم راسخة في علوم البلاغة، وباع طویل في اللغة نحوها وصرفها.

¹ - البرهان في علوم القرآن ج 4 / ص 113

ومن ثمة غدا الكتاب موسوعة شاملة، ومتنوعة في أبوابها ومحاورها، يحتاج إليها كـ لـ دارس، وباحث، ومتعلم، ينشد علوم القرآن ودروسه، أو علوم اللغة والبلاغة وفنونها. فالكتاب يعد قبة مضيئة تتوهج نورا، وتتألق لآلئ ودررا في طريق كل مريد ومـ ستزيد للعلم الديني والديني.

وجماع القول :

ما اختتم به الإمام الزركشي حديثه، وهو يعدد علوم القرآن وأنواعه موضحا سعة كـ لـ نوع منها، وكثرة تفرعاته وتشعباته، مشيرا إلى أن الإنسان لو سخر وقته وعمـ ره محاولة منه لاستقصاء نوع من هذه الأنواع لما استطاع إلى ذلك سبيلا، واستمع إليه وهو يقول: "واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنـ سان استقـ صاءه، لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصـ وله، والرمز إلـ ي بعـ ض فصوله: فإن الصناعة طويلة والعمر قصير، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير." ¹

الغاية من تأليفه:

القرآن الكريم - ولا ريب - فيض من الأسرار والعجائب، وبحر مـ ن العاـ وم والفرائد، تناولته عقول البـ احثين، وهمـ م الدارسـ ين بالتنقيـ ب والتنقيـ ر فـ ي أصـ وله وفروعه، وأحكامه وحكمه، تستخرج منه الدرر، وتستخلص منه العبر، وتسترشد بسناه فـ ي غياهب الظلمات، وترتوي به من ظمأ الجهل والضياغ والدركات.

ولذلك كثر التأليف في علوم القرآن على مر الأحقاب والأعصار، ولاحت الآراء والأقوال تترى هنا وهناك، معبرة عن فهوم أصحابها ونظراتهم المتعددة والمختلفة الجواهر للـ رآن ودرره، وأعاجيبه، وإعجازه، وبقي الأمر هكذا، إلى أن جاء العلامة الإمـ ام الزركـ شي واستجمع همته من أجل تأليف كتاب شامل في هذا الباب، فألفناه ينهض بهذا العبء الثقيل ويستجمع ما شاء له من آراء الدارسين والباحثين من شتات جمع واع بصير، وناقـ د خبير، وعالم مستنير، فتراه مرجحا للأقوال تارة، ومفندا لها تارة أخرى، ومعطيا مـ ن بحر علمه، ونصاعة فكره، وقوة فهمه، ونباهة عقله، مثريا ما جمعه وحصله من أقوال

¹ - البرهان في علوم القرآن ج 1 / ص 25

وهاهو ذا يحدد لنا الغاية من تأليف كتابه البرهان في علوم القرآن في مقدمته قائلا: "ولمـا كانت علوم القرآن لا تنحصر ، ومعانيه لاتستقصى وجبت العناية بالفدر الممكن ، ومما فات المتقدمين ، وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فاستخرت ا تعالى - وله الحمد - في وضع كتاب في ذلك جـامع لمـا تكلم الناس في فنونه ، وخلصوا في نكته وعيونه ، وضمنته من المعاني الأنيفة ، والحكم الرشيفة ما يهز القلوب طربا ، ويبهر العقول عجا ؛ ليكون مفتاحا لأبوابه ، وعنوانا على كتابه معينا للمفسر على حقائقه ، ومطلعا على بعض أسرارهِ ، ودقائقهِ ، والمخلص والمعين وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته البرهان في علوم القرآن"¹

خلاصة القول :

يعد البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي من الكتب القيمة النفيسة النافعة والمفيدة ، وهو أحد الجهود الجبارة التي بذلها المصنف في خدمة هذا الدين ، ففيه مـن الفوائد العلمية الجمّة ، والنكت الجياد ، والفرائد النادرة ، تنبي عن همة عظيمة ، وعزم لا يثنى لدى علماء الأمة الإسلامية بتوخي الدقة في النقل ، وسلامة الرواية ، وغـزارة المعرفة ، وعمق الفكر ، والنظر الثاقب .

فالكتاب موسوعة زاخرة بالعلوم والفنون ، فقد حوت كل ما يتصل بعلوم القرآن وتفرعاته ، كما أنه تعرض إلى كبريات القضايا البلاغية التي عليها مدار فهم القرآن وإعجازه ، وتطرقـت - أيضا - إلى علوم اللغة وأصولها وألفانيها.

والإمام الزركشي وقف أمام هذه القضايا المذكورة سلفا كالطود الأشم ، فعالجها وأفاض فيها ، وأبان آراء العلماء فيها ، كما اتكأ على غربلتها وتمحيصها ، ناقـدا تارة ومرجحا تارة أخرى ، مضيفا إليها من بنات أفكاره ، وما جادت به قريحته مـن علم غزير وفهم مستنير ، ونظر عميق ، ورؤية شاملة. كما ألفيناه متمثلا لها أحـسن تمثيل مسبلا عليها وشيا ووحيا منبعثا من سلاسة أسلوبه ، ورصانة عباراته ، وجزالة لفظـة وصفاء كلمه ، فغدت علوما قشبية متدفقة ، نفيسة استوفت معالمها ، وأنارت جوانبها.

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 23

وفي ذات السياق يقول مصطفى عبد القادر عطا منوها بمنزلة كتاب البرهان في علم-وم القرآن: " فقد أجمع الإمام الزركشي وأوعى فجاء كتابه لا يضارعه كتاب في نوعه فكـل من ألف بعد الزركشي في هذا النوع من العلوم القرآنية عيال عليه"¹

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تج مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 17 و18

الفصل الثاني

مباحث عام المعاني عند الزركشي

المبحث الأول : من أقسام معنى الكلام

- توطئة
- الخبر
- أغراضه البلاغية

الإنشاء

- التمني
- الذداء
- الاستخبار (الاستفهام)
- أقسام الاستفهام
- أ- الاستفهام بمعنى الخبر.
- استفهام الإنكار
- استفهام التفرير
- ب- الاستفهام بمعنى الإنشاء
- الأمر

المبحث الثاني: التقديم والتأخير

- توطئة
- أسبابه
- أنواعه
- خلاصة

المبحث الثالث : أسلوب الحذف

- توطئة.
- الحذف عند الزركشي .
- ماهيته .
- فوائده.
- أسبابه.
- أدلته.
- شروطه.
- أقسامه.
- خلاصة.

أقسام معنى الكلام :

الكلام في أي لغة من اللغات لا يخرج على نمطين اثنين وهما :

1- الخبر .

2- الإنشاء .

فالخبر عبد البلاغيين هو كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب .

وأوضحوا معيار الصدق والكذب في مدى مطابقة الخبر للواقع وهــ ذا رأي الجمهـ ور ، واستثنوا من ذلك الأخبار الواردة في القرآن والسنة النبوية ، والأمور المسلمة التي تعارف عليها الناس .

أما الإنشاء ؛فهو كل أسلوب لا يحتمل الصدق ولا الكذب .

وهو على قسمين :

أ- طلبي : (الأمر ، النهي ، الاستفهام ، النداء ، التمني) .

ب- غير طلي : (التعجب ، المدح و الذم ، ألفاظ العقود ... وغيرها) .

أولاً : ماهو الخبر عند الزركشي ؟ وما هي أغراضه البلاغية؟

يعرف الزركشي الخبر بقوله : " والقصد به إفادة المخاطب ، وقد يشرب مع ذلك معاني آخر " ¹.

ونذكر منها التعجب . ووضح الزركشي التعجب استنادا على ما قاله ابن فارس : " وهــ و تفصيل الشئ على أضرابه بوصف " ².

وما قاله الزمخشري في معرض تفسيره لسورة الصف أن : " معنـى التعجـ ب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛لأن التعجب لا يكون إلا من شئ خارج عـ ن نظـ اثره وأشكاله " ³.

¹ - البرهان ، ج 2 ، ص 196

² - المصدر نفسه ، ص 197

³ - المصدر نفسه ، ص ن

وقد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه ، وهي : "ما أفعله !" و"أفعل به !" ، وصيغا من غير لفظه ، نحو "كبر" في مثل قوله تعالى: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ ¹ وقوله : كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ² .
ونبه الزركشي إلى مسألتين بالأهمية بمكان وهما :
أ - لايتعجب من فعل أ ؛ فلا يقال : "ما أعظم أ ! لأنه يؤول إلى شئ عظم - م أ كما في غيره من صيغ التعجب .

ب - لايجوز إطلاق التعجب في حق أ تعالى ؛ لأن التعجب استعظام ويصعبه الجهل ، وا سبحانه - منزله عن ذلك ، وبه جزم ابن عصفور في "المقرب" ³ .
ويرى الزركشي أنه لم يقع في القرآن من صيغة التعجب إلا قوله تعالى : فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ⁴ وقوله : قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ⁵ وقوله : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرِّكَ يَرْبُكَ الْكَرِيمِ ⁶ في قراءة من زاد الهمزة .
وأشار إلى أن التعجب في هذا مصروف إلى المخاطبين ، وهذا الذي عليه المحققون ⁷ .
من أغراض الخبر البلاغية :

- الأمر ، كقوله تعالى : وَالْمُطَلَقَاتُ يَنْرِبْنَ ⁸ ، وَالْوِلْدَاتُ يَرْضَيْنَ ⁹ - إن السياق يدل على أن أ تعالى أمر بذلك ؛ لأنه خبر ، وإلا لزم الخلاف في الخبر ؛ وسبق في المجاز ¹⁰ .

¹ - الصف ، الآية : 03² - الكهف ، الآية : 05³ - البرهان ، ج2 ، ص197، 198⁴ - البقرة ، الآية : 175⁵ - عيس نالآية : 17⁶ - الانفطار / الآية : 06⁷ - البرهان ، ج2 ، ص198⁸ - البقرة ، الآية : 228⁹ - البقرة ، الآية : 233¹⁰ - البرهان ، ج2 ، ص199

- النهي ، كقوله تعالى : لا يمسسه إلا المطهرون ¹.
- الوعد ، كقوله تعالى : سُرِّبَهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآثَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَزْهَ الْحَقِّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ².
- الوعيد كقوله تعالى : وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ³.
- الإنكار والتبكيث ، نحو: ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ⁴.
- الدعاء ، كقوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⁵.
- وربما كان اللفظ خبرا ، والمعنى شرطاً وجزاء ؛ كقوله : إنا كاشفـُـو العـذاب قَلِيلًا إِنْ كُنْتُمْ عَائِدُونَ ⁶؛ فظاهره خبر ، والمعنى : إنا إنْ نكشف العذاب تعودوا. ومنه قوله تعالى : الطلاقُ مرتان ⁷ من طلق امرأته مـ رتين فليمـسكها بعـدهما بمعرف ، أو يسرحها بإحسان ⁸

الإنشاء :

- وقبل أن يستفيض الزركشي في أسلوب الاستخبار ، أوجز الكلام عـ ن بعـ ض الأساليب الإنشائية وهي :
- التمني ؛ وكلمته الموضوعه له * ليت * وقد تستعمل ثلاثة أحرف :
 - أ- "هل" : كقوله تعالى : قَهْلُ لَنَا مِنْ شُعَاءٍ قَيْشُفَعُوا لَنَا ⁹.
 - حملت "هل" على إفادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيع في ذلك المقام ، فيتولد التمني.

¹ - الواقعة ، الآية : 79

² - فصلت ، الآية : 53

³ - الشعراء ، الآية : 227

⁴ - الدخان ، الآية : 49

⁵ - الفاتحة ، الآية : 05

⁶ - الدخان ، الآية : 15

⁷ - البقرة ، الآية : 227

⁸ - البرهان ، ج 2 ، ص 200

⁹ - الأعراف ، الآية : 53

ب- "لو" سواء أكانت مع "ود" أو لم تكن ، كقوله -تعالى : ودوا لـ وئـ دهن
فَيَدْهِنُوا¹ بالنصب . وكقوله تعالى : قَالَ لَوْ أَن لِي يَدٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ
شَدِيدٍ² .

ت- "لعل" ، كقوله تعالى : وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَٰمَانُ ابْنِ لِي صَدْرًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى³
وبين الفرق بين الترجي والتمني ، ووضح أن الترجي لا يكون إلا في الممكنات والتمني
يدخل في المستحيلات⁴ .
- النداء :

وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخ-صوص ، وإنم-أ-ي-صحب
الأكثر الأمر والنهي ، كقوله : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالزَّيْنَ-م-ن
فَيَلْبِسُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ⁵ وكقوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ⁶
وأشار فيه إلى أن جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر ، كقوله تعالى : يَا أَيُّهَا
النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ قَلَسْتَمِعُوَالَهُ⁷
وقد تجئ معه الجمل الاستفهامية والخبرية ؛ كقوله تعالى في الخبر : يَا عِبَادِيَ لَا خَوْفُ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ⁸ ، وفي الاستفهام : إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا يَأْتِي لِمَ تَعْبُدُونَ مَا لَا
يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَغْنِي عَنْكَ شَيْئًا⁹ .

¹ - القلم ، الآية : 09 والقراءة المشهورة : (ودوا لودهن فَيَدْهِنُونَ)

² - هود ، الآية : 80

³ - غافر ، الآيتان : 36، 37

⁴ - البرهان ، ج 2 ، ص 201

⁵ - البقرة / الآية : 21

⁶ - الحجرات ، الآية : 01

⁷ - الحج ، الآية : 73

⁸ - الزخرف ، الآية : 68

⁹ - مريم ، الآية : 42

وأشار إلى أن النداء قد يستعمل في غير معناه مجازاً في مواضع منها:

1- الإغراء والتحذير، كقوله تعالى: **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**¹.

2- التنبيه، كقوله تعالى: **قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا**².
لأن حرف النداء يختص بالأسماء.

3- الاختصاص، وهو كالنداء إلا أنه لا حرف فيه كقوله: **"نَحْنُ مَعَكُمْ"** الشهاب عدة البلاد.

الاستخبار (الاستفهام):

يستهل الزركشي حديثه عن الاستخبار بقوله: **"والاستخبار معنى ما طلب خبره"**³.
وهذا سبق وأن قاله ابن فارس: **"الاستخبار طلب ما ليس عند المـستـخبر، وهو الاستفهام"**⁴.

وأشار الزركشي إلى أن بعض العلماء حاول التفريق بين الاستخبار والاستفهام؛ فقالوا: أن الاستخبار ماسيق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سالت عنه ثانياً كان استفهاماً، ولذلك قال ابن فارس: **"وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار؛ لأنك تستخبر فتجاب بشئ وربما فهمته، وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم"**.

تقول: أفهمني ما قلته. قالوا: والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم⁵.

¹ - الشمس، الآية: 13

² - مريم، الآية: 23

³ - البرهان، ج2، ص203

⁴ - أحمد بن فارس، الصحاح في فقه اللغة تح السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص292

⁵ - المصدر نفسه، ص ن

وبهذه النظرة إلى الاستخبار والاستفهام يتضح أن ابن فارس ميز لنا بين الاس-تخبار والاستفهام ، وهذا التمييز لاشك ، وأنه قدم خدمة جلية لدارسي اللغة والبلاغة على حد سواء .

ويبرز هذه الحقيقة حسني عبد الجليل يوسف حين يقول: "ولاشك أن ابن فارس قد ميز الاستخبار عن الاستفهام في القرآن وما ورد في غير القرآن من ش-عر ونثر ، وقد أفاد ذلك البحث اللغوي والبلاغي فليس كل استفهام طلبا للفهم ، ولا-يس طلب للفهم استفهاما"¹.

ولكون الاستفهام طلب مافي الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام ، فإن غير الشاك إذا اس-تفهم يلا-زم تح-صيل الحاصل ... "وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام"². وأشار الزركشي إلى : " أن ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن الكريم ، وإنما يق-ع في خطاب ا- تعالى ... على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات والنفي-ي حاصل ، فيستفهم عنه نفسه"³.

فالإثبات :كقوله تعالى : ومن أصدق من الله حديثًا⁴ .
والنفي :كقوله تعالى : هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكُنْ ن ش-يئًا مذكورا⁵ .

وقوله تعالى : فهل أنتم مسيلمون⁶ .

ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهتكم أنفسكم عنه ف-إن ا- عز وجل لا يستفهم خلقه عن شئ ، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم م- قد علموا حق ذلك الشئ ، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن .
ونبه الزركشي إلى أن الاستفهام في القرآن الكريم على قسمين :

¹ - د.حسيني عبد الجليل يوسف ، اساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2001م ، ص9

² - البرهان ، ج2 ، ص 203

³ - المصدر نفسه ، ص ن

⁴ - النساء ، الآية : 87

⁵ - الانسان ، الآية : 01

⁶ - هود ، الآية : 14

1 - استفهام بمعنى الخبر.

2 - استفهام بمعنى الإنشاء.

أما الاستفهام الخبري فهو على ضربين :

أ - استفهام إنكاري

ب - استفهام تقرير.

الأول يطلب به إنكار المخاطب ، والثاني يطلب به إقراره.

والمعنى في الاستفهام الإنكاري ؛ على أن ما بعد الأداة منفي ، ولذا تصحبه "إلا" مـ ن

مثل قوله تعالى : فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ¹

وقوله تعالى : وهل نُجازي إلا الكفور ²

ويعطف عليه المنفي ، كقوله تعالى : فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ مُنَاصِرِينَ ³
أي لا يهدي .

ويأتي الاستفهام الإنكاري لأمرين:

أ - أن الإنكار قد يجئ لتعريف المخاطب ؛ أي أن ذلك المدعى ممتنع عليه .

وليس من قدرته ، كقوله تعالى : أَقَاتَتْ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى وَمَنْ

كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ⁴.

لأن إسماع الصم لا يدعيه أحد ، بل المعنى أن إسماعهم لا يمكن ، لأنهم م بمنزلة الصم - الصم
والعمى ، وإنما قدم الاسم في الآية ، ولم يقل : "أنتسمع الصم" .

إشارة إلى إنكار موجه عن تقدير ظن منه عليه السلام أنه يختص بإسماع من به صمم ،
وأنه ادعى القدرة على ذلك وهذا أبلغ من إنكار الفعل .

ب - أنه قد يصحب الإنكار التكذيب للتعريض بأن المخاطب ادعى - اه - وق - صد

تكذيبه ، كقوله تعالى : أَكُذِّبُ الذِّكْرَ وَلَهُ الْأُنثَى ⁵.

¹ - الأحقاف ، الآية : 35

² - سبأ ، الآية : 17

³ - الروم ، الآية : 29

⁴ - الزخرف ، الآية : 40

⁵ - النجم ، الآية : 21

وقسم الإنكار إلى قسمين :

أ- إبطالي .

ب- حقيقي .

فالإبطالي : أن يكون ما بعدها غير واقع ومدعيه كاذب

والحقيقي : يكون ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم .

كقوله تعالى : قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ ¹. وقوله : أَعْيِرَ اللَّهُ مَدْعُونَ ² ، أَتَى-أَتُونَ ³ ، أَتَاخُذُونَهُ بِهِتَانًا ⁴ .

وكل ما ذكر سلفا يدخل تحت الاستفهام الخبري ، وهو استفهام الإنكار .

أما الضرب الثاني فهو استفهام التقرير :

وعرفه بقوله : "والتقرير حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عند- ده ، واستفهام التقرير لا يكون ب "هل " إنما تستعمل فيه الهمزة والكلام مع التقرير موجب ، وإذاك يعطف عليه صريح الموجب ، ويعطف على صريح الموجب " ⁵

كقوله تعالى : أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⁶ .

وقوله تعالى : أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ⁷ .

¹ - الصافات ، الآية 95

² - الأنعام ، الآية : 40

³ - الشعراء ، الآية : 165

⁴ - النساء ، الآية 20

⁵ - البرهان ، ج 2 ، ص 207

⁶ - الضحى ، الأيتان : 6، 7

⁷ - الفيل ، الآية : 02

ويرى الزركشي أن استفهام التقرير استفهام إنكار ، والإنكار نفي ، وقد دخل على المنفى ونفى النفي إثبات ، وبين في هذا ما قال به ابن السراج : من أنه إذا دخلت على "ليس" ألف الاستفهام كانت تقريراً ودخلها معنى الإيجاب .

ولذلك لا تحسن معها أحد ؛ لأن أحداً إنما يجوز مع حقيقة النفي ¹ ومثاله قوله تعالى : أليس الله يكافي عبده ² .

وهو يرى في هذا القول إشكالا بدليل قوله تعالى : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ³ . فلو أجيب "بنعم" كفروا . ولهذا يرى أنه ليس بسؤال ، وبين أن الاستفهام إذا أدخل على النفي يدخل بوجهين :

1- إما أن يكون الاستفهام عن النفي : هل وجد أم لا ؟ فيبقى النفي على ما كان عليه ، ولا يجوز دخول "نعم" في جوابه ، بل تدخل عليه بلى .

2- أو يكون الاستفهام للتقرير : فالكلام حينئذ لفظ ومعنى ، فلفظه نفي داخـل عليه الاستفهام ، ومعناه الإثبات ، فبالنظر إلى لفظه تجيبه ببلى ، وبالنظر إلى معناه ، وهو كونه إثباتاً تجيبه بنعم ⁴ ومثاله قوله تعالى : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ⁵ .

وبين الزركشي أن استفهام التقرير يأتي على وجوه : مجرد الإثبات ، الإثبات مع الافتخار ، كما قال عن فرعون : قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ ⁶ .

الإثبات مع التوبيخ كقوله تعالى : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً ⁷ .

الإثبات مع العتاب كقوله تعالى : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ⁸ .

¹ - البرهان ، ج 2 ، ص 207

² - الزمر ، الآية : 36

³ - الأعراف ، الآية : 172

⁴ - البرهان ، ج 2 ، ص 208

⁵ - الشرح ، الآية : 01

⁶ - الزخرف ، الآية : 51

⁷ - النساء ، الآية : 97

⁸ - الحديد ، الآية : 16

ومنها التبكيت ،كقوله تعالى : **عَأْنَتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَين¹** . وهـ- و
تبكيت للنصارى فيما ادعوه.

ومنها التسوية :

وهي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها ،كقوله تعالى : **وسـ** . واء
عليهم **عَأْنَذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ²** ، أي سواء عليهم الإنذار وعدمه هـ ،مجـ ردة
للتسوية مضمحلا عنها معنى الاستفهام .

ومنه قوله تعالى : **قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمُ سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبْرِنَا مَا لَنَا³**
مِنْ مَحِيصٍ .

ومنها : التعظيم ،كقوله تعالى : **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ⁴** .

ومنها : التهويل نحو قوله تعالى : **الْحَاقَةُ مَا الْحَاقَةُ⁵** .

ومنها التسهيل والتخفيف ،كقوله تعالى : **وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ⁶** .

ومنها التفجع نحو : **يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكَيْدِ لَا يَغِيءُ إِدْرَاصٌ غَيْرُهُ وَلَا كَيْدٌ رَءٍ إِلَّا⁷**
أَحْصَاهَا .

ومنها التكثير ، نحو : **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا⁸** .

ومنها الاسترشاد ،نحو : **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا⁹** ، والظاهر أنهم م اسـ تفهموا
مسترشدين ، وإنما فرق بين العبارتين أدبا ، وقيل هنا للتعجب¹⁰ .

أما القسم الثاني من الاستفهام ،فهو الاستفهام الإنشائي :

وقد جاء في القرآن الكريم على ضروب كثيرة تعد آية في البلاغة .

ومن هذه الضروب :

¹ - المائدة ، الآية : 117

² - يس ، الآية : 10

³ - إبراهيم ، الآية : 21

⁴ - البقرة ، الآية : 255

⁵ - الحاقة ، الأبتان : 1، 2

⁶ - النساء ، الآية : 39

⁷ - الكهف ، الآية : 49

⁸ - الأعراف ، الآية : 04

⁹ - البقرة ، الآية : 30

¹⁰ - البرهان ، ج 2 ، ص 210

- 1- **مجرد الطلب** ، وهو الأمر ، كقوله تعالى : **أَقْلًا تَذَكَّرُونَ** ¹؛ أي اذكروا وقوله تعالى : **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ²، أي أحبوا . وقوله تعالى : **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ³ ، أي قاتلوا .
- 2- **النهي** ، كقوله تعالى : **مَا عَزَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ** ⁴ ، أي لا يغرك . وقوله تعالى : **أَتَخْشَوْنَهُمْ قَالَ أَوْحَى أَنْ تَخْشَوْهُ** ⁵ بدليل قوله : **فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ** ⁶
- 3- **التحذير**، كقوله تعالى : **أَلَمْ نُهَاجِكْ لَأُولَيْنِ** ⁷ أي قدرنا عليهم فنقدر عليكم .
- 4- **التذكير** ، كقوله تعالى : **قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ** ⁸ .
- 5- **التنبيه** ، كقوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ** ⁹ . وكقوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَ** ¹⁰
- وكقوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ¹¹ ، وعفـ ب الزركشي بقوله : " والمعنى في كل ذلك انظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه " ¹²
- 6- **الترغيب** ، كقوله تعالى : **مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا** ¹³ وقوله : **هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ¹⁴ .
- 7- **التمنى** ، كقوله : **فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ** ¹⁵ .

¹ - يونس ، الآية : 03² - النور ، الآية : 22³ - النساء ، الآية : 75⁴ - الإنفطار ، الآية : 06⁵ - التوبة ، الآية : 13⁶ - المائدة ، الآية : 44⁷ - المرسلات ، الآية : 16⁸ - يوسف ، الآية : 89⁹ - البقرة ، الآية : 258¹⁰ - الفرقان ، الآية : 45¹¹ - الفيل ، الآية : 01¹² - البرهان ، ج 2 ، ص 211¹³ - الحديد ، الآية : 11¹⁴ - الصف ، الآية : 10¹⁵ - الأعراف ، الآية : 53

وقوله : قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذَا اللّٰهَ بَعْدَ مَوْتِهَا ¹ ، قال العزيزي في تفسيره : أي كيف ، وما أعجب معانيه الإحياء!

8- **الدعاء** ، وهو كالنهي ، إلا أنه من الأدني إلى الأعلى ، كقوله تعالى
أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ ² .

وقوله تعالى : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ³ ، وهم لم يستفهموا ، لأن ا قال : إني جاعلٌ في الأرض خَلِيفَةً ⁴ ، وقيل : المعنى أنك ستجعل ، وشبهه أبـ و عبيد بن ربيعة - ول الرجل لغلّامه ، وهو يضربه : ألسنت الفاعل كذا! ⁵

9- **العرض والتخصيص** : وأشار إلى الفرق بينهما ، فبين أن الأول طلب برفق والـين ، والثاني الطلب بشدة وغلظة ، والذي عبر عنه بقوله : والثاني بشق فالأول كقوله تعالى : أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ⁶ ، والثاني كقوله : أَلَا تَتَّقُونَ قَوْمًا ⁷ نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ .

10- **الاستبطاء** : كقوله تعالى : مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ⁸ .

بدليل قوله تعالى : وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ⁹

11- **الإياس** ، نحو قوله تعالى : قَالَيْنِ مَذْهَبُونَ ¹⁰ .

12- **الإيناس** ، نحو : وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ¹¹ .

وقال ابن فارس : المراد به ؛ الإفهام : فإن ا تعالى قد علم أن لها أمرا قد خفي على موسى عليه السلام فاعلم من حالها ما لم يعلم ¹

¹ - البقرة ، الآية : 259

² - الأعراف ، الآية : 155

³ - البقرة ، الآية : 30

⁴ - البقرة ، الآية : 30

⁵ - البرهان ، ج 2 ، ص 211

⁶ - النور ، الآية : 22

⁷ - التوبة ، الآية : 13

⁸ - يس ، الآية : 48

⁹ - الحج ، الآية : 47

¹⁰ - التكوين ، الآية : 26

¹¹ - طه ، الآية : 17

13- **التهكم والاستهزاء** ،نحو : يا شُعَيْبُ أَصْلَانُكَ تَأْمُرُكَ²

وقوله : أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ³ .

14- **التحفیر** ،كقوله تعالى : وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا⁴ .

15- **التعجب** ،نحو: مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ⁵ .

16- **الاستبعاد** ،نحو : أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ⁶ .

17- **التوبيخ** ،كقوله تعالى : أَفَعَيِّرُ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ⁷ .

وقوله تعالى : أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ⁸؛ ولا تدخل همزة التوبيخ إلا على فعل قبله -يح ،أو ما يترتب عليه فعل قبيح⁹ .

بين الزركشي أن الحروف الموضوعة للاستفهام ثلاثة :

- الهمزة

- هل

- أم

ونبه على أن غيرها مما يستفهم به نحو:

- من

- ما

- متى

- أين

- أنى

¹ - البرهان ،ج2 ،ص 212

² - هود ،الآية : 87

³ - الصافات ،الآيتان :91،92

⁴ - الفرقان ،الآية : 41

⁵ - النمل ،الآية :20

⁶ - الدخان ،الآية :13

⁷ - آل عمران ،الآية :83

⁸ - الكهف ،الآية :80

⁹ - البرهان ، ج2 ، ص 213

- كم

- أيان

وأشار إلى أنها أسماء استفهم بها نيابة عن الهمزة ، وتلك الأدوات تنقسم من حي- ث م- ا يطلب بها إلى ثلاثة أقسام :

- 1- ما يطلب به التصور أو التصديق هو " الهمزة " خاصة .
 - 2- ما يطلب به التصديق هو " هل " خاصة.
 - 3- ما يطلب به التصور وهو باقي الأدوات .
- ووضح أن الهمزة تمثل أم الباب ، ولذلك اختصت بأحكام لفظية ومعنوية منها:
- 1- أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه .
 - 2- اختصاص الهمزة باستفهام التقرير.
 - 3- تأتي للاستنكار ، نحو قوله تعالى : أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ¹.
 - 4- اختصاص الهمزة بأم دون أدوات الاستفهام .
 - 5- اختصاص دخولها على الشرط.

الأمر :

من الأساليب الإنشائية الطلبية؛ وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام . وله صيغ أربع وهي :

- فعل الأمر الأصلي : (قم ، اعمل ، كل ...)
 - المضارع المقترن بلام الأمر (لينفق الكريم على أهله) .
 - اسم فعل الأمر : (صه يا هذا)
 - المصدر النائب عن فعل الأمر : (صبرا في مجال المجد) .
- ويكون الأمر حقيقيا إذا كان فيه طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويخرج إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام منها : { الدعاء ، النصيحة والإرشاد ، الالتماس ،

¹ - الأعراف ، الآية : 28

التعجيز ، التمني ، التخيير، التهديد ، التحقير، الإباحة ، التسوية ... إلخ.

والمتمأل في مبحث أسلوب الأمر عند الزركشي يجده اكتفى بالإشارة إلى الأمر بصيغته الأصلية ، واصطلح عليه بقوله: " الأمر حيث وقع في القرآن كان بغير الحرف "نحو قوله تعالى : **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**¹

وقوله تعالى : **كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ**².

وأشار إلى صيغة المضارع المقترن بلام الأمر، وقال عنه : " وجاء بالحرف في مواضع يسيرة على قراءة بعضهم "³نحو قوله تعالى: **فَيَذَلِّكَ قَلْبُكَ** ⁴؛ ووجهه حمل المخاطب على الغائب إلى الخطاب ، فكأنه لا غائب ولا حاضر ؛ وذلك لأن قوله تعالى : **وَلِيُذَكِّرْ** ⁵

ولم يذكر الزركشي صيغ الأمر الأخرى ، كما أنه لم يتعرض إلى أغراضه البلاغية .

¹ - البقرة ، الآية :43² - الأنعام : الآية :141³ - البرهان ، ج2 ، ص 231⁴ - يونس ، الآية :58⁵ - يونس ، الآية :58

التقديم والتأخير :

التقديم والتأخير من الأساليب البلاغية الكثيرة الدوران في كلام البشر عامـة والمبدعين خاصة. وعلماء البلاغة يدخلون هذا الأسلوب تحت ما اصطلحوا عليه " بشجاعة العربية ".

ولقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهميته ، وفوائده الجمّة ، ومحاسنه التي لا تنتهي ، حيث يقول : "هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروك سمعه ، ويلطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكانه"¹.

وغير خاف ما لموضوع التقديم من قيمة جمالية فنية -في البلاغة العربية- عمومًا والأساليب القرآنية خصوصًا .

والتقديم و التأخير يتخذ صوراً كثيرة ومختلفة ، وهي : (تقديم المفعول / تقديم خبر - ر المبتدأ عليه / تقديم الحال والاستثناء / تقديم الجار والمجرور/ التقديم والتأخير في النفي/ التقديم والتأخير في الاستفهام / التقديم والتأخير بحسب الاستقراء).

والزركشي تحدث عن مكانة التقديم والتأخير عند العرب ، لأنه مكن الفصاحة والتمكن في إدارة الكلام ، وتقليبه على وجوهه ، كما أن له في القلوب تأثيراً طيباً وعلى النفوس وقعا حسناً .

¹ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص76، 77

وعرفه الزركشي بقوله : " هو أحد أساليب البلاغة ؛ فإنهم أتوا به دلالة على تكمنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلـ وب أحـ سن موقـ ع ، وأعذب مذاق " ¹.

ونبه الزركشي إلى الخلاف الذي وقع بين العلماء في اعتبار أسلوب التقديم والتأخير مـ ن باب المجاز أو الحقيقة .

فمنهم من قال : إنه من باب المجاز ؛ لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ، وتأخير مـ ا رتبته التقديم كالفاعل ، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه .
لكن الزركشي يرى ، وجمهرة من العلماء غير ذلك ؛ يقول الزركشي : " والصحيح أنه ليس منه (المجاز) ؛ فإن المجاز نقل ما وضع له إلى مالم يوضع " ².

أسباب التقديم والتأخير :

ذكر الزركشي جملة من الأسباب تدعو إلى التقديم نوجزها في النقاط الآتية :

1- أن يكون الأصل في اللفظ التقديم ، ولا يوجد سبب يقتضي العدول عـ ن ذـ ك ، كتقديم المبتدأ عن الخبر ، والفاعل على المفعول ، وصاحب الحال عليها ؛ نحو :
جاء زيد راكبا ³.

2- أن يكون في التأخير إفساد للمعنى المراد ، نحو قوله تعالى : وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ
مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ⁴.

فإن قوله : (من آل فرعون) لو أخر عن قوله " يكتُم إيمانه " لتوهم أن الرجل ليس من آل فرعون ⁵.

¹ - البرهان ، ج3 ، ص 149

² - المصدر نفسه ، ص ن

³ - ينظر ، المصدر نفسه ، ص ن

⁴ - غافر ، الآية : 28

⁵ - البرهان ، ج3 ، ص 149

3- أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدم لرعاية الفواصل ، ولمشكلة الكـلام نحو قوله تعالى : **قَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى** ¹ فإن قوله : (في نفسه) لو أخر عن (موسى) لما حدث تناسب في الفواصل ، لأن قبله : **يَخِيلُ إِلَيْهِ مَن سِحَرَهُمْ أَنَّهَا تَسْعَى** ² وبعده : **إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى** ³ .
ونحو قوله تعالى : **وَتَغْشَى وجوههم النار** ⁴ فقد أخر الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده .

4- لعظمة المقدم والاهتمام به : نحو قوله تعالى : **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** واركعوا مع الراكعين ⁵ بدأ بالصلاة ، لأنها أهم .
وقوله تعالى : **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ⁶ فقدم العبادة للاهتمام بها .
وقوله تعالى : **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ⁷ .
قال الزركشي : (وذلك أن من عادة العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مخبر ما وأناطت به حكما وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيما أخبر عنه ، وقد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب ، فإنهم مع ذلك إنما يبدوون بالأهم والأولى) ⁸

¹ - طه ، الآية : 67² - طه ، الآية : 66³ - طه ، الآية : 68⁴ - ابراهيم ، الآية : 50⁵ - البقرة ، الآية : 43⁶ - الفاتحة ، الآية : 05⁷ - التغابن ، الآية : 12⁸ - البرهان ، ج 3 ، ص 150

5- أن يكون الخاطر ملتفتاً إليه والهمة معقودة به ؛ نحو قوله تعالى : **وجعلوا لآله شُرَكَاءَ الْجِنِّ** ¹ بتقديم الجار والمجرور () على المفعول به الأول (الجن) ، لأن الإنكار متوجه إلى الجعل ، لا إلى مطلق الجعل ²

6- أن يكون التقديم لإرادة التبيكيت و التعجيب : من خلال المذكور ، كتقديم المفعول الثاني على الأول كقوله تعالى : **وجعلوا لله شُرَكَاءَ الْجِنِّ** ³ والأصل ل الجـ ن شركاء وقدّم لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم شركاء أبلغ في حصوله.

7- الاختصاص : وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف ، والجار والمجرور على الفعل كقوله تعالى : **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ⁴ ، أي نخصك بالعبادة. والخبر ، كقوله تعالى : **قَالَ أَرَأَيْبَأُذُنَتْ عَنْ إِلَهِي** ⁵ والجـ ر والمجـ رور كقوله تعالى : **إِن إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ثُمَّ إِن عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ** ⁶

أنواعه :

بين الزركشي أن أنواع التقديم والتأخير ثلاثة :

أ- أن يقدم والمعنى عليه.

ب- أن يقدم وهو في المعنى مؤخر.

ت- أو بالعكس . (ما قدم في موضع وآخر في موضع آخر)

ولذلك رأينا الزركشي يضيف قسماً ثالثاً على ما ذكره الجرجاني في دلائل الإعجاز.

¹ - الأنعام ، الآية : 100

² - البرهان ، ج 3 ، ص 151

³ - الأنعام ، الآية : 100

⁴ - الفاتحة ، الآية 05

⁵ - مريم ، الآية : 46

⁶ - الغاشية ، الأيتان 25، 26

أولاً : ما قدم والمعنى عليه :

وهو عند الزركشي ينقسم إلى خمسة وعشرين قسمًا

1- السبق وهو على أقسام :

أ- السبق بالزمان والإيجاد ، كقوله تعالى : إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ - وهـ
وهذا النبي ¹ .

قال ابن عطية : " المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة "²

ومنه قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ³ ؛ فإن الأزواج
أسبق بالزمان ؛ لأن البنات أفضل منهن ، لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم.

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السنة على النوم في قوله : لَا تَأْخُذْهُ بِهِ غَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ⁴ لأن
العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة.

ويتطرق الزركشي إلى مسألة في قوله تعالى : إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا
نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ⁵ .

وفحوى المسألة : ما وجه تقديم الموت على الحياة في هذه الآية ؟

¹ - آل عمران ، الآية 68

² - البرهان ، ج 3 ، ص 153

³ - الأحزاب ، الآية : 59

⁴ - البقرة ، الآية : 255

⁵ - المؤمنون ، الآية : 37

فأجاب الزركشي بقوله : " لأجل مناسبة رؤوس الآي " ¹
ثم مسألة أخرى في قوله تعالى : إني متوفيك ورافعك إلي ² .
ما وجه تقدم التوفي على الرفع ؟

- 1- المراد بالتوفي النوم ، كقوله تعالى : يتوفاكم بالليل ³ .
- 2- أن التاء في متوفيك " زائدة ، أي : موفيك عملاً ⁴ .

2- بالذات : كقوله تعالى : مثنى وثلاث ورباع ⁵ .

وقوله تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم
ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ⁶ .
وقوله تعالى : سيفولون ثلاثة راعهم كلبهم ويفولون خمسة سادسهم كلبهم ⁷ .
وكذلك جميع الأعداد مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات .
أما قوله تعالى : أول إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما
يصاحبكم من جنة ⁸ .
فوجه تقديم المثنى أن المعنى حثهم على القيام بالنصيحة ، وترك الهوى ، مجتمعين
متساويين ، أو منفردين متفكرين .
ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع ، فبدأ بها ⁹

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 156

² - آل عمران ، الآية : 55

³ - الأنعام ، الآية : 60

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 156

⁵ - النساء ، الآية : 03

⁶ - المجادلة ، الآية : 07

⁷ - الكهف ، الآية : 22

⁸ - سبأ ، الآية : 46

⁹ - البرهان ، ج 3 ، ص 158

3- بالعلة والسيببية :كتقديم " العزيز" على "الحكيم" ؛ لأنه عز فحكم .

ومنه قوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ¹ ، قُدمت العبادة ، لأنها سبب حصول الإعانة.

وقوله تعالى : إِنْ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَالِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ² ؛ فإن التوبة سبب الطهارة .

4- بالمرتبة : كتقديم "سميع" على "عليم" ،بدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات .

وكقوله : عَفْوَ رَحِيمٍ ³ ؛فإن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ؛ وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله : الرَّحِيمِ الْعَفْوَ ⁴ ؛لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم .

5- بالداعية : كتقديم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى : وَتُحْذَرُ

لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ⁵ .

لأن البصر داعية إلى الفرج . لقوله صلى الله عليه وسلم : " العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه" ⁶

6- التعظيم : كقوله تعالى : شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ⁷ .

¹ - الفاتحة ، الآية : 05

² - البقرة ، الآية : 222

³ - البقرة ، الآية : 173

⁴ - سبأ ، الآية : 02

⁵ - النور ، الآية : 30

⁶ - ينظر ، أحمد ابن حنبل ، المسند ، ج 2 ، ص 372 ، 411 ، 528 ، 5354

⁷ - آل عمران ، الآية : 18

7- الشرف وهو أنواع :

- **شرف الرسالة** : كقوله تعالى: وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ¹ - وإن الرسول أفضل من النبي .
وقوله تعالى: وكان رسولا نبيا ²
- **شرف الذكورة** : كقوله تعالى : إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ³ .
- **شرف الحرية** : كقوله تعالى : الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ ⁴
- **شرف العقل** : كقوله تعالى: يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات ⁵ .
- **شرف الإيمان** : كقوله تعالى: وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِآلِ-ذِي الْقُرْبَىٰ- أَمْ لَا أَمْ لَا يَدْعُوا لَكُمْ عَصَاكُمْ يَخْلِفُكُمْ عَلَيْكُمْ آخِيكُمْ يَحْجِبُكُمْ وَيُشَاقِقُكُمْ كَيْدَهُمْ إِنَّهُمْ مُّكِيدُونَ ⁶ .
- **شرف العلم** : كقوله تعالى : ؕلَّ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ ⁷ .
- **شرف الحياة** : كقوله تعالى : يَخْرُجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ⁸ .
- **شرف المعلوم** : نحو قوله تعالى : عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ⁹ ؛ فإن علم الغيبات أشرف من المشاهدات . ومنه : يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ¹⁰ .

¹ - الحج، الآية: 52² - مريم، الآية: 54³ - الأحزاب، الآية: 35⁴ - البقرة، الآية: 178⁵ - النور، الآية: 41⁶ - الأعراف، الآية: 87⁷ - الزمر، الآية: 09⁸ - الروم، الآية: 19⁹ - المؤمنون، الآية: 92¹⁰ - الأنعام، الآية: 03

- **شرف الإدراك** : كتقديم السمع على البصر ، والسميع على البصير ؛ لأن السمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة ، وقدم القلب عليها في قوله تعالى : **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ¹ ؛ لأن الحواس خدمة للقلب ، وموصلة اليه .
- **شرف المجازاة** : كقوله تعالى : **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ² .
- **شرف العموم** : فإن العام أشرف من الخاص ؛ كتقديم العفو على الغفور ، لأن العفو أعم وذاك قدم ، والمغفرة أخص وذاك أخرت ³ .
- **شرف الإباحة للإذن بها** : كقوله تعالى : **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَنَتَرَوَا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنْ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ** ⁴ .
- **شرف الفضيلة** : كقوله تعالى : **وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ⁵ . وقوله : **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ⁶ .
- وقوله : **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ⁷

¹ - البقرة ، الآية : 07² - الأنعام ، الآية : 160³ - ينظر ، البرهان ، ج 3 ، ص 163⁴ - النحل ، الآية : 116⁵ - النساء ، الآية : 69⁶ - الأحزاب ، الآية : 07⁷ - سورة الفتح ، الآية : 29

8- الغلبة والكثرة :

كقوله تعالى: **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هــ و**
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ¹ ، قدم الظالم لكثرتة .

وقوله: **فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ² .**

ومنه قوله تعالى: **يُولِ لِلْمُؤْمِنِينَ يُعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فَرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ** - م
إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ يَمَا يَصْنَعُونَ³

قال الزمخشري: " قدم غص البصر ؛ لأن النظر بريد الزنى ، ورائد الفجور ، والبلوى به
 أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه "⁴ .

9- سبق ما يقتضي تقديمه :

وهو دلالة السياق ، كقوله تعالى: **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ⁵ ؛** لما
 كان إسراحها وهي خماص ، وإراحتها وهي بطان ، قدم الإراحة لأن الجمال به - أ حينئذ - ذ
 أفخر.

10- مراعاة اشتقاق اللفظ :

كقوله تعالى: **لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ⁶ .**

وقوله تعالى: **ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ⁷ .**

¹ - فاطرة ، الآية: 32

² - هود ، الآية: 105

³ - النور ، الآية: 30

⁴ - البرهان ، ج3 ، ص 167

⁵ - النحل ، الآية: 06

⁶ - المدثر ، الآية: 37

⁷ - الواقعة ، الآيتان: 39، 40

11 - للحث عليه خيفة التهاون :

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين في قوله تعالى : مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ¹ ؛ فإن وفاء الدين سابق على الوصية ، لكن قدم الوصية ، لأنها - م كانوا يتساهلون بتأخيرها ، بخلاف الدين²

12 - لتحقيق ما بعده واستغنائه هو عنه في تصويره :

كقوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا³.

13 - الاهتمام عند المخاطب :

كقوله تعالى : وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها⁴.

14 - للتنبية على أنه مطلق لا مقيد :

كقوله تعالى : وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَّبُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ يَغَيِّرُ عِلْمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ⁵ ، على القول بأن ا في موضوع المفعول الثاني لـ " جعل - ل " و " شركاء " مفعول أول ، ويكون " الجن " في كلام ثان مقدر كأنه قال : (فمن جعلوا شركاء قيل الجن ، وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم " شركاء " على الإطلاق)⁶.

¹ - النساء ، الآية : 11

² - البرهان ، ج 3 ، ص 169

³ - مريم ، الآية : 96

⁴ - النساء ، الآية : 86

⁵ - الأنعام ، الآية : 100

⁶ - البرهان ، ج 3 ، ص 171

15- للتنبية على أن السبب مرتب :

كقوله تعالى: **يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ** ¹ .
 قدم الجباه ، ثم الجنوب ؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن الـسائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يتولى بظهره .

16- التنقل :

وقد يكون من أقرب إلى الأبعد ، كقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** .
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ² .

أو بالعكس ، وإما من الأعلى ، وإما من الأدنى .

العكس كقوله تعالى : **إِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ** وفي خلقكم وما يبـث من دابةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ³ .
مِنَ الْأَعْلَى : كقوله تعالى : **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ⁴ .

مِنَ الْأَدْنَى : كقوله تعالى : **وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ⁵

¹ - التوبة ، الآية : 35² - البقرة ، الآية : 21، 22³ - الجاثية ، الآيتان : 3، 4⁴ - آل عمران ، الآية : 18⁵ - التوبة ، الآية : 121

17 - الترقي :

كقوله تعالى : أَلْهَمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا - أَمْ لَّهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ¹.

18 - مراعاة الأفراد :

كقوله تعالى : الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا - وَخَيْرٌ أَمَلًا ².

19 - التحذير منه والتنفير منه :

كقوله تعالى : الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ³ ؛ قرن الزنى بالشرك وقدمه.

وقوله : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنط - رة هـ - ن ال - ذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا واللا هـ عذ - ده ح - سن المآب ⁴ ؛ قدمهم في الذكر ؛ لأن المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد.

وأشار الزركشي إلى حكمة عظيمة حين بدأ السياق القرآني - ها هنا - بذكر النساء في الدنيا ، وختم بـ " الحرث " وهما طرفان متشابهان ، وفيهما الشهوة والمع - اش ال - دنيوي ، ولما ذكر بعد ذلك ما أعده للمتقين آخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب - ب الأخ - روي وختم بالرضوان .

¹ - الأعراف ، الآية : 195² - الكهف ، الآية : 46³ - النور ، الآية : 03⁴ - آل عمران ، الآية : 14

ثم يعقب الزركشي قائلا : " وكم في القرآن من مثل هذا العجب إذا حضر له الـ ذهن ،
وفرغ له الفهم"¹

20- التخويف منه :

كقوله تعالى : يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ².

21- التعجب من شأنه:

كقوله تعالى: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ
وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ³.

22- كونه أدل على القدرة:

كقوله تعالى : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ⁴.

23- قصد الترتيب :

كما في آية الوضوء دليل على ذلك .

¹ - البرهان ، ج3 ، ص 173

² - هود ، الآية : 105

³ - الأنبياء ، الآية : 79

⁴ - النور ، الآية : 45

24- خفة اللفظ :

كما في قولهم : ربيعه ومضر مع أن مضر أشرف لكون النبي صلى الله عليه وسلم منها.

25 - رعاية الفواصل :

كقوله تعالى : خُذُوهُ فَعَلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَوَهُ ¹ .
ولو قال :صلوه الجحيم لأفاد المعنى ؛ولكن يفوت الجمع أي : الجمع بـ بين الفاصلة وأثرها الموسيقي ، والمعنى المراد .

ثانيا : ما قدم والنية به التأخير:

وقسمه الزركشي إلى قسمين :

1- ما يدل عليه الإعراب : كتقديم المفعول على الفاعل كقوله تعالى: -إِنَّمَا يَخُشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ² .

2- ما يدل على المعنى : كقوله تعالى: -وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ م-
كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ³ على جهة التوكيد ، لأنه عرفهم الاختلاف في القاتل بعد أن دلهم على نبج البقرة ⁴ .

ثالثا ما قدم في آية وآخر في أخرى :

عد منه الزركشي قوله تعالى في سورة الفاتحة " الحمد " وفي خاتمة الجاثية " فلا -ه الحمد " .

ونبه أن تقديم الحمد في الأولى جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب ⁵

¹ - الحاقة ، الأبتان :30،31

² - فاطر ، الآية :28

³ - البقرة ، الآية :72

⁴ - البرهان ، ج. ، ص 176

⁵ - المصدر نفسه ، ص 176

وعد من أنواعه : أن يقوم اللفظ في الآية ويتأخر فيها لقصد أن يقع البداءة والختم به للإغناء بشأنه وذلك كقوله تعالى: **يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ¹.

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر ، واللفظ واحد ، والقضية واحدة للتفـنـن في الفصاحة ، وإخراج الكلام على عدة أساليب ، كما في قوله تعالى: **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَثُؤُلُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ²

وقوله : **وَثُؤُلُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ³

ما نختتم به مبحث التقديم والتأخير عند الزركشي ، يتمثل في الإشارة إلى ما تفرده فـي هذا الباب ، ونحوصله فيما يلي :

1- التقديم لتحقيق ما بعده.

2- التقديم للتحذير منه ، والتنفير عنه.

3- التقديم للتعجيب من شأنه.

4- التقديم للتنبيه على أن السبب مرتب.

ودلت هذه الفروع الأربعة على تميز الزركشي في باب التقديم والتأخير ، وأن الرجل عالجه معالجة شاملة وعميقة ، أسفرت مع الفروع الأخرى عن مناحي الجمال والإعجاز في الأساليب القرآنية .

ودل على عبقرية الزركشي في مدى تذوقه للأساليب القرآنية ، وتعمقه فهمها ، واستنباط وجوه الجمال فيها.

¹ - آل عمران ، الآية : 106

² - البقرة ، الآية : 58

³ - الأعراف ، الآية : 161

أسلوب الحذف :

الحذف من الأساليب البلاغية التي اشتهرت بها اللغة العربية ، وسـماه ابـن جنـي : " شجاعة العربية " ؛ لأنه تكمن فيه أسرار ومزايا وفوائد لا يدركها إلا الخبير بأساليب الكلام ، الحاذق بأسرار اللغة ، البصير بطرائق القول ، فالمتكلم يطوي جزء من أجزاء الكلام ، ولا يختل المعنى بهذا الطي ، بل يزداد به حسنا وبهاء ورونقا ، وتكثر فوائده ومزاياه. والبصير بأفانين القول وأفنانها هو الوحيد الذي يستطيع ممارسة هذا اللون مـن أـلـوان الكلام ويفقه مواطنه ، ويعرف متى يستجاد ، ويدرك أسباب الإجادة. وإذا قال عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، وأفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدر أنطق ما تكون إذا لم تنطق ؛ وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين ¹ .

وقد كثر الحذف في اللغة وتنوع ، فنرى حذف الكلمة حرفـا وفـعـلا واسـما ، مـضافا ومضافا إليه ، فاعلا ومنفوعا ، صفة وموصوفا ، خبرا ومبتدأ ، نرى حـذف الجملة ، وحذف الجمل وحذف الأجوبة ، جواب الشرط ، جواب القسم وجواب الاسـتفهام كمـا نرى حذف جزء من الكلمة وبقاء جزء ، ولا بد في كل حذف من دليل يدل على المحذوف ، ومن سر بلاغي يستدعي الحذف .

والحذف في أساليب القرآن العظيم يتطلب عقلا حاضرا ، وذهنا متوقفا ، ونظـرا ثاقبـا ، وقبل هذه الأمور أدنا واعية ، حتى يستطيع متلقى تلك الحواس المهيأة للإدراك ، أن يدرك من أسرار الحذف في القرآن ما يشاء ؛ له أن يدرك ، وأن يتمتع بجمالها ، ويـسـبح فـي فضاءاتها ، ويغنم من دررها وبدائعها غنائم وفرائد ما بعدها من فرائد.

¹ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 100

الحذف عند الزركشي :

ماهية الحذف :

يستهل الإمام الزركشي الحديث عن باب الحذف بالإشارة إلى ماهيته حيث عرفه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية .
فالحذف عنده لغة هو : الإسقاط .
أما اصطلاحاً : هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل ¹.
ثم عرج على قضية الخاط بين الحذف والإضمار ، والحذف والإيجاز ، التي وقع فيها بعض من النحويين واللغويين ، حيث حاول أن يجلّي الفـرق فـي هـذه المسائل .

فأبان عن الفرق بين الحذف والإيجاز بقوله : " والفـرق بينهما أن شـروط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف تم مقدر ، نحو : ² واسأل القرية ² بخلاف الإيجاز ؛ فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمّة بنفسه" ³.
أما الفرق بينه وبين الإضمار ؛ أن شرط المضمّر بقاء أثر المقدّر في اللفظ نحو: ⁴ يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً .

واعتبر الزركشي الحذف من باب المجاز إذا كان يراد به إسناد الفعل إلى غيره ، وهو ما يعرف بالمجاز العقلي ، وإلا فهو حقيقة .

¹ - البرهان ، ج3 ، ص 67

² - يوسف ، الآية : 82

³ - البرهان ، ج3 ، ص 67

⁴ - الإنسان ، الآية : 31

يقول : " والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك ؛ لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره - وهو المجاز العقلي - فالحذف كذلك " ¹.

كما بين أن الذكر هو الأصل في الكلام ، والحذف فرع ، قد تقتضيه الضرورة، و- ذاك يقول الزركشي : " والحذف خلاف الأصل ؛ وعليه ينبني فرعان :
أ- إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه ، كان الحمل على عدمه أولى ، لأن الأصل عدم التغيير.

ب- إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته ؛ كان الحمل على قلته أولى " ²
وبعدها عالج أسلوب الحذف من وجوه خمسة وهي :

- فوائده .
- أسبابه .
- أدلته .
- شروطه .
- أقسامه .

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 68
² - البرهان ، ج 3 ، ص 68

أولاً : فوائده : عد من فوائده :

- التفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام .
- زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلما كان الـ شعور بالمحذوف أعـ سر كان الالتذاذ به أشد وأحسن .
- طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .
- التشجيع على الكلام ، ومن ثم سماه ابن جني : (شجاعة العربية) .
- موقعه في النفس من موقعه على الذكر .

ثانياً ثم بين الأسباب الداعية للحذف وهي :

- مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر ، نحو الهـ لال وا ، أي هذا ، فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال .
- التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشـ تغال بـ ذكره يفضي إلى تفويت المهم ، وهذه من فوائد باب التحذير والإغراء ، وجمعا في قوله تعالى فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ¹ ، على التحذير ؛ أي احذروا ناقة ا فلا تقربوها و " سقياها" إغراء بتقدير الزموا ناقة ا .
- التفخيم والإعظام على ما قال به حازم من أنه يحسن الحذف ما لم يشكك به المعنى لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء فيكون فـ ي تعـ دادها طـ ول و سـ آمة ، فيحذف ، ويكتفى بدلالة الحال عليه .
- ومنه قوله تعالى : فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ يَجْزُوهُ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا عَشِيَهُمْ ² ؛ مـ الا يعلم كنهه إلا ا .
- التحقيق ؛ لكثرة دورانه في كلامهم ، كما حذف حرف النداء ، في نحو :

¹ - الشمس ، الآية : 13

² - طه ، الآية : 78

يوسفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِإِذْنِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ¹ ، والتفـ دير :
 "يا يوسف "

- حذف نون التثنية والجمع ، وأثرها باق ، نحو قوله تعالى : والمقيمـي الصلاة
 ومما رزقناهم ينفقون ² ، كأن النون ثابتة ، فعلوا ذلك لاسـ تطالة الموصـ ول فـي
 الصلة نحو : والليل إذا يسر ³ حذفوا الياء للتخفيف.

- رعاية الفاصلة ، نحو : ما ودعك ربك وما قلى ⁴ ، واستند إلى ما قاله الرماني
 : "إنما حذفوا الياء في الفواصل ، لأنها على نية الوقف ، وهي في ذلك كـ القوافي
 التي لا يوقف عليها بغير ياء" ⁵.

- أن يحذف صيانة له : كقوله تعالى : قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ⁶ إلى قوله :
 إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⁷ ؛ حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع قيل ذكر الرب أي : هــ و
 رب السموات . وا ربكم . وا رب المشرق ؛ لأن موسى عليه السلام استعظم
 حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيبا وتفخيما ، فاقصر على ما يستدل به مـ ن
 أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ⁸.

- صيانة اللسان عنه ، كقوله : صم بكم عمي فهم لا يرجعون ⁹ ، أي هم .

- كونه لا يصلح إلا له : كقوله تعـ الى : عـ إِمَّ الْغَيْـ بـ والـ شهادة فتعـ الى عمـ ا
 يشركون ¹⁰.

¹ - يوسف ، الآية : 29

² - الحج ، الآية : 35

³ - الفجر ، الآية : 04

⁴ - الضحى ، الآية : 03

⁵ - البرهان ، ج 3 ، ص 70

⁶ - الشعراء ، الآية : 23

⁷ - البرهان ، ج 3 ، ص 70

⁸ - البرهان ، ج 3 ، ص 70

⁹ - البقرة ، الآية : 18

¹⁰ - المؤمنون ، الآية : 92

- شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء.

ثالثا في أدلته :

1- أن يدل عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف ، كقوله تعالى: ¹ واسأل القرية¹ ، فإنه يستحيل عقلا تكلم الأمكنة إلا معجزة.

2- أن يدل العقل عليهما ، أي على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى : وجاء ربك والملاك صفا صفا² أي أمره ، أو عذابه أو ملائكته ؛ لأن العقل دل على ذلك.

3- أن يدل العقل على أصل الحذف والشروع في الفعل على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى: ³ قَالَتْ قَدْ لَبِئْسَ الَّذِي لَمْ تُنَبِّئِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودتْهُ ع- ن نَفْسُهُ قَالَتْ قَدْ لَبِئْسَ الَّذِي لَمْ يُفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيْسَ جَنًّا وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّاعِرِينَ³.

4- أن تدل العادة على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى: ⁴ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَتَلْنَا لَأَتَّبَعْنَاهُمْ لَكُفْرًا يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ⁴ ، أي مكان القتال .

5- أن يدل اللفظ على الحذف والشروع في الفعل على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى : بس- - - م ا-⁵ فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفاً ، لأن حرف الجر لا بد له من متعلق ، ودل الشروع على تعيينه.

¹ - يوسف ، الآية : 82

² - الفجر ، الآية : 22

³ - يوسف ، الآية : 32

⁴ - آل عمران ، الآية : 167

⁵ - الفاتحة ، الآية : 01

6- أن تدل عليه العادة الشرعية ؛ كقوله تعالى: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ¹ ؛ فإن الذات لا تتصف بالحل والحرمة شرعا ، إنما همـا من صفات الأفعال الواقعة على الذوات.

رابعاً : شروطه :

1- أن تكون في المذكورة دلالة على المحذوف وهذا الشرط إنما يحتاج إليه إذا كان المحذوف الجملة بأسرها كقوله تعالى : قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَمَا لِيْثَ أَنْ جَاءَ يَعْجَلُ حَنِيزٌ²، أي سلمنا سلاما ، وكقوله تعالى الحمد لله رب العالمين³ أي احمدوا الحمد. وأما إذا كان المحذوف فضله فلا يشترط لحذفه دليل ، ولكن يشترط ألا يكون في حذفه إخلال بالمعنى أو باللفظ كما في حذف العائد المنصوب⁴ .

خامساً : أقسامه :

1- اللاقطاع : ومعناه ذكر حرف من الكلمة وإسقاط باقي الكلمة ومثـل لـه بقوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ⁵ أن الباء هنا أول كلمة "بعض "

¹ - النحل ، الآية : 115

² - هود ، الآية : 69

³ - الفاتحة ، الآية : 02

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 74

⁵ - المائدة ، الآية : 06

2- الاكتفاء : وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما -ا- ت- لازم وارتباط -ا- فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويختص بالارتباط غالباً، فإن الارتباط خمسة أنواع:

وجودي ، ولزوم-ي ، وخب-ري ، وج-وابي ، وعطف-ي ، ومث-ل ل-ه يقوا-ه تعالى : الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ¹ ، أي الشهادة.

3- الضمير والتمثيل :

وهو يعني بالضمير أن يضم من القول المجاور لبيان أحد جزئيه ، ومثاله قوله تعالى : وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ -م معرضون².

4- أن يستدل بالفعل لشيئين: وهو في الحقيقة لأحدهما فيضم؛ للآخر فعل يناسبه ؛ كقوله تعالى : وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَجِبُ -ون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وم-ن ي-وق-ش-ح-ن-ه-س-ه-فأول-ك-ه-م المفلحون³ ، أي واعتقدوا الإيمان .

5- أن يقتضي الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما ؛ لأنه المقصود كقوله تعالى حكاية عن فرعون : قَالَ قَمْن رَبُّمَا يَا مُوسَى⁴ ، ولم يقل "وهرون"؛ لأن موسى المفصود المتحمل أعباء الرسالة.

6- أن يذكر شيئين ، ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر ، كقوله تعالى : وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ

¹ - البقرة ، الآية : 03

² - الأنفال ، الآية : 23

³ - الحشر ، الآية ، الآية : 09

⁴ - طه ، الآية : 49

أ خیر من اللہو ومن التجارة وأ^١ خیر الرازقین ؛ فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه.

7- الحذف المقابلي :

وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ، كقوله تعالى: أَمْ يَتُوءُونَ أَفْتَرَاهُ - لَئِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلْيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ^٢ ؛ فتق-ديره إن افتريته فعلى إجرامي وأنتم براء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا ب-رئ منه ، ودلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات .

8- الاختزال :

وهو الافتعال ، من خزله ، قطع وسطه ، ثم نقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر وهي إما اسم ، أو فعل ، أو حرف^٣

مواضع الحذف :

أولا - الاسم :

1- المبتدأ :

ومثاله قوله تعالى : سَيُوءُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كُتُبُهُمْ وَيُوءُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كُتُبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيُوءُونَ سَبْعَةً وَتَأْمِنُهُمْ كُتُبُهُمْ كُلٌّ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ - م إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا^٤ أي هم ثلاثة ، وهم خمسة ، وهم سبعة .

^١ - الجمعة ، الآية : 11

^٢ - هود ، الآية : 35

^٣ - البرهان ، ج 3 ، ص 88

^٤ - الكهف ، الآية : 22

وقوله تعالى : **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ¹، أي هم عباد

ثانيا :الخبر :

ومثاله قول تعالى: **كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ** النار ² أي دائم .

وقوله تعالى : **لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ** فأنتم مبتدأ ، والخبر محذوف أي حاضرون، وهو لازم الحذف هنا ، وبين ما يحتمل الأمرين حذف المبتدأ أو الخبر ، ومثاله قوله تعالى : **قَصِرَ جَمِيعٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ³ ؛ فإنه يحتمل حذف الخبر، أي أجمل ، أو حذف المبتدأ ، أي فأمرى صبر جميل . وهذا أولى لوجود قرينة حالية -هي قيام الصبر- دالة على المحذوف ، وعدم قرينة حالية ، أو مقالية تدل على خصوص الخبر.

ثالثا : حذف الفاعل :

بين الزركشي أن المشهور امتناعه إلا في ثلاثة مواضع :

أ- إذا بنى الفعل للمفعول .

ب- في المصدر إذا لم يذكر معه الفاعل نحوه : **أَوْ اطَّعُوا فَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكُمْ شَيْءٌ** مسغبة ⁴.

ت- إذا لاقى الفاعل ساكنا من كلمة أخرى ، كقوله تعالى : **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ**

حَبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ⁵ أي الشمس .

وبين أنه قد يحذف الفاعل ويقام المفعول مقامه مع بناء الفعل للمفعول وعد لذلك أسـ بابا منها :

¹ - الأنبياء ، الآية :26

² - الرعد ، الآية : 35

³ - يوسف ، الآية : 18

⁴ - البلد ، الآية : 14

⁵ - ص ، الآية : 32

- العلم به كقوله تعالى : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون ¹.
- تعظيمه ومناسبة الفواصل نحو قوله تعالى : وما لأحدٍ عنده من نعمة تُخـزى ² ولم يقل يجزيها.

وقوله تعالى : تُضَيَّ الأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ³ إذا كان الذي قضاه عظيم القدر .

رابعاً : حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه :

مثل له بقول ا تعالى : حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِمَّنْ لَّا يَدْرِي يَنْسَلُونَ ⁴ أي سد يأجوج ومأجوج ، ونبه أن المضاف إذا علم جاز حذفه مـ مع الالتفات إليه فيعامل الملفوظ به من عود الضمير عليه ومع إطراحه يصير الحكم في عود الضمير القائم مقامه ⁵.

خامساً : حذف المضاف إليه :

نبه الزركشي إلى أنه أول استعمالاً كقوله تعالى : تِلْكَ الرِّسَالُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ⁶. أي على بعضهم ؛ وكل ما قطع عن الإضافة مما وجبت إضـافته معذري لالفاظاً كقوله تعالى : لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ ⁷ أي مـ ن قبل ذلك ومن بعده.

سادساً : حذف المضاف والمضاف إليه :

بين الزركشي أنه قد يضاف إلى مضاف ، فيحذف الأول والثاني ، ويبقى الثالث كقوله تعالى : تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ⁸ ، أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت .

¹ - الأنبياء ، الآية : 37

² - الليل ، الآية : 19

³ - يوسف ، الآية : 41

⁴ - الأنبياء ، الآية : 96

⁵ - البرهان ، ج 3 ، ص 98

⁶ - البقرة ، الآية : 253

⁷ - الروم ، الآية : 04

⁸ - الأحزاب ، الآية : 19

وقوله تعالى: **فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ** ¹ أي: من أثر حافر فرس الرسول.

وقوله تعالى: **فَإِنهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ²، أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب .

سابعاً : حذف الجار والمجرور:

مثل له الزركشي بقوله تعالى: **وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا**

وَعَاخِرَ سَيِّئًا عسى ³ أن يتوب عليهم إن ⁴ عَفُورٌ رَحِيمٌ ⁵ أي بسبب آخر سيئاً

، أي بصلاح وكذا يحذف الجار والمجرور بعد أفعال التفضيل كقوله تعالى: **وَإِنْ**

تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ⁶، أي من السر.

ثامناً : حذف الموصوف :

كقوله تعالى: **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ⁷، أي القوم المتقين.

وقوله تعالى: **وَعِنْدَهُمْ قَالَصِرَاتُ الطَّارِفِ عَيْنٍ** ⁸، أي حور قاصرات.

وقوله تعالى: **وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُطُوفُهَا تَذِيلًا** ⁹ أي: وجنة دانية.

¹ - طه، الآية: 96

² - الحج، الآية: 32

³ - التوبة، الآية: 102

⁴ - طه، الآية: 07

⁵ - البقرة، الآية: 02

⁶ - الصافات، الآية: 48

⁷ - الإنسان، الآية: 14

تاسعا : حذف الصفة :

ونبه الزركشي إلى أن حذف الصفة أكثر ما يكون للتفخيم والتعظيم في النكرات
وكأن التنكير حينئذ علم عليه ، كقوله تعالى : **فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**¹، أي
وزنا نافعا.

وكقوله تعالى: **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**² ، أي : من جـ - وع شـ - يد
وخوف عظيم .
وقوله تعالى : **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**³ ، أي صالحة.

عاشرا : حذف المعطوف :

كقوله تعالى : **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ** ول
فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا⁴ ، أي أمرنا مترفيها ، فخالفوا الأمر ، ففسقوا.

الحادي عشر : حذف المعطوف عليه :

كقوله تعالى : **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فٍ - رَقٍ**
كَالطُّورِ الْعَظِيمِ⁵ ، التقدير : فضرِب فحذف المعطوف عليه ، وهـ - و ضـ - رب و حـ - رف
العطف وهو الفاء المتصلة بـ "انفلق" فصار "فانفلق" فالفاء الداخلة على انفلا - ق هـ - ي
الفاء التي كانت متصلة بـ "ضرِب" ، وأما المتصلة بـ "انفلق" محذوفة .

¹ - الكهف ، الآية : 105² - قريش ، الآية : 04³ - الكهف ، الآية : 79⁴ - الإسراء ، الآية : 16⁵ - الشعراء ، الآية : 63

الثاني عشر : حذف المبدل منه :

وأشار الزركشي إلى أنهم اختلفوا فيه ، وخرج عليه قوله تعالى : **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنْ لَرَيْنَ يَقْتِرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلَحُونَ** ¹ . أي هو بدل من الكذب.

الثالث عشر : حذف الموصول :

كقوله تعالى : **آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَمُسْلِمُونَ** ² أي : والذي أنزل إليكم ؛ لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا ؛ ولذلك أعيدت "ما" بعد "ما" في قوله : **وَأُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ³ .

الرابع عشر : حذف المخصوص في باب "نعم" إذا علم من سياق الكلام :

كقوله تعالى : **وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدَ لَهُ أَوَابٌ** ⁴ ، والتقدير : نعم العبد - داوود أيوب ، أو نعم العبد هو ؛ لأن القصة في ذكر أيوب ، فإن قدرت نعم العبد هـ - و ، لـ م يكن "هو" عائدا على العبد ، بل على أيوب .
وقوله تعالى : **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ⁵ أي : عقابهم .

¹ - النحل ، الآية : 116² - العنكبوت ، الآية : 46³ - البقرة ، الآية : 136⁴ - ص ، الآية : 30⁵ - الرعد ، الآية : 24

وقوله تعالى : **وَنِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ** ¹ أي أجرهم.

الخامس عشر: حذف الضمير المنصوب المتصل وهو في أربعة أبواب

هي :

- 1- الصلة ،كقوله تعالى : **أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا** ². أي بعثه.
 - 2- الصفة ،كقوله تعالى : **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَقَاقَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ** ³ أي فيه .
 - 3- الخبر ،كقوله تعالى : **وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى** ⁴ في قراءة ابن عامر.
 - 4- الحال.
- وأشار إلى أن الحذف في "الصلة" يتأكد أكثر منه في الصفة والخبر دون ذلك ،حيث يقول :
(فكان الحذف أكد في الصلة من الصفة ،لأن هنا شيئين يدلان على الحذف ؛ الـ صفة يستدعي موصوفا ، والعامل يستدعيه أيضا) ⁵.

السادس عشر : حذف المفعول وهو نوعان :

أ- أن يكون مقصودا مع الحذف فينوى لدليل ويقدر في كل موضع ما يليق به ،كقوله تعالى : **فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ⁶ أي يريد ،فحذف ضمير المفعول تخفيفا .
وغرضه الحذف في هذا المقام : إما قصد الاختصار عند قيام الـ رائن ،أو قصد الاحتقار ،أو قصد التعميم،أو رعاية الفاصلة ،نحو قولـه تعـالى :
وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ⁷ ،أي ما قلاك ،فحذف المفعول ؛ لأن فواصل الآي على الألف ،والبيان بعد الإلهام كما في مفعول المشيئة والإرادة .

¹ - آل عمران ،الآية :136

² - الفرقان ،الآية :41

³ - البقرة ،الآية :48

⁴ - النساء ،الآية :95

⁵ - البرهان ،ج3 ، ص 106

⁶ - البروج ،الآية :16

⁷ - الضحى ،الآية :1،2،3

ت - ألا يكون المفعول مقصودا أصلا : ينزل الفعل المتعدي منزله القاصد - ر وذا - ك عند إرادة وقوع نفس الفعل فقط وجعل المحذوف نسيا منسيا كما نسي الفاعل عند بناء الفعل فلا يذكر المفعول ولا يقدر غير أنه لازم الثبوت عقلا لموضع - وع - ك - ل فعل متعد ، لأن الفعل لا يدري تعيينه .

وغرض الحذف هنا : البيان بعد الإلهام ، والمبالغة ، ومثاله قوله تعالى : ولم - ا ورد م - آء مدين وجد عليه أمة من الناس يسفون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكم - ا قائلًا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ¹ حذف منها المفعول خمس م - رات ، لأنه غير مراد وهو قوله : "يسفون" وقوله : "تذودان" ، وقوله : " لا نسقي حتى ي - يصدر الرعاء" "موالشيهم" فسقى لهم " غنهما .

وكقوله تعالى : أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ² ، أي : أمرناهم بالفسق ؛ وهو مجاز ع - ن تمكينهم وإقذارهم .

ونبه العلماء على أن حذف المفعول به من أكثر المحذوفات عناية لكثرة وروده في القرآن الكريم ، ودلالاته الجمالية ، يقول الزجاج : " إنه لو حاول إنسان أن يأتي بجميع م - ا في التنزيل من حذف المفعول به لتوالت عليه الفتوق ولم يستطع القيام به لكثرة ه - وية - رن ذلك بمن يستقي من بئر زمزم فيغلبه) ³ .

وأشار ابن جني إلى كثرة حذفه ووعورة مركبه قائلا : " أن حذفه كثير ، ولا يركب - ه إلا من قوي طبعه ، وأن حذفه أقوى دليل على قوة عربية الناطق ⁴ "

¹ - القصص ، الآية : 23² - الإسراء ، الآية : 16³ - الزجاج ، إعراب القرآن ، تح إبراهيم الأنباري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، (د ط) ، 1964 ، ج 2 ، ص 405⁴ - ابن جني ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تح ، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 1998 م ، ج 2 ، ص 335

السابع عشر: حذف الحال :

كقوله تعالى : **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** إما صبرتم فَنِعْمَ عُقْبَى الدار ¹، أي قائلين سلام عليكم ، والعرب قد تحذف الحال إذا كانت بالفعل لدلالة مـ صدر الفعل عليه كقوله تعالى : **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سَبْـئٍ نُجِلٍ إِلَّا قَلِيلًا** إما تأكلون ² فدأبا يقدر بالفعل تقديره "تأدبون " دأبا في موضع الحال.

الثامن عشر: حذف المنادى :

كقوله تعالى : **أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ** ³ على قراءة الكسائي بتخفيف ألا على أنها تنبيه و "يـاـ" للنداء ، والتقدير ،إلا يا هؤلاء اسجدوا .
ونبه أنه كثير في القرآن حذف "ياء" المنادى المضاف إلى ياء المـ تكلم نحـ و : "يـاـارب" ،ياقوم ؛ وعلل ذلك بأن النداء باب حذف ⁴..

التاسع عشر : حذف الشرط :

كقوله تعالى : **وَلِلْعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يقيموا الصلاةَ وَيَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ** ⁵ أي إن قلت لهم : أقيموا يقيموا.

وقوله تعالى : **قَالَ لَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ⁶؛ تقـ ديره : إن أرادوا أولياء فا هو الولي بالحق ، لاولي سواه.

¹ - الرعد ، الآية : 23، 24² - يوسف ، الآية : 47³ - النمل ، الآية : 25⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 117⁵ - إبراهيم ، الآية : 31⁶ - الشورى ، الآية : 09

عشرون : حذف جواب الشرط :

كقوله : **وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم** ¹، أي أفلستم ظ -المين ،بدليل قوله تعالى: **إِنْ أَرَادَ لَّا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ²

واحد وعشرون : حذف الأجوبة :

حددها الزركشي أنها تكثر في جواب لو، و، لولا
كقوله تعالى: **وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا مُّرد وَلَا نُكْذِبُ آيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ³، وحذف للتخفيف وكذا في مواقع التفخيم والتعظيم ،ويقصد المبالغة.

اثنان وعشرون : حذف جواب القسم :

وضح الزركشي أن جواب القسم يحذف لعلم السامع المراد منه ، كقوله تعالى :
وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّاحَاتِ سَبْحًا فَالْمُطَفِّفَاتِ سَبْيًا قَالَمٌ -دبرات أم- را
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⁴ ،وتقديره لتبعثن ولتحاسبن بدليل إنكارهم البعث في ق- ولهم :
يَقُولُونَ أَعْنَا لِمُردودون فِي الْحَافِرَةِ ⁵.

ثلاثة وعشرون : حذف الجملة :

وأوضح الزركشي أن حذف الجملة على ثلاثة أقسام وهي :

1- قسم مسببة عن المذكور

2- قسم هي السبب له

3- قسم خارج عنهما

ثم مثل لكل منهما :

¹ - الأحقاف ، الآية 10

² - الأحقاف ، الآية 10:

³ - الأنعام ، الآية 27:

⁴ النازعات ، الآيات : 2، 1، 3، 4، 5، 6:

⁵ النازعات ، الآية : 10

أما الأول : كقوله تعالى : **لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ¹ فـإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلق يكون سببا عن مدخول اللام ، فلمـا لم يوجد لها متعلق في الظاهر، وجب تقديره بقدر :فعل ما فعل ليحق الحق .

والثاني : كقوله تعالى : **فَإِنفَجَرْتُ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا وَدَّ عَلِيمٌ كُلُّ نَأْسٍ مَشْرِبُهُمْ كُؤُومًا** واشربوا من رزق الله ولا تتعذوا في الأرض مفسدين ² فإن الفاء ، إنما تدخل على شيء مسبب عن شيء ، ولا مسبب إلا له سبب فإذا وجد المـسبب - ولا مسبب له ظاهرًا- أوجب أن يقدر ضرورة ، فيقدر : فضربه فانفجر.

والثالث : كقوله تعالى : **وَالْأَرْضُ قَرَشْنَاهَا قِنَعٌ الْمَاهِدُونَ** ³ أي : نحن هم ، أو همـم ، نحن .

وأشار الزركشي إلى أنه كثير في القرآن حتى أنه في الإضممار بمنزلة الإظهار .
كقوله تعالى : **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هــو كـاذب كـفار ⁴ ، أي يقولون : ما نعبدهم إلا للقربة .

¹ الأنفال ، الآية :08² البقرة ، الآية :60³ الذاريات ، الآية :48⁴ الزمر ، الآية : 03

وكقوله تعالى : **وَدَّ عَلِمَ كُلُّ انْأَسِ مَشْرِبِهِمْ كُأُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رَزَقِ اللّهِ وَلَا تَتَعَوَّا فِي-ي**
الأَرْضِ مَفْسِدِينَ ¹ ، أي : فلنا. وقوله تعالى : **مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ**
الْكَبِيرُ ² ، أي : قالوا : قال الحق .

حذف الفعل:

وقسمه الزركشي إلى عام وخاص :

أ- الخاص: قدره بأعنى مضمرا وينتصب المفعول به في المدح كقوله تعالى :
وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ³ ،
 أي أمدح

وقوله تعالى : **وَالصَّالِحِينَ فِي الْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبُؤْسِ أُولَئِكَ ال-ذِينَ ص-دُؤُوا**
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ⁴ ، أي أمدح .

ب- العام: حدده الزركشي بأنه كل منصوب دل عليه الفعل لفظ-ا ، أو معن-ى ، أو
 تقديرا ، ويحذف لأسباب :

- 1- أن يكون مفسرا كقوله تعالى : **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ⁵
- وقوله تعالى : **وإياي فارهبون** ⁶

¹ البقرة الآية : 60

² سبأ، الآية: 23

³ النساء ، الآية : 162

⁴ البقرة ، الآية : 177

⁵ الانشقاق ، الآية : 01

⁶ البقرة ، الآية : 40

2- أن يكون هناك حرف جر نحو : بِسْمِ اِ- الرحمن الرحيم¹ ، فإنه يفيد أن المراد بسم اِ أقرأ ، أو أقوم ، أو أقعد عند القراءة ، وعند الشروع في القيام ، أو القعود ، أي فعل كان .

3- أن يكون جواباً لسؤال واقع ، كقوله تعالى : وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اِ- سَمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ²

4- أن يدل عليه العقل ، كقوله تعالى : قُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ³ ، أي فضرب فانفجرت .

5- أن يدل عليه ذكره في موضع آخر : كقوله تعالى : وَاِ-سَلِيمَانَ اِ- رِيح⁴ ، أي وسخرنا .

6- المشكلة لحذف الفاعل في بسم اِ ، لأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه س- وى ذكر اِ ، فلو ذكر الفعل ، وهو لا يستغني عن فاعله كان ذلك مناقضاً للمقصود ، وكان في حذفه مشكلة اللفظ للمعنى ليكون المبدوء به اسم اِ .

7- أن يكون بدلاً من مصدره ، كقوله تعالى : ضَرْبِ الرِّقَابِ⁵ وقوله : فَاِذَا مَدَّ اِ- بَعْدَ وَاِذَا وِدَاء⁶ ، أي فلما أن يمينوا ، وإما أن تفادوا .

8- أن يدل عليه معنى الفعل الطاهر: كقوله تعالى : اِنْتَهَوْا خَيْراً لَّكُمْ⁷ أي فالانتهاء.

3- حذف الحرف :

بين الزركشي أن منه " الواو " تحذف لقصد البلاغة ؛ فإن في إثباتها ما يقتضي تغ-اير المتعاطفين ، فإذا حذفوا أشعر بأن الكل كالواحد؛ كقوله تعالى : يَا أَيُّهَا اِ-ذِينَ اِ-مْنُ- وَاِ- لَا تَتَّخِذُوا اِ-ط- اِنَّهُ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالٌ مِّنْ دُونِ مَا عِنْتُمْ وَدِدَتِ اِ-بَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ

¹- الفاتحة ، الآية : 01

²- لقمان ، الآية : 25

³- البقرة ، الآية : 60

⁴- الأنبياء ، الآية : 81

⁵- محمد ، الآية : 04

⁶- محمد ، الآية : 04

⁷- النساء ، الآية : 171

وما تُخْفِي صدورهم أَكْبَرُ¹ ، تقديره ولا يألونكم خبالا وقوله تعالى : وجـ وه يومئـ ذـ ناعمة² ، أي و وجوه .

ومنه " الفاء" في جواب الشرط ، ومثاله : إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ³ ، أي فالوصية .
 و"فاء" العطف كقوله تعالى : وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ⁴ حذف حرف العطف من قوله : "قال" ولم يقل "فقال" كما في قصة نوح ؛ لأنه على تقدير سؤال سائل : قال لهم هود ؟ فقل : قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه .
 ومنه حذف همزة الاستفهام ، كقوله تعالى : فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا وَّالَهُ دَا رَبِّي فَلَمَّا أَوَّلَ قَالَ لَا أَجِبُ الْآفِلِينَ⁵ أي ، أهذا ربي ؟ .

وقوله تعالى : وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَنَّا عَلَيْهَا أَنْ عِبَدْتَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ⁶ ، أي أو تلك نعمة ؟
 ومنه حذف ألف "ما" الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والخبرية ،
 كقوله تعالى : هَلْ يَمْشِي عَلَى الْغُرِّ فَتَمُوتُوا أَمْ لَكُمْ أَنْبَاءُ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ⁷ .

وقوله تعالى : فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ فِي خُلُقِهِ⁸ .

ومنه حذف "الياء" في قوله تعالى : وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ⁹ . للتخفيف ورعاية الفاصلة .

¹ - آل عمران ، الآية : 118

² - الغاشية ، الآية : 08

³ - البقرة ، الآية : 180

⁴ - الأعراف ، الآية : 65

⁵ - الأنعام ، الآية : 76

⁶ - الشعراء ، الآية : 22

⁷ - البقرة ، الآية : 91

⁸ - الطارق ، الآية : 05

⁹ - الفجر ، الآية : 04

ومنه حذف حرف النداء ،كقوله تعالى: هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ¹ ،أي ياهؤلاء .

وقوله تعالى: يوسف² ،أي يا يوسف

وقوله : رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن يدعائك رب شـفيا³ أي يا رب .

وأشار إلى أن حذف "ياء" النداء يكثر في نداء "الرب" سبحانه ؛ وحكمة ذلك دلالة على التعظيم والتنزيه ؛ لأن النداء يشرب معنى الأمر ؛ لأنك إذا قلت يا زيد ، فمعناه أدعـوك يا زيد ، فحذفت "ياء" من نداء الرب ؛ ليـزول معنـى الأـمر ، ويـتمحض التعظـيم والإجلال.⁴

ومنه حذف "لو" كقوله تعالى: ما اتخذَ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهبَ كل إلهٍ بما خَلَقَ ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون⁵ تقدير :لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.

ومنه حذف "قد" في قوله تعالى : قَالُوا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ لَأَتَّبِعَكَ⁶ ،أي وقد اتبعـك ؛ لأن الماضي لايقع موقع الحال ،إلا و"قد" معه ظاهرة أو مقدرة ومنه حذف "أن" في قوله تعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ⁷ ،المعنى أن يريكم.

ومنه حذف "لا" في قوله: قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ⁸ أي لاتفتأ ،لأنها ملازمة للنفي ،ومعناها لاتبرح.

¹ - آل عمران ،الآية:66

² - يوسف ،الآية: 29

³ - مريم ،الآية: 04

⁴ - البرهان ، ج3 ، ص 137

⁵ - المؤمنين ،الآية: 91

⁶ - الشعراء ،الآية: 111

⁷ - الروم ،الآية: 24

⁸ - يوسف ،الآية: 85

وقوله تعالى : **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**¹، أي لا تميد.

وأشار - أيضا - إلى كثرة حذف الجار في القرآن العظيم ، ثم إيصال الفعل إلى المجرور به ، كقوله تعالى : **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى**² . أي على سيرتها. من خلال ماسبق يتبين أن الزركشي تناول أسلوب الحذف من جوانب ثلاثة حذف الاسم حذف الفعل ، وحذف الحرف ، وقد أوفى القول في كل جانب من تلك الجوانب ، وتبين أيضا - أن الزركشي كان أكثر إلماا بموضوع الحذف وأوفر من تناول الـشيخ الإـمـام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ، حيث إن الجرجاني لم يعالج الحذف كله ، ولكن اختار حذفاً واحداً من التركيب.

أما الزركشي فقد حدد أقسام الحذف مفسراً لكل قسم من أقسامه ، إلا أنه غاب عليه الطابع النحوي ، وذلك لأن من عادة البلاغيين إدراج الحذف في علم المعاني تحت باب الإيجاز والإطناب والمساواة ، أما بهذه التسمية فيرد النحاة ومادام صنيع الزركشي قد جمع فيه بين صنيع النحاة وأهل البلاغة فكان أولى به أن يتم تقسيماته .

حيث بين أهل النحو أن الحذف ينقسم باعتبارات أخرى إلى ثلاثة أقسام وهي

- 1- الصوت : حذف الحركة ، حذف التنوين ، حذف حرف التعريف .
- 2- بنية الكلمة : حذف حرف العلة ، حذف النون ، حذف التاء ، وما يحذف لأسباب .
- 3- تركيب الجملة : حذف الأداة ، حذف أحد الركنين ، حذف المكمل حذف الجملة .

¹ - النحل ، الآية : 15
² - طه ، الآية : 21

وهنا نقول:

تمكن الزركشي أن يضيف لمسات قيمة إلى "باب الحذف" حيث أضاف إليه ما يـسمى بالحذف المقابلي ، والذي قال عنه الإمام السيوطي : وهو من ألطف الأنواع وأبـدعها ، وقل من تنبه له - أو نبه عليه من أهل فن البلاغة فالزركشي يعـد مـبـدعـا فـي هـذا المصطلح.

إضافة إلى ذلك ، قرر الزركشي قاعدة هامة في الحذف تتأسس على ثلاثة أسس وهي :
أ - الحذف خلاف الأصل ؛ والأصل في الكلام الذكر ، وإنما الحذف فرع قد تـستلزمه ضرورة ما.

ب - إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه ، كان الحمل على عدمه أولى ؛ لأن الأصل عدم التغيير.

ت - إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثيرته ، كان الحمل على قلته أولى .
طريقة الزركشي في تناول الحذف تتجنى إلى الجانب النحوي أكثر منه - إلى الجانب البلاغي ؛ لأن أغلب التعليقات ، والتسويغات ، والأدلة التي جاء بها في هذا الباب كانت نحوية.

الفصل الثالث

مباحث علم البيان عند الزركشي

المبحث الأول :

التشبيه

المبحث الثاني :

المجاز في القرآن

المبحث الثالث :

الاستعارة

المبحث الرابع :

الكناية والتعريض في القرآن

مباحث علم البيان عند الزركشي

توطئة:

لم يأت التصوير البياني في الأساليب القرآنية من قبيل الترف اللغوي ، ولا م يكن مقصود الذات ، وإنما جاء لتوضيح الأفكار ، وتأدية الأغراض الدينية المتوخاة من خلال السياقات العامة للآيات ، كما أن هذا التصوير البياني لم يكن بمنأى عن المناحي الجمالية الفنية الإبداعية التي فاقت كل إبداع ، أو جمال نالده البشر . ومن ثم كانت فوق أوقدار البشر كافة .

وتأكيدا لما سبق نلاحظ ذلك جليا في مظاهر الإعجاز القرآني . حيث يبرز من خلال التصوير الفائق المتفنن ، والإثارة العميقة للأحاسيس المتنوعة ، والمشاعر ، والعواطف المختلفة ، مما يجعل للصورة رسوخا في المدارك والوجدانات . وهذا يخلص بنا إلى أن الصورة في الأسلوب القرآني لها بالغ الأثر والتأثير في النفوس ، يتكئ على ما لا سمات التصوير من إحياءات ، وبعث لصور المعاني في الخيال .

وما من شك في أن مظاهر التصوير في الأسلوب القرآني لا تقتصر على المعاني ، بل تتجاوز ذلك إلى الحروف والكلمات ، كما أن قمة الجمال الإنساني تبرز في أجمل حلله ووشيه ، وأسمى مظاهره ، فينفذ إلى النفوس نفاذا آسرا يأخذ بمجامع القلوب ، ويخلص الألباب .

وبناء على ما سبق سنفرد حديثا عن التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض عند الإمام الزركشي من خلال آي الذكر الحكيم ، ومحاولة الوقوف على جماليات التصوير البياني فيها .

التشبيه :

التشبيه من الألوان التعبيرية التي عرفتھا الشعوب قاطبة منذ زمن بعيد ، وبرز فـي البيان العربي على أنه من الألوان البلاغية التي حاز قصب السبق ظهـر ورا ولسـتخداما والفكر البلاغي العربي يشهد بأن التشبيه يعد بدايات الألبلاغة ، ذات الصيغة الجمالية الفنية . يقول محمد بركات حمدي : " والتشبيه لون من ألوان التعبير الإنساني الذي عرفتہ الأمم جميعا ، وأمتاز البيان العربي بأنه بداية الألوان البلاغية ، ذات الصيغة الفنية ، في بداية التأليف الفكري البلاغي " ¹.

ومن ثم أجمع علماء البلاغة على أن التشبيه من أكثر الصور البيانية جريانا وتداولاً ؛ لأنه قريب إلى أخيلة الناس ، وأدنى إلى إدراكهم وتصوراتهم ، ولذلك كان التشبيه في كلام العرب يضرب بحصة الأسد ، بل قل هو عمدة الباب في التصوير البياني . كما يتردد التشبيه على مكانة أدبية بارزة بين الأساليب المتنوعة ، وذلك لما يتركه من عميق أثر في النفس البشرية ، وعلة ذلك أنه تصوير دقيق ومحكم لكل ما يدركه الوجدان ويتأثر به الحس ، وإذا جعل النقاد الدارسون الإصابة في التشبيه من السمات التي ترفع من شأن الشعر وتسمو بمنزلته ومكانته ، وفي هذا يقول ابن قتيبة : " وليس كل شعر يختار ويحفظ على صورة اللفظ والمعنى ، ولكنه قد يختار على جهات وأسس باب منها الإصـابة فـي التشبيه " ².

¹ - د/محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، داروائل للنشر ، الأردن ، ط1 ، 2003 ، ص 95
² - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص 20

ويشير رابح بوحوش إلى قيمة التشبيه وروعته وعميق أثره في النفوس مما بواه منزلة رفيعة عند المتلقين ، إذ يقول : "وتبدو شعرية التشبيه في أنه ينتقل المتلقي من شيء إلى شيء بطريق يشبهه ، وكلما كان هذا الانتقال بعيدا عن البال ، قليل الخط - ورة بالخيال ، كان التشبيه أروع للنفس ، وأدعى إلى إعجابها ، واهتزازها"¹.

وعن شيوع التشبيه في كلام العرب وذيوعه ، وكثرة تداوله ، يقول المبرد : "والتشبيه جار كثيرا في كلام العرب ، حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد"².

ماهية التشبيه :

وللتشبيه تعريفات كثيرة ومتنوعة ، ولكنها تصب من حيث المضمون في معنى واحد ، وإن اختلفت في الصياغة ، يعرفه العلوي بقوله : " هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوه ، أو هو الجمع بين الشيئين ، أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها"³.

والتشبيه يعمل على تقريب المعاني البعيدة ، وإيضاح الأفكار الغريبة ، لتحقيق الفهم والإفهام .

والتشبيه ما وجد إلا لتحقيق هذه الغاية . "وحسبنا دليلا على كونه أول وأقرب وسيلة للإفهام أن أولى مراحل الكتابة كانت تشبيها"⁴.

¹ - د. رابح بوحوش ، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري ، دار العلوم للنشر ، عناية ، (ب ط) ، (د ت) ، ص 153

² - المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج 2 ، ص 69

³ - العلوي ، الطراز ، ج 4 ، ص 263

⁴ - د. واجدة مجيد الأطراحي ، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية ، (د ط) ، 1978 ، ص 33

وللتشبيه فوائد جمّة ، وغايات كثيرة تحصل من التعابير البيانية ، ولعل أهمها:

- 1- تقريب المعاني البعيدة.
- 2- الفهم والإفهام .
- 3- الإثارة والتشويق ، وإحداث اللذة في النفس البشرية .

وتكاد كتب البلاغة تتفق على أن أول إشارة إلى مصطلح التشبيه ظهرت في ق- ول أب-ي عبدة عند تعقيبه على قول ا عز وجل : "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ¹ . فقال : " كناية وتشبيه " ² .

ونبه الزركشي عند حديثه عن التشبيه ومباحثه بالإشارة إلى شرف التشبيه وسمو مكانته ، وعلو منزلته بين صنوف علوم البلاغة وأنواعها، وأوضح أن التشبيه إذا ورد في أعقاب المعاني ألبسها حلة وجمالا ، وأفادها كمالا وزانها بهاء ورونقا: يقول : "اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالا وكساها حلة وجمالا" ³ .

وللتدليل على شرف التشبيه عند البلاغيين ، وافتتان الأدباء به وجماله وسحره، وتفنن العرب في توظيف التشبيهات حتى استغرقت أغاب كلامهم ، وغدت سمة بارزة ، وسنة دالة على الإبداع والقدرة على التمكن .

يقول المبرد صاحب الكامل عن شيوع التشبيه في كلام العرب وكثرة جريانه : "وهو جار في كلام العرب حتى لو قال قائل : "هو أكثر كلامهم لم يبعد" ⁴ .

¹ - البقرة ، الآية : 223

² - أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، تح ، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006م ، ص40

³ - البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص254

⁴ - المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، تح ، عبد الحميد هندوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1999م ، مج2 ، ص996

تعريف التشبيه :

عرف الزركشي التشبيه بقوله :

هو : "إلحاق شيء بذى وصف في وصفه"¹

لاشك وأن نظرة فاحصة إلى هذا التعريف يدرك من خلالها المتلقي أنه - غي- ر ج- امع وشامل لأركان التشبيه الأربعة التي أشار إليها علماء البلاغة ، وهي : (المشبه ، المشبه به ، وأداة التشبيه ووجه الشبه) ، حيث اكتفى الزركشي بذكر ثلاثة منها :

أ- إلحاق شيء والمقصود به المشبه.

ب- بذى وصف ؛ والمقصود به المشبه به.

ت- في وصفه ؛ والمقصود به وجه الشبه.

فتراه يسقط الركن الرابع وهو أداة التشبيه ، فلم يشر إليه لا من قريب ولا من بعيد. ولعل من أجمع التعاريف التي ذكرها العلماء للتشبيه تعريف العلوي حيث يقول الت- شبيه وهو: "الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها"².

وأشار إلى التشبيه حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة . و- م يتط- رق إلى هذا المفهوم بالشرح والتوضيح ، وتمكن أن نستشف من خلال هذه العبارة أن التشبيه لا يمكنه الاستغناء عن طرفيه وركنيه وهما: المشبه والمشبه به ولذلك ، فإن الفرق ب- ين التشبيه والاستعارة يمكن في أنهما في التشبيه لا يمكن الإستغناء عن المشبه والم- شبه ب- ه ، ويمكن أن تحذف الأداة ووجه الشبه، وهذا ما اصطلح عليه علماء البلاغة بالتشبيه البليغ، أما الاستعارة فهي تشبيه حذف أحد طرفيه ؛ المشبه والمشبه به.

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 255

² - العلوي ، الطراز ، تح ، عبد الحميد هندواي ، المكتبة العصرية ، صيد ، بيروت ، ط1 ، 2002 ، ج1 ، ص136

وقد تعرض ابن القيم إلى إيضاح دلالة هذه العبارة فـي بـاب التفريـق بـين التـشبيه والاستعارة حيث يقول : "إن التشبيه حكم اضافي لا بد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فإنك إذا قلت - رأيت أسدا - فهو استعارة لم تذكر شيئاً حتى تشبه بالأسد ولو كان تشبيها لتعيـن أنه نقول : زيد أسدا وزيد كالأسد ولم يكن غرضه من قولك زيد أسد إلا المبالغة في مدح زيد بالشجاعة"¹ .

الغرض من التشبيه :

- لم يذكر الزركشي إلا غرضين للتشبيه وهما:
- أ - تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي بادنائة البعيد من القريب ليفيد بيانا .
- ب - الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.

خلاف العلماء في التشبيه :

هل التشبيه حقيقة أو مجاز؟

اختلفت آراء العلماء في تحديد موقع التشبيه أ هو من الحقيقة أو المجاز ؟ فمن العلماء من يذهب إلى أن التشبيه من واد الحقيقة ، وهذا الذي قال به الزركشي أي - ضا - حتي يقول : " فالمحققون على انه حقيقة "² ويستدل على ذلك في المعيار: "التشبيه ليس من المجاز . لأنه معنى من المعاني وله ألفاظ تدل عليه وضعاً .

فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاسـتعارـة والتمثيل لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيـهـانيـن هو الذي يجئ على حد الاستعارة "³.

¹ - ابن القيم ، المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د ط) (د ت) ، ص 65، 66

² - البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 255

³ - ن - المصدر ، ص 255

أدواته:

قسم الإمام الزركشي أدوات التشبيه إلى ثلاثة أقسام وهي :

1 - الأسماء .

2 - الأفعال .

3 - الحروف .

1- أما الأسماء فهي : مثل ، ونحوها . واستدل عليهما بآيات من الذكر الحكيم ، نحـ و قوله تعالى : مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هـ - زِه الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌ¹.

فالزركشي - ها هنا - قد أخطأ في تحديد الأداة ، إذ اعتبرهـا لفظـة " مثل " ولكـن الصحيح في العبارة القرآنية ؛ أن الأداة هي " الكاف " ؛ لأن هناك فرقا بين " مثل " كـ أداة تشبيه ، وبين " مثل " ليست من أدوات التشبيه ها هنا " الكاف " أيضا وليس لفظـة " مثل " . وفي قوله تعالى : إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا² جعل الزركشي الأداة في هذه العبارة القرآنية "تشابه " ، وهي فعل وليس اسما ، والزركشي عدها من الأسماء ، وهذا غير صـحيح . وكذلك الفعل في هذه الآية الكريمة ليس أداة تشبيه ؛ لأنه فعل لازم ، والبلاغيون وضعوا شرطاً في الأفعال الدالة على التشبيه ، وهو أن تكون متعدية .

2- أما الأفعال ؛ فذكر منها : يحسب ، يخيل . واستدل عليها بآيات من الذكر العزيز ،

نحو قوله تعالى : يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً³.

وقوله تعالى : يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ يَسْحَرُهُمْ أَنَّهَا تَسْعَى⁴.

¹ - آل عمران ، الآية : 117

² - البقرة ، الآية : 70

³ - النور ، الآية : 39

⁴ - طه ، الآية : 66

4- وأما الحروف فهي :

- إما بسيطة كالكاف ؛ نحو قوله تعالى : كَرَمًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ¹
 وقوله تعالى : كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ² .
 وأما مركبة ، كقوله تعالى : طُلُعَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ³ .

أقسام التشبيه :

قسم الزركشي التشبيه إلى أقسام باعتبارات منها:

أولا : التشبيه بالحرف وهو على ضريين:

- أ- دخول حرف التشبيه فقط ، نحو قوله تعالى : مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ⁴ .
 وقوله تعالى : وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ⁵ .
 وقوله تعالى : وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ⁶ .
 وقوله تعالى : وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ⁷ .

ب- أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكد ليكون ذلك علما على ق- وة التشبيه

- وتأكيده .نحو قوله تعالى : كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ⁸ .
 وقوله تعالى : كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ⁹ .

¹ - إبراهيم ، الآية :18

² - آل عمران ، الآية :11

³ - الصافات ، الآية :65

⁴ - النور ، الآية :35

⁵ - الرحمن ، الآية :24

⁶ - الواقعة ، الآيتان 22،23

⁷ - الحديد ، الآية :21

⁸ - الرحمن ، الآية :58

⁹ - الصافات ، الآية :49

لطيفة :

يقول الزركشي : فإن قيل :كيف استرسل أهل الجنة وقوله : كُلُّمَا رَزُقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقًا قَالُوا هـ- ذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ¹ ، ولاشك أنه ليس به ، واحتُرزت بـلقـيس فـالـت فـالـت : كـأنـه هـو² ولم تنقل : هو هو ؟.

يجب الزركشي :بأن أهل الجنة وثقوا بأن الغرض مفهوم ؛ وأن أحدا لايعتقد في الحاضر أنه عين المستهلك الماضي ؛ وأما بـلقـيس فـالـتـبـس عليها الأمر ، وظننت أنه يـشـبـهـه لأنها بنت على العادة ، وهو أن السرير لاينتقل من إقليم إلى آخر في طرفة عين³ . وانظر إلى بديع أسلوب القرآن ، وروعته ، وجماله ، ومواطن إعجازه.

ثانيا :

وأما **التشبيه بغير حرف** ، فيقصد به المبالغة تنزيلا للثاني منزلة الأول تجوزا⁴ وهذا مـا يعرف عند علماء البلاغة ؛بالتشبيه البليغ ، تحذف فيه الأداة ووجه الشبه . ومثل له بقوله تعالى : وأزواجه أمهاتهم⁵ . وقوله تعالى : ويسراجاً منيراً " ⁶ . وقوله تعالى : تَمْرٌ مَر السحاب⁷ . وأشار الزركشي إلى تنبيهين هامين ، وهما :

¹ - البقرة ، الآية :25² - النمل ، الآية :42³ - البرهان ، ج3 ، ص 257/256⁴ - المصدر نفسه ، ص 257⁵ - الأحزاب ، الآية :06⁶ - الأحزاب ، الآية :46⁷ - النمل ، الآية :88

الأول :

نبه الزركشي إلى أن هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض المواضع ، والفرق بينهما - كما قال حازم وغيره - أن الاستعارة ، وإن كان فيها معنى التـشبيه ، فتقـدير حـرف التشبيه لايجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ؛ لأن تقدير حرف التـشبيه واجب فيه¹.

وأشار إلى قول الرماني في قوله تعالى : **وَأَتَيْنَا تَمُودَ النَّاقَةَ مَبـَصْرَةً**² : أي تبـصر، لأنه لايجوز تقدير حرف التشبيه فيها .

وأشار إلى الخلاف الذي وقع بين البلاغيين في تحديد نوع الصورة في قولـه تعـالى : **صم بكم عمي**³ هل هي من باب التشبيه البليغ أو الاستعارة ؟ وذكر رأي المحققين - كما قال الزمخشري على الأول ؛ أي تشبيه بليغ ، لماذا ؟ قال الزمخشري : لأن المستعار له (المشبه) مذكور - وهم المنافقون - أي مذكور في تقدير الآية ، والاستعارة لاـذكر فيها المستعار له ، ويجعل الكلام خلوا عنه ، بحيث يصلح لأن يراد بـه المنقـول عنه والمنقول إليه ، لولا القرينة .

وعزز رأيه بقول السكاكي : "لأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر ، وتناسي التشبيه ، وزيد أسد لايمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة"⁴.

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 257

² - الإسراء ، الآية : 59

³ - البقرة ، الآية : 18

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 258

الثاني :

وأحيانا قد يترك التشبيه لفظا ويراد معنى ، إذا لم يرد معنى ولم يكن منويا ، كـ ان استعارة¹ نحو قوله تعالى : **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**².

فهذا تشبيه لا استعارة ، لذكر الطرفين : الخيط الأسود ، وهو ما يمتد معه من غسق الليل شبيها بخيط أسود وأبيض ، مبينا بقوله تعالى (من الفجر) ، ولما كـ ان احـ دهما بيانـا للآخر دلالاته عليه اكتفى به عنه ، ولولا البيان كان من باب الاستعارة³.

التشبيه باعتبار طرفيه :

قسم الزركشي التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام :

1- **إما حسيان** : كقوله تعالى : ... حتى عاد كالعرجون القديم⁴.

وقوله تعالى : **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَّخْلٍ مَنْفَعٍ**⁵

2- **وإما عقليان** : كقوله تعالى : **لَمَّا قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً**⁶.

3- **وإما تشبيه المفعول بالمحسوس** : كقوله تعالى : **كَمْ تَلْجَمُ الْجَمَّارِيحِمُ لُؤْسًا مُّأْتَلًا**⁷.

¹ - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص 258

² - البقرة ، الآية : 187

³ - البرهان ، ج3 ، ص 258

⁴ - يس ، الآية : 39

⁵ - القمر ، الآية : 20

⁶ - البقرة ، الآية : 74

⁷ - الجمعة ، الآية : 05

4- **وإما تشبيه المحسوس بالمعقول** : بين الزركشي أن هذا التشبيه لم يقع في القرآن ومنعه الإمام البلقين ، لأن العقل مستفاد من الحس ، فالمحسوس أصل للمعقـول . ولتشبيه به يستلزم جعل الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً ، وهو غير جائز في القرآن .

ولهذا نرى الزركشي لم يقر بوقوع تشبيه المحسوس بالمعقول في القرآن والعلماء على خلاف في هذا الأمر ، منهم من أنكر وقوعه محتجاً بأن القرآن الكـريم جرى على الأصل الأبلغ في أن الحسي أصل للعقلي ، ومنهم العسكري حيث يقول "وليس هذا التشبيه بالمختار ، ولو أن بعض الناس يستحيله ، لأنه أخرج ما يرى بالعيان إلى ما يعرف بالفكر"¹.

وهو رأي جمهرة المتأخرين كالسكاكي ، والخطيب ، والرازي وغيرهم وقد دـمنعه اليقين كما نوه الزركشي بذلك . وقد جوزه البعض منهم : الرماني ، وابن رشيق ، وابن الأثير وغيرهم .

يقول العلوي : "وهذا من لطيف التشبيهات وأرقها وأدخلها في البلاغة وأدقها ووجه البلاغة فيه هـ إلحاق المعاني بالأمور المحسوسة المدركة في الظهور والجلال ، فيصير الحقيقة كأنه تشبيه محسوس بمحسوس ، وفي هذا نهاية المبالغة ومثل له يقول أحد الشعراء :

ولقد ذكرتكَ والظلام كأنه * يوم النوى ، وفؤاد من لم يعشق"²

¹ - العسكري ، ديوان المعاني ، دار الفكر العربي القاهرة ، (د ط) ، (د ت) ج 1 ، ص 31

² - العلوي ، الطراز ، ج 1 ، ص 157

ونذكر الزركشي أن تشبيه المعقول بالمعقول موجود في القرآن الكريم مثل له يقول -ه تعالى : **ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً** " ¹ .

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ، وعلى ذلك فتشبيه المعقول بالمعقول غير موجود في القرآن أصلاً.

وقسمه باعتبار آخر إلى خمسة أقسام :

1- قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ، اعتماداً على معرفة النقيض والضد ، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله تعالى : **كَأَنَّهُ رُئُوسُ الشَّيَاطِينِ** ² . فشبه بما لا تشك أنه منكر قبيح ، لما حصل في نفوس الناس م - ن ب - شاعة ص - ور الشياطين ، وإن لم نرها عياناً .

2- قد يشبه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع ، كقوله تعالى : **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ** ³ **أُخْرِجَ مَا لَا يَحْسُ - وَهُوَ الْأَعْمَالُ - إِلَى مَا يَحْسُ وَهُوَ السَّرَابُ ،** والمعنى الجامع بطلان التوهم بين شدة الحاجة وعظم الفاقة .

3- إخراج مالم تجر العادة به إلى ما جرت به ، نحو قوله تعالى : **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ** ⁴ **فَوَقَّعَهُمْ كَأَنَّهُ طَلَّةٌ** والجامع بينهما الانتفاع بالصورة .

¹ - البقرة ، الآية : 74

² - الصافات ، الآية : 65

³ - النور ، الآية : 39

⁴ - الأعراف ، الآية : 17

4- إخراج مالا يعرف بالبدية إلى ما يعرف بها . كقوله تعالى : ...وجنة عرضها السموات والأرض ¹ ، الجامع العظيم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسب الصفة.

5- إخراج مالا قوة له في الصفة إلى ماله قوة ، كقوله تعالى : وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ² .
والجامع فيها العظم ، والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظيمة في أعظم ما يكون من الماء ، وعلى هذه الأوجه تجري تشبيهات القرآن.

تقسيمه إلى مفرد ومركب :

1- **المركب** : أن ينزع من أمور مجموع بعضها إلى بعض ، وهذا ما اصطلاح عليه علماء البلاغة بالتشبيه التمثيلي الذي يكون فيه وجه الشبه منتزع من صوره متعددة.

ومثل له بقوله تعالى : كمثل الحمار يحمل أسفارا ³ ، فالتشبيه مركب من أحـ والحمار ، وذلك هو حمل الأسفار التي هي أوعية العلم ، وخزائن ثمرات العقول ، ثم لا يحسن فيها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ، فليس له مما لا يحمل حطا سوى أنه يثقل عليه ويتبعه.

2- تشبيه المفرد بالمركب ، كقوله تعالى : " مَثَلُ نُورٍ كَمِثْلِ شُكَاةٍ " ⁴ ، وعقـ بـ الزركشي على هذا التشبيه بقوله : " وهذا مثل ضربته للمؤمن " ⁵.

¹ - آل عمران ، الآية : 133

² - الرحمن ، الآية : 24

³ - الجمعة ، الآية : 05

⁴ - النور ، الآية : 35

⁵ - ينظر ، البرهان ، ج 3 ، ص 260

وهو تشبيه تمثيلي ، حيث شبه نور ا الذي وضعه في قلب عبـ ده المـ وُمن بالمـ صباح الوهاج الموضوع في كوة داخل زجاجة يشبه الكوكب الدري في الصفاء والحسن . فهي صورة منتزعة من متعدد ، وهو من روائع التشبيهات .

ثم نبه الزركشي إلى أن ا عز وجل ضرب مثلين للكافر ، وهما :

1- قوله تعالى : كَسْرَابٍ يَّقِيعَةٍ¹

2- قوله تعالى : كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِي².

أشار الزركشي إلى أن ا شبه في الأول ما يعلمه من لا يقدر الإيمـ ان المعتبـ ر بالأعمال التي يحسبها " بقيعة " ثم يخيب أمله ، بسراب يراه الكافر بالساهر و قد غلبـ ه عطش يوم القيامة ، فيجيئه فلا يجده ماء ، ويجد زبانية ا عذبه ، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم³.

وهذا - أيضا - من روائع التشبيه التمثيلي.

ويوضح الرماني هذا التشبيه الوارد في قوله تعالى : ... كَسْرَابٍ يَّقِيعَةٍ...⁴.

فيقول : " وقد اجتمعا - أي المشبه والمشبه به - في بطلان المتوهم مـ ع شـ دة الحاجة وعظم الفاقة ، ولو قيل : يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر... لكان بليغا ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الضمآن أشد حرصا عليه وتعلق قلب به ... ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار"⁵.

ثم يعقب الرماني مضيفا : " وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة "⁶.

ومن خلال تأملنا إلى هذه الآية نستشف أن ا شبه أعمال الكفرة التي لا تنفع فيها ولا غنى ، ولا فائدة ، بسراب يثير في نفس الظمآن معاني الري ، وزوال العطش ، والأمل ،

¹ - النور ، الآية : 39

² - النور ، الآية : 40

³ - ينظر ، البرهان ، ج 3 ، ص 260

⁴ - النور ، الآية : 39

⁵ - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، ص 75

⁶ - المصدر نفسه ، ص ن

والنجاه ، ثم يجيئه ، فلا يجد عنده إلا الظماً والعذاب . فهذه الصورة البديعية مـن أروع صور التشبيه جمالا وحسنا ، وتأثيرا في النفوس ، وهي من التشبيه التمثيلي . والتشبيه الذي بين أيدينا بلغ من التصوير مبلغ الإعجاز الذي تنفعل له الأحاسيس ، وتهتز له النفوس ، وتتحرك به الوجدانات ، وتحيا به فيوضات القلوب .

قواعد متعلقة بالتشبيه :

- 1- قد تشبه أشياء بأشياء ، ثم تارة يصرح بذكر المتشبهات ¹ ، كقوله تعالى : ومـا يستوي البحران هـذا عذبٌ فُراتٌ سـلْعٌ شـرابه وهـذا مـلحٌ أجاج ² .
 - 2- أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية ترك وجه الشبه وأدواته : نحو زيد أسـد وهـذا تشبيه بليغ حذفت فيه الأداة ووجه الشبه ، وإذا يرى الزركشي أن التشبيه البليغ يأتي في أعلى المراتب .
 - 3- قد تدخل الأداة على شيء وليس هو عين المشبه ولكنه ملتبس به واعتمد على فهم المخاطب . نحو قوله تعالى : وإذ ننقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ³ وفيه زيـادة ، وهو تشبيه الخارق بالمعتاد .
 - 4- إذا كانت فائدته إنما هي تقريب الشبه في فهم السامع وإيضاحه له محقة أن يكون وجه الشبه به أتم ، والقصد التنبيه بالأدنى على الأعلى . واستدل عليه بقول أبي العلاء المعري :
- ظلمناك في تشبيه صدرغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى ⁴
- وأشار إلى قوله تعالى : مـثـلُ نُورِهِ كـمِشْكَاةٍ ⁵ قال : " فيمكن أن يكون المـشبه بـه أقوى لكونه في الذهن أوضح ؛ إذ الإحاطة به أتم " ⁶ .

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 260

² - فاطر ، الآية : 12

³ - الأعراف ، الآية : 171

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 262

⁵ - النور ، الآية : 35

⁶ - البرهان ، ج 3 ، ص 262

أما قوله تعالى : **إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**¹ ؛ فهـ - و - م - ن - ت - شبيهه القريد - ب
بالأغرب ؛ لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم ، وأوقع في النفس . وفيه - ه
دليل على جواز القياس .

5- الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به وهو الكامل . كقولك : لـ يس الفـضة
كالذهب .

وقد تدخل على المشبه لأسباب (الأغراض) منها :

1- وضوح الحال : كقوله تعالى : **وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**² .

قال الزركشي : " فإن الأصل وليس الأنثى كالذكر ، وإنما عدل عن الأصل ل لأن
معنى " وليس الذكر " الذي طلبت " كالأنثى " التي وهبت لها ، لأن الأنثى أفضل منه : وقيل
: لمراعاة الفواصل ، لأن قبله : **إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى**³ .

ووجه الزركشي نقدا إلى ما ذهب إليه ابن الزملاكني في توضيح نوع التشبيه فـ ي
قوله تعالى : " وليس الذكر كالأنثى " وقال إنه تشبيه مقلوب ، فقال الزركشي : " ووهم ابـ ن
الزملاكني في " البرهان حيث زعم أن هذا من التشبيه المقلوب ، وليس كذلك لما ذكرنا - ا
من المعنى "⁴ .

ثم أوضح الزركشي المسألة ، وبين أن السبب في جعل الفرع أصلا ، والأصل - ل
فرعا في التشبيه جاء لنفي المبالغة في المشابهة لا نفي المشابهة .

¹ - آل عمران ، الآية : 59

² - آل عمران ، الآية : 36

³ - آل عمران ، الآية : 36

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 262

يقول الزركشي : "لما كان جعل الفرع أصلاً ، والأصل فرعاً في التشبه في حالة الاثبات يقتضي المبالغة في التشبيه ، كقولهم : القمر كوجه زيد ، والبحر ككفيه ه ، كـ ان الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً في كماله الذي يقتضي نفي المبالغة في المـ شابهة لانفـ في المشابهة ، وذلك هو المقصود هنا ، لأن المشابهة واقعة بين الذكر والأنثى فـ في أعـ م الأوصاف وأغلبها ، ولهذا يقاد أحدهما بالآخر ¹ .

2- قصد المبالغة : فيقاب التشبيه ، ويجعل المشبه هو الأصل ويسمى تشبيه العكس

؛ لاشتماله على جعل المشبه مشبهاً به ، والمشبه به مشبهاً ، نحو قولـ ه تعـ الى :
قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ² .

وكقوله تعالى : أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ³ .

وقال بعضهم : أن أصل التشبيه أن يشبه الأدنى بالأعلى ، فتقول : "أ فنجـ ل المجـ رمين كالمسلمين ، والفجار كالمؤمنين " لم خولفت القاعدة ؟
ويجب الزركشي عن المسألة : ويقول : فيها وجهان :

1- أن الكفار كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة ، كما نسود في الدنيا ويكونـ ون أتباعاً لنا . فكما أعزنا ا في هذه الدار يعزنا في الآخرة ، فجاء الجـ واب علـ على معتقدهم أنهم أعلى ، وغيرهم أدنى ⁴ .

2- لما قيل قبل الآية : " وما خَلَقْنَا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذَلِكْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ⁵ أي يظنون أننا نجعل المؤمنين كالمجرمين ، والمتقين كالفجار ⁶ .

3- أن التشبيه في الـم يشبه الأعلى بالأدنى ؛ لأن الـم مقام الأدنى والأعلى طـ اهرة عليه ، فيشبه به في السلب : نحو قوله تعالى : " يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ⁷ أي في النزول لا في العلو .

¹ - البرهان ، ج 3 ، 262 ، 263

² - البقرة ، الآية : 275

³ - القلم ، الآية : 35

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 263 ، 264

⁵ - ص ، الآية : 27

⁶ - البرهان ، ج 3 ، ص 264

⁷ - الأحزاب ، الآية : 32

4- قد يدخل التشبيه على لفظ محذوف لامتناع ذلك ، لأنه بسبب المحذوف ، كقوله تعالى : وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِذِيِّ يُعْزَقُ يَمًا لَا يَسْمَعُ¹.

والتقدير : كمثل واعظ

الذين كفروا ، فالمشبه الواعظ ، والمقصود تشبيه حال الواعظ².

إذن؛ التشبيه عروس البياني العربي ، وأُس البلاغة العربية ، وهو بكل ضربه - الوسيلة الأولى للكشف عن خفايا المعاني ، وتصورات الخيال ، وإبراز ما يجول في المشاعر والأحاسيس .

وهو روضة فيما يتمتع العواطف ويثيرها ، ونقيع العقول ، ويبعث النشوة في القلوب يريك الغائب حاضرا ، والحاضر غائبا ، البعيد قريبا ، والقريب بعيدا ، والمستحيل واقعا والمتنافر متآلفا . لهذه السمات احتل موقع الصدارة في البيان - سامي ، والأدب الرفيع ، وهو أداة فطرية مركوزة في الطباع يجري على ألسنة كل المتكلمين ، ويعمل على صقل المعاني وتجليتها . والتشبيه القرآني تفرد عن التشبيه البشري ، ذلك أن التشبيه في القرآن يركز على مظاهر الطبيعة ، وأسرار البيئة ، بما فيها من حيوان ، ونبات ، وجما ، وكائنات ، وما إلى ذلك ، وعلة هذا اللجوء تعميق الصورة في الأذهان ، حتى يزداد تأثيرها في النفوس ، ومن ثم استعمل التشبيه القرآني من الكلمات (سراب ، مشكاة ، بحر ، الحمار ...) .

والتشبيه القرآني يمثل في الأذهان حيا شاخصا في الوجدان ، محققا الغرض الأسنى ، وهو : إيضاح الأغمض ، وتقريبه إلى الأفهام ، ولذلك قال ص - احب الصناعتين : " والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيدا ، لهذا ما أطبق جميع المتكلمين - من العرب والعجم عليه ، ولم يشغل أحد منهم عنه " ³.

¹ - البقرة ، الآية : 171

² - البرهان ، ج 3 ، ص 264

³ - العسكري ، الصناعتين ، ص 216

المجاز في القرآن

ماهية المجاز:

الكلام في اللغة العربية على قسمين : حقيقة ومجاز.

فما المقصود بالحقيقة ؟

وما المقصود بالمجاز؟

الحقيقة هي كل لفظ استعمل في معناه الأصلي ، ولعل هذا المفهوم تكاد تجمع عليه تعاريف العلماء ، وإن كان هناك اختلاف فمرده إلى الكيفيات والصياغات ، ومن أـبـرز هذه المفاهيم ما ذهب إليه ابن جني حيث عرفها بقوله "الحقيقة ما أوفى الاستعمال على أصل وضعه في اللغة"¹

وعرفها أحمد مطلوب بقوله : "الحقيقة هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة"² .

والمجاز من المباحث البلاغية التي حظيت باهتمام كبير من قبل علماء اللغة والبلاغة ، وحرصوا على تحديد مفهومه ، ووضع تعريفات متعددة ومتلونة ومختلفة في ألفاظها وصياغاتها ولكن تشابهت في مضامينها ومن أـبـرز هذه المفاهيم ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار حيث يقول : "والتجوز هو أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له في الأصل"³ .

وعرفه أحمد مطلوب بقوله : "المجاز هو تعدي المعنى الأصلي اللغوي إلى معني غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني"⁴

¹ - ابن جني ، الخصائص ، تح ، محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، (د ط) 1955 م ، ج 2 ، ص 442

² - ينظر ، د. أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ط 1403/3 هـ ، ج 1 ، ص 453

³ - القاضي عبد الجبار ، المعنى في أبواب التوحيد والعدل ، تح محمود الخضري ، وزارة الثقافة والارشاد القومي (د ط) 1958 م ، ج 5/ص 145

⁴ - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ج 1 ، ص 435

ومن هنا يتضح جلياً أن كل مجاز له حقيقة ؛ لأن المجاز قسم الحقيقة ولولا الحقيقة لم-ا كان هناك مجاز ، يقول ابن الأثير : "لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعه ، وإذا كان كل مجاز له حقيقة ، فليس معنى ذلك أن كل حقيقة يج-ب أن يكون لها مجاز"¹ .

ويكون المجاز قسم الحقيقة إذا كانت هناك علاقة ب-ين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ؛ لأن العملية المجازية قائمة على تحول دلالة الألفاظ م-ن دلالتها الأولى إلى دلالات أخرى جديدة . وهذا ما رمى إليه عبد القاهر الجرجاني وسماه بالمعنى ومعنى المعنى.

فالمعنى هو الدلالة الأولى الحقيقية ، معنى المعنى ه-و الدلالة الجديدة المجازية ، ولعل أجمع تعريف للمجاز عند البلاغيين ، ما ذهب إليه العلوي حيث عرفه بقوله المجاز هو "ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب-ب علاقة بين الأول والثاني"²

ومن كل التعريفات السابقة يتضح لنا أن المجاز هو استعمال الكلمة في معنى آخر غير المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة لعلاقة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع م-ن إرادة المعنى الحقيقي.

أقسام المجاز :

قسم علماء البلاغة المجاز إلى قسمين :

1- المجاز العقلي :

ويسمى أيضاً "المجاز الحكمي" والإسناد المجازي" ويكون في الإسناد ، ونسبة الشيء إلى غير ما هو له ، كقولك : بنى الأمير المدينة.

¹ - ابن الأثير ، المتل السائر ، ج1، ص25، 26
² - العلوي ، الطراز ، ج1، ص28 ، 36

المجاز اللغوي :

ويكون في نقل الألفاظ عن حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ، ومناسبة ، ويكون في الأفراد والتركيب .

والمجاز اللغوي على قسمين :

1- مجاز لا تكون فيه العلاقة المشابهة ، وهو المجاز المرسل وله علاقة كثيرة لا تكاد تحصر ، منها: (السببية ، المسببية ، الكلية ، الجزئية اعتبار ما كان ، اعتبار ما سيكون ...) وغيرها .

2- مجاز تكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة وهي الاستعارة .

والمجاز من الأساليب البلاغية القديمة في لغة العرب ، واللغة في بدائيات نشأتها - بإجماع أغلب الباحثين - كانت مجازاً كلها .

وقد اعتبر الدارسون المجاز محكا و مقياسا ومعيارا في تقويم وتقييم العملية الإبداعية الأدبية ، فتمدّن الشاعر من استخدام المجاز والسيطرة عليه ، دلالة على النبوغ الشعري ، والتفوق فيه ، يقول هيربرت ريد "read herbert " : " يجب علينا دائما أن ننتهياً للحكم على الشاعر لقوة المجاز في شعره وأصالتها"¹

¹ أحمد مطلوب ، الصورة في شعر الأخطل الصغير ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن، (ب ط) 1985م ، ص 42

ويقول كولردج "coleridge"

" الشعر من غير المجاز يصبح كتلة جامدة ، ذاك لأن الصور المجازية هي جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة"¹.

ويستشف من مقالة كولردج أن الشعر الحقيقي هو الذي يحمل بين جنبيه طاقة مشعة من المجاز ، وبدونها يصير الشعر إلى الموت والفناء ، وهذا ما عبّر عنه كولردج " يصبح كتلة جامدة".

إذا ، المجاز قوة خارقة تمد الشعر بألوان الحياة ، وتغذي الفن والإبداع ، ليكون مؤثرا فعلا ، ناهضا برسائله الفنية الجميلة .

مما سبق ذكره ، فما هو المجاز ؟.

تكاد كتب البلاغة العربية تتفق على أن المجاز : " هو نقل اللفظ عن معناه الموضوع له في اللغة إلى معنى جديد "².

ومن خلال هذا التعريف يتضح بجلاء أن المجاز باختصار هو النقل ، وهو خلاف الحقيقة .

وأشار ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في معرض حديثه عن ولاء العرب بالمجاز ، وغلبته على تعابيرهم ، وتآليفهم ، فقال : "فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام ، وكثرة معاني الألفاظ ، ليكثر الالتذاذ بها "³.

ولم يقف ابن قيم الجوزية عند تبين الغاية حيث استعمل العرب المجاز فحسب ، وإنما راح يجلي مواطن الإبداع التي وصلت إليها العرب في لغتها - المجازية حتى قال : "أثروا فيه (المجاز) بكل معنى رائق ، ولفظ فائق ، واشتد

¹ - م ، السابق ، ص 42

² - م ، السابق ، ص 42

³ - ابن القيم الجوزي ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (ب ط) ، (د ت) ، ص 10

باعهم في إصابة أغراضه ، فأتوا فيه بالخوارق ، وزينوا به خطبهم وأشعارهم

1» .

مما سبق ذكره يتضح أن العرب أولت المجاز عناية خاصة ، وكاد يطبع كل أعمالهم الإبداعية ، فأتوا فيه بالأعاجيب ، مما زان تعبيرهم ، وطرائف الكتابة عندهم ، فغدا المجاز ركنا ركينا في العملية الإبداعية والجمالية ، ومقياسا تقاس به التجربة الشعرية ، ومدى عمقها ، وسبر الجمال فيها . والمجاز سمة من سمات الإبداع ، وعلامة من علامات التفوق الشعري والأدبي .

وقوع المجاز في القرآن :

المجاز باب من أبواب البلاغة العربية كثر حوله جدل ونقاش مريب بين العلماء والباحثين - قديما وحديثا - وتبعنا لذلك فقد تبأينت الأقوال فيه ، وتشتتت الآراء وارتفعت الأصوات ، وانقسم العلماء في هذا الباب طرائق قددا .

فمنهم من عد المجاز من مفاخر العربية ، وشطر الحسن في القرآن ، ودليل الفصاحة ، ورأس البلاغة . ومن أكبر الوسائل إلى الافتتان في التعبير وإيراد المعنى الواحد بالصور المختلفة ، وأنه يكسب اللغة مرونة وتجندا واتساعا . وهؤلاء هم المبتنون للمجاز في اللغة والقرآن.

وليف آخر يطعن في المجاز ، ويحاول هدمه من أصوله ، وأنه حادث في هذه الأمة ، وجاء من المعتزلة والجهمية ، واضرابهم من المتكلمين .

وجمهور العلماء يشبثون المجاز في اللغة والقرآن الكريم ، ولذلك يقول العلوي "أجمع أهل التحقيق من علماء الدين والنظام من الأصوليين وعلماء البيان . أجمعوا على جواز دخول

¹ - م ، السابق ، ص 10 ، 11

المجاز في كلام ا تعالى ، وكلام رسوله - صلى ا عليه وسلم - في كلا نوعيه ، المفرد والمركب" ¹ .

وفي مقابل هؤلاء نجد لفيفا من العلماء يجنحون إلى إنكار المجاز ، وهم وإن كانوا قلة ، إلا أن فيهم أئمة لهم قدم راسخة في العلم ، ولهم مقاصد حسنة حيثما أنكروا المجاز ؛ وذلك لنصرة دين ا - عز وجل - والوقوف بالمرصاد في وجه المبتدعة الذين حاولوا تعطيل نصوص الشريعة . ومن هؤلاء المنكرين : (ابن خوير ممداد ، ابن تيمية ، و الشنقيطي ...) وغيرهم .

ومن أشدهم إنكارا ورفضاً لوقوع المجاز في لغة العرب والقرآن ، الإسـفراييني حيث يقول : " لا مجاز في لغة العرب " ² .

وتعرض هؤلاء المنكرون لوقوع المجاز في لغة العرب والقرآن إلى نقود كثيرة ومتعددة منها :

1 - نقد الجاحظ :

الجاحظ إمام من أئمة البلاغة العربية ، وله صولات وجـولات فـي هـذا الميدان ، وهو من الفائلين بوقوع المجاز في القرآن العظيم ، فاستدل على ذلك بقوله تعالى : " يخرج من بطونها شراب " ³ . فيقول : فالعسل ليس بشراب ، وإنما هو شيء يحول بالماء شرابا ، أو بالماء نبيذا فسماه - كما ترى - شرابا إذا كان يجـئ منه الشراب " ، واستدل على صحة المجاز في الآية الكريمة بموافقته لكلام العرب : " وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا : " جاءت السماء اليوم بأمر عظيم " وقد قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم * رعيناه ، وإن كانوا غضابا ⁴

¹ - العلوي ، الطراز ، ج 1 ، ص 46

² - ابن تيمية ، كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوي ، جمع عبد الرحمن الحنبلي ، دار التقوى ، (د ط) _ د ت) ، ص 89، 90

³ - النحل ، الآية : 69

⁴ - أسامة بن منقذ ، البديع في البديع في نقد الشعر ، ص 127

ويرى الجاحظ أن الرافضين لوجود المجاز في القرآن الكريم يرجع إلى جهلهم باللغة العربية . وقولهم بعدم وقوع المجاز في القرآن ؛ قول فاسد . يقول ومن " حمل اللغة على هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا ، وهذا الباب هو مفخرة العرب - رب في لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت ، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة ، وهذيلة ، وض - واحي كنانة ، وهؤلاء أصحاب العمل ، والأعراب أعرف بكل صمغة سائلة ، وعسلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب ، أو طعن عليه من هذه الحجة " ¹.

2- نقد ابن قتيبة :

يقول ابن قتيبة في رده على الرافضين للمجاز في القرآن : "وأما الطاعنون على القرآن (بالمجاز) ، فإنهم زعموا أنه كذب . لأن الجدار لا يريد ، والقرية لا تسأل وهذا من أشنع جهالاتهم ، وأدلها على سوء نظرهم ، وقلة أفهامهم . لو كان المجاز كذبا ، وكل فعل نسب إلى غير الحيوان باطلا ، كان أكثر كلامنا فاسدا ؛ لأننا نقول : نبت البقل ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر ... ²

ثم عقب قائلا : "... ولو قلنا للمنكر قوله (جدار يريد أن ينقض) كيف كنت أنت قائلا في جدار رأيته على شفا انهيار : رأيت جدارا ماذا ؟ لم يجد بدا من أن يقول : جدارا يريد أن ينقض ، أو يكاد ينقض ، أو يقارب أن ينقض وأيلما قال فقد جعله فاعلا ، ولا

¹ - الجاحظ ، الحيوان ، تح ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط 1 ، (د ت) ، ج 5 ص 424
² - ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 85

أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شئ من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ¹.
وما أكثر النفود التي وجهت إلى الرافضين لوقوع المجاز سواء في اللغة ، أو
القرآن حسبنا منها هذا للتدليل و الإيضاح .
الحقيقة والمجاز عند الزركشي :

في بداية حديثه عن الحقيقة والمجاز نبه الزركشي إلى أن القرآن العظيم يضم
بين دفتيه الكثير من الحقائق التي لا يمكن التجوز فيها . وإلى هذا أشار قائلا : "لا خلاف
أن كتاب الله يشمل على الحقائق"² ثم بين المقصود بالحقائق - ها هنا - حقيقة - وهي الآيات الناطقة -
وهي كل كلام بقي على موضوعه ، كآيات التي لم يتجوز فيها ، وهي الآيات الناطقة -
ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه والداعية إلى أسمائه وصفاته³ ، ثم استدلل
على هذه القضية بجمهرة من الآيات القرآنية منها :

قوله تعالى : هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة⁴

قوله تعالى : من يحيي العظام وهي رميم⁵

قوله تعالى : أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ⁶

وأما المجاز فاختلاف في وقوعه في القرآن ، والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة
منهم : (ابن القاص من الشافعية ، وابن خويز منداد من المالكية ، و داود بن علي
الظاهري وابنه ، ...) وغيرهم .

" وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ،
وهو مستحيل على الله سبحانه"⁷

¹ - المصدر السابق ، ص 86

² - البرهان ، ج 2 ، ص 158

³ - المصدر نفسه ، ص 7

⁴ - الحشر ، الآية : 22

⁵ - يس ، الآية : 78

⁶ - النمل " الآية 64

⁷ - البرهان ، ج 2 ، ص 159

ورد الزركشي على هذا الإنكار والشبهة بقوله : "وهذا باطل ، ولو وجب خلو القرآن مـ ن المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف ، وتنشئة القصص وغيره ، ولو سقط المجاز مـ ن القرآن سقط شطر الحسن"¹.

ويشير الزركشي إلى من اهتم بالمجاز وأفرد له مصنفًا كاملاً ، فذكر الإمام أبا محمد بن عبد السلام ، فقال : "وقد أفرد بالتصنيف أبو محمد بن عبد السلام ، وجمع فأوعى"².

أقسام المجاز عند الزركشي :

قسم الزركشي المجاز إلى قسمين وذكر سببين ، فأما الأول :

الشبه ، ويسمى المجاز اللغوي ، وهو الذي يتكلم فيه الأصولي

أما الثاني ، الملايسة³ وهذا الذي يتكلم فيه أهل اللسان ، ويسمى المجاز العقلي .

ويعرف المجاز العقلي بقوله : "وهو أن تسند الكلمة إلى غير ما هي له أصالة بضرب من التأويل ، كسب زيد أباه ، إذا كان سببا فيه"⁴ .

ويستدل على النوع الثاني ؛ وهو المجاز المركب بآيات من القرآن الكريم ومنهـ ا قولـ ه تعالى : **وَإِذَا ثُلِثَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**⁵

ونسبت الزيادة التي هي فعل ا إلى الآيات لكونها سببا فيها .

وكذا قوله تعالى : **وَذَلَّكُمْ طَنُكُمْ الَّذِي طَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ**⁶

وقسم المجاز العقلي إلى ثلاثة أقسام :

1- ما طرفاه حقيقيان : نحو قوله تعالى : **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**⁷

2- ما طرفاه مجازيان : نحو قوله تعالى : **فَمَا رِيحَتْ تَجَارِئُهُمْ**⁸

¹ - المصدر السابق ، ص ن

² - المصدر السابق ، ص ن

³ - والمقصود بالملايسة : العلاقة التي سوغت إسناد الفعل إلى غير ما هو له وقد تكون هذه العلاقة فاعلية ، او مفعولية ، زمانية أو مكانية ، مصدرية أو سببية .

⁴ - المصدر السابق ، ص ن

⁵ - الأنفال ، الآية : 02

⁶ - فصلت ، الآية : 23

⁷ - الزلزلة ، الآية : 02

⁸ - البقرة ، الآية : 16

3- ما كان أحد طرفيه مجازاً دون الآخر ، كقوله تعالى حتى تضع الحـرب أوزارها¹:

ثم ذكر الزركشي أنواعاً من المجاز المفرد في القرآن مبيناً بأنها كثيرة لا يمكن عدّها أو إحصاؤها ، فسمى منها ستة وعشرين نوعاً هي :

1- إيقاع المسبب موقع السبب:

كقوله تعالى : وَدَّ أَنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا² ، وإنما نزل سببه؛ وهو الماء.

2- إيقاع السبب موقع المسبب:

كقوله تعالى : وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا³

سمي الجزاء الذي هو السبب سيئة واعتداء فسمي الشيء باسم سببه

3- إطلاق اسم الكل على الجزء :

قال تعالى : يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ⁴

أي أناملهم ، وحكمة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى أنهم يدخلون أذانهم في آذانهم - م بغير المعتاد ، فرارا من الشدة ، فكأنهم جعلوا الأصابع .

4- إطلاق اسم الجزء على الكل :

ومثل له بقوله تعالى : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ⁵

والمراد بوجهه أي ذاته بدليل قوله تعالى : وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ⁶

5- إطلاق اسم المازوم على اللازم :

كقوله تعالى : صَمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ⁷ فإن الأصل "عمى" لقوله في موضع آخر - ر "صم بكم عمى"؛ لكن أتى بالظلمات لأنها من لوازم العمى.

¹ - محمد ، الآية : 04

² - الأعراف ، الآية : 26

³ - الشورى ، الآية : 40

⁴ - البقرة / الآية : 19

⁵ - القصص ، الآية : 88

⁶ - الرحمن ، الآية : 27

⁷ - الأنعام ، الآية : 39

فإن قيل : ما الحكمة في دخول الواو هنا وفي التعبير بالظلمات عن العمى بخلافه - في الآية الأخرى ؟

الزركشي طرح هذا الإشكال ، ولم يذكر جواب هذه المسألة .

6- إطلاق اسم اللازم على الملزوم :

كقوله تعالى : فلولا أنه كان من المسبحين 1 أي المصلين.

7- إطلاق اسم المطلق على المفيد :

كقوله تعالى : فَعَقَرُوا النَّاقَةَ 2 والعاقِر لها من قوم صالح قدار بن سـ. الف ؛ لكـ.نهم رضوا الفعل فنزلوا منزلة الفاعل .

8- إطلاق اسم المفيد على المطلق :

كقوله تعالى : تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ 3 أن المراد بها كلمة الشهادة وهي من عدة كلمات.

9- إطلاق اسم الخاص وإرادة العام :

كقوله تعالى : إني رسولُ ربِّ العالمين 4 أي رسله.
وكقوله تعالى : هم العدو فاحذرهم 5 أي : الأعداء

10- إطلاق اسم العام وإرادة الخاص :

1- الصافات، الآية، 143

2 - الأعراف، الآية : 77

3 - آل عمران ، الآية : 64

4 - الزخرف ، الآية : 46

5 - المنافقون ، الآية : 04

كقوله تعالى : **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ** ¹ ، أي : للمؤمنين ، بدليل قوله في موضع آخر : **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** ² ولما خفي هذا على بعضهم زعم أن الأولى من - سوخة بالثانية .

وقوله تعالى : **تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ³ ولم تجتج هودا والمسلمين معه .
وقوله تعالى : **الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ** ⁴ ، والمراد : شهران وبعض الثالث .

11 - إطلاق الجمع وإرادة المثني :

كقوله تعالى : **فَقَدْ صَعَتُ فُلُوبِكُمَا** ⁵ ؛ أطلق اسم القلوب القليين

12 - النقصان :

وبين الزركشي أن من النقصان حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ⁶
كقوله تعالى : **نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ** ⁷ ، أي أنصار دين ا .

13 - الزيادة :

كقوله تعالى : **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ⁸ ، وقد فصل القول في الزائد الكاف أم مثل وأنه - ي ذلك بقوله : "بل المراد حقيقة المثل ليكون نفيا عن الذات بطريق برهاني كسائر الكتابات ، ثم لا يشترط على هذا أن يكون لتلك الذات الممدوحة مثل في الخارج حصل النفي عنه ، بل هو من باب التخيل في الاستعارة التي يتكلم فيها البياني" ⁹ .
وأما قوله تعالى : **قَانَ آمَنُوا يَمِثُلُ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا** ¹⁰ .

ف قيل : إن "ما" مصدرية . وهذا فيه نظر ، لأن "ما" لو كانت مصدرية لم يعد إليه من ال - صلة ضمير ، وهو الهاء في (به) ، لأن الضمير لا يعود على الحروف ، ولا يعتب - ر اس - ما إلا بالصلة ، والاسم لا يعود عليه ضمير ما هو صفته ؛ إذ لا يحتاج في ذلك إلى ربط .

¹ - الشوري ، الآية : 05

² - غافر ، الآية : 07

³ - الأحقاف : الآية : 23

⁴ - البقرة ، الآية : 197

⁵ - التحريم ، الآية : 04

⁶ - البرهان ، ج 2 ، ص 170

⁷ - الصف ، الآية : 14

⁸ - الشوري ، الآية : 11

⁹ - البرهان ، ج 2 ، ص 171

¹⁰ - البقرة ، الآية : 137

وجوابه : أن تكون " ما " موصولة ، صلتها "آمنتكم به" ¹
وقيل مزيدة ، والتقدير : فإن آمنوا بالذي آمنتكم به ، أي : با وملائكته وكتبه ورسله ،
وجميع ما جاء به الأنبياء .
وقيل : إن "مثلا" صفة لمحذوف تقديره : فإن آمنوا بشئ مثل ما آمنتكم به . وفيه نظر، لأن
ما آمنوا به ليس له مثل حتى يؤمنوا بذلك المثل ²

14- تسمية الشئ بما يؤول إليه:

كقوله تعالى : ولا يَدَاوِلْاَ إِلَّا قَاجِرًا كَفَّارًا ³ ، أي صائر إلى الفجور والكفر.
وقوله تعالى : قَبَشْرِنَاهُ يَغْلَامٍ حَلِيمٍ ⁴ و: وَبَشْرُوهُ يَغْلَامٍ عَلِيمٍ ⁵ وصـفه فـي حـال
البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم.
ونبه أن ليس هذا من الحال المقدرة كما يتبادر إلى الذهن ، لأن الذي يفتـرن بالفاءـل أو
المفعول ، إنما هو تقدير ذلك وإرادته ، فيكون المعنى في قوله : قَتَبَسَم ضَاجِغًا ⁶ مقدرًا
ضحكه.

15- تسمية الشئ بما كان عليه:

كقوله تعالى : وَأَتَّوُوا إِلَيْتَلَمَى أُمَوَالَهُمْ ⁷ أي : الذين كانوا يتلمى إذ لا يتم بعد البـلـوغ .
وقيل : بل هم يتلمى حقيقة ، وأما حديث : "لا يتم بعد احتلام " فهو من تعليم الشرع لا اللغة ،
ونبه أنه غريب ⁸

¹ - البرهان ، ج2 ، ص 172

² - المصدر نفسه ، ص ن

³ - نوح ، الآية : 27

⁴ - الصافات ، الآية : 101

⁵ - الذاريات ، الآية : 28

⁶ - النمل ، الآية : 19

⁷ - النساء ، الآية : 02

⁸ - البرهان ، ج2 ، ص 174

وقوله تعالى : ⁻ من يأتِ ربه مجرماً ¹ سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجمام.

16 - إطلاق اسم المحل على الحال:

كقوله تعالى : ⁻ وُورِثَ مَرْثُوْعَةً ² ، أي نساؤه ، بدليل قوله : ⁻ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ³ ، وكالتعبير باليد عن القدرة ، كقوله تعالى : ⁻ يَبْدِئُ الْمُلْكَ ⁴

17 - إطلاق اسم الحال على المحل :

كقوله تعالى : ⁻ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⁵ أي : في الجنة لأنها محل الرحمة.

18 - إطلاق اسم آلة الشيء عليه :

كقوله تعالى : ⁻ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ⁶ ، بين ذلك بقوله : أي ذاكرًا - سنا وأطلاق اللسان وعبر عن الذكر. وقوله تعالى : ⁻ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ⁷ ، أي بمرأى منا ، لما كانت العين آلة الرؤية.

19 - إطلاق اسم الضد على آخر :

كقوله تعالى : ⁻ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ⁸ ، بين أن الأول طاعة والثاني ثواب ، كأنه قال : هل جزاء الطاعة إلا الثواب.

¹ - طه ، الآية : 74

² - الواقعة ، الآية : 34

³ - الواقعة ، الآية : 35

⁴ - الملك ، الآية : 01

⁵ - آل عمران ، الآية : 107

⁶ - الشعراء ، الآية : 84

⁷ - القمر ، الآية : 14

⁸ - الرحمن ، الآية : 60

وكقوله تعالى : ومكروا ومكر الله ¹ ، حمل اللفظ على اللفظ ، فخرج الانتقام بلفظ الذنب ، لأن لا يمكن.

20 - تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه

نبه الزركشي بقوله لما بينهما من التعليق . ولم يمثل له ، وأشار إلى الآية التي خرج عليها السكاكي هذا النوع ، وهي قوله تعالى : ما منعك ألا تسجد ² ، وبدأ الزركشي غير مقتنع بما قيل حولها .

21 - إقامة الصيغة مقام أخرى:

له صور منها:

- فاعل بمعنى مفعول ، كقوله تعالى : لا عاصم اليوم - ن أم - ر الله ³ ، أي لا معصوم .
- فاعل بمعنى مفعول ، كقوله تعالى : وكان الكافر على ربه ظهيرا ⁴ ، أي مظهورا.
- مجئ المصدر على " فعول " ، كقوله : لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ⁵ .
- إقامة الفاعل مقام المصدر ، نحو قوله تعالى : ليس لوُعيتها كاذبة ⁶ ، أي تكذيب .
- إقامة المفعول مقام المصدر : نحو قوله تعالى : يأييكم المفتون ⁷ ، أي : الفتنة .

¹ - آل عمران ، الآية : 54

² - الأعراف ، الآية : 12

³ - هود ، الآية : 43

⁴ - الفرقان ، الآية : 55

⁵ - الفرقان ، الآية : 62

⁶ - الواقعة ، الآية : 02

⁷ - القلم ، الآية : 06

- ووصف الشئ بالمصدر ، نحو قوله تعالى : فَإِنَّهُمْ عَدُو لِي ¹ ، قالوا : إنما واحد لأنه في معنى المصدر ، كأنه قال : "فإنهم عداوة"
- مجئ المصدر بمعنى المفعول ، كقوله تعالى : وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ².
- ومنه "فعل" بمعنى الجمع ؛ كقوله تعالى : وَالْمَلَأْنِيكَ بِعَدُوِّكَ ظَهْر ³.
- ومنه إطلاق الخبر وإرادة النهي ، كقوله تعالى : لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ⁴ ، ومعناه : "لاتعبدوا"

22- إطلاق الأمر وإرادة التهديد والتأويل : ولم يشرحه ، ولم يمثل له.

23- إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة:

بين الزركشي أن إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة : إما على التـشبيه كقوله تعالى : جِدَارًا يَرِيدُ أَنْ يَنْفَضَ ⁵ ، فإنه شبه ميله للوقوع بشبه المرید له . وإما لأنه وقع فيه ذاك الفعل ، كقوله تعالى : أَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومَ ⁶ فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ، ثم قال : وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغُلُونَ ⁷ ، فأضاف الغلب إليهم ، وإنما كان كذلك ، لأن الغلب وإن كان لغيرهم ، فهو متصل بهم لوقوعه بهم .

24- إطلاق الفعل والمراد مقارنته ومشارفته لاحقيقته: كقوله تعالى :

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ ⁸ أي : قارب حضور الموت .

¹ - الشعراء ، الآية : 77

² - البقرة ، الآية : 255

³ - التحريم ، الآية : 04

⁴ - البقرة ، الآية : 83

⁵ - الكهف ، الآية : 77

⁶ - الروم ، الآية : 1، 2

⁷ - الروم ، الآية : 03

⁸ - البقرة ، الآية : 180

وقوله تعالى : كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ فَيُؤْتِيهِمْ بَغْتَةً¹ أَي : حتى يشارفوا الرؤية ويقاربوها.

25- إطلاق الأمر بالشئ للتليس به والمراد دوامه :

كقوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا² هكذا أجاب به الزمخشري وغيره .
وأصل السؤال غير وارد ؛ لأن الأمر لا يتعلق بالماضي ولا بالحال ، وإنما يتعلق
بالمستقبل المعدوم حالة توجه الخطاب ، فليس ذلك تحصيلاً للحاصل ، بل تحصيلاً للمعدوم
؛ فلا فرق بين أن يكون المخاطب حالة الخطاب على ذلك الفعل أم لا لأن الذي هو عليه
عند الخطاب مثل المأمور به لا نفس المأمور به³

25 - إطلاق اسم البشري على المبشر به :

كقوله تعالى : بَشِّرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَاتٍ⁴ .
قال أبو علي الفارسي : التقدير : بشاراكم دخول جنات ، أو خلود جنات ؛ لأن البشري
مصدر ، والجنات ذات ، فلا يخبر بالذات عن المعنى .
هذه - ولانشك - جملة من أنواع المجاز الإفرادي التي ذكرها "الزركشي" ، وهي بالكثرة
يمكن كما أسلفنا من قبل ، وما ذكره الزركشي دل على عمق فكره ، وحسن تخريجه
للأمور لإظهار دقائق البيان القرآني ، والكشف عن أسرار إعجازه وسحره وجماله .

الخصائص الفنية للمجاز :

من خلال ما سبق الإشارة إليه من ذكر أنواع المجاز عند الزركشي ، وما قدمه - من
شواهد قرآنية متنوعة ، ومآنبه عليه من ملاحظات جمالية فنية ، وأخرى معنوية ، وما
قام به من تخريجات لهذه الأنواع من خلال تلك الشواهد والأدلة ، خلصنا إلى جملة من

¹ - الشعراء ، الآية : 200، 201، 202

² - النساء / الآية : 136

³ - البرهان ، ج 2 ، ص 183، 184

⁴ - الحديد ، الآية : 12

الخصائص الفنية التي يتركها المجاز بنوعيه (المركب والأفرادي) على الأساليب ،
 فيزيدها حسنا ، وجمالا ، وتوكيدا ، وإثارة ومبالغة . نذكر منها :
أولا : الخصائص الفنية المتعلقة بالمجاز العقلي (المركب) :

أ - المبالغة .

ب - الإيجاز .

ج - التشخيص .

د - الاتساع اللغوي .

ثانيا : الخصائص الفنية المتعلقة بالمجاز الإفرادي (المجاز المرسل - ل

ل :

أ - المبالغة .

ب - توكيد المعاني .

ت - الإيجاز .

ث - إثارة الخيال .

التجوز عن المجاز بالمجاز :

تطرق الزركشي إلى قضية هامة من قضايا المجاز ، وهي ما يعرف بالتجوز عن المجاز
 بالمجاز ، وأورد تطبيقا لذلك ، إذ قال : " وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة
 الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ؛ فتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما " ¹ .
 مثاله قوله تعالى : وَلَئِنْ لَا تُؤَايِدُوهُمْ سِرًّا ² ، فإنه مجاز عن مجاز ؛ فإن الوطاء تجوز
 عنه بالسر ، لأنه لا يقع غالبا إلا في السر ، وتجوز بالسر عن العقد ؛ لأنه مسبب عنه

¹ - البرهان ، ج 2 ، ص 185
² - البقرة ، الآية 235

فالصحيح للمجاز الأول الملازمة، والثاني السببية ، والمعنى " لاتواعدهن عقد النكاح "¹ وأشار إلى أن ابن السيد البطلانيوسي (ت444هـ) يسميه : "مجاز المراتب " ، وجعل منه قوله تعالى : يا بني آدم وَاَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ² ، فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس ؛ بل الماء المنبت للزرع ، المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس³.

رأي الزركشي في المجاز القرآني :

قبل الإبانة عن رأي الزركشي في مسألة وقوع المجاز في القرآن العظيم ، أو عدمه.

يجب تحديد كبريات القضايا التي تناولها الزركشي حول قضية المجاز.

لاشك وأن المجاز شغل عند الزركشي حيزا واسعا ، وتراجمت فروعه - في فضاءات رحبة ، لما له من أهمية في مجالي اللغة والأدب . ولعل هذا ما دفع بالعلماء إلى القول : "أن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة "⁴.

و الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" تعرض إلى كبريات القضايا التي تشكل هذه الظاهرة مستدلا عليها بكم هائل من النصوص القرآنية.

وأولى القضايا التي تناولها الزركشي في برهانه تمثلات في أن المجاز واقع في القرآن ، وهذا رأي الجمهور ، وأوضح أن هناك من العلماء من أنكر وقوعه كما أشار إلى اشتراك اللفظ بين حقيقتين ، أو حقيقة ومجاز.

¹ - البرهان ، ج2 ، ص 185

² - الأعراف ، الآية : 26

³ - البرهان ، ج2 ، ص 185

⁴ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 53

وعدا لحذف نوعاً من أنواع المجاز ، يقول ابن عطية : "وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه ، وهذا مذهب سيبويه وغيره وليس كل حذف مجازاً¹ ما السؤال الهـام هنا : هل كل حذف مجاز؟.

ويبدي الزركشي رأيه في هذه المسألة ، فيقول : "إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه ، فالحذف ليس كذلك ؛ لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره . وهو المجاز العقلي ، فالحذف كذلك"².

إذا الزركشي هنا يحصر الحذف في مطابقته المجاز العقلي ، فـلا يحكم لـه بالمجازية المطلقة ، بل اشترط أن يكون في الحذف إسناد للفعل إلى غيره .

ومن هنا يتضح أن القاسم المشترك بين المجاز والحذف ، يتمثل في مـا نـكـره الزركشي في قوله : " الحذف خلاف الأصل "³ .

ووجه الاشتراك أن المجاز - أيضا - ما يمكن تسميته " باللذة الذهنية " وقد أشار إليها الزركشي في معرض حديثه عن فوائد الحذف ، حيث يقول : "إن من فوائد زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعـسر كـان الالتذاد به أشد وأحسن "⁴.

كذلك التأكيد على أن الاستعارة والكناية من وجوه المجاز . هذه أهم النقاط التي عالجها الزركشي في مبحث المجاز.

¹ - البرهان ، ج 2 ، ص 68

² - المصدر نفسه ، ص ن

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 68

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 69

أما عن رأيه في مسألة وقوع المجاز في القرآن العظيم ، وهو على خ-لاف م-ا ذهب إليه المنكرون ، بل يرى أن المجاز شطر الحسن والجمال في التعبير ولولاه لذهب الحسن والبهاء ، ولذلك يقول في معرض الرد على المنكرين : "وهذا باطل ، ول-و وج-ب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد ، والحذف وتثنية القصص وغيره ، ول-و سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"¹ .

ومحل الشاهد - ها هنا - في قوله : "وهذا باطل " أي : من قال بخلو المجاز في القرآن ، أو أنكره ، فقد حاد عن جادة الحق ، وتنكب عن الصراط السوي ، وكذلك في قوله : "ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن" .

وها هنا يثبت أن المجاز من طرائق التعبير الفني الجمالي ؛ لأن به يتحقق الأداء الجميل-ل ، ويحدث به ثراء الخيال ، ويصقل به الذوق ، ومن ثمة الغوص في أعماق وجوه التعبير-ر ، وإحداث التمكين في النفس ، والأثر في السمع .

إن الخلاف الحاصل حول إثبات المجاز ، أو نفيه ، لا يقدم رجلا ولا يؤخر أخ-رى فالأمر من الواضح بمكان في رابعة النهار ؛ إن المجاز كغيره من ألوان التعبير-ر الفني الجمالي ، ومن ثم لا يمكن الاستغناء عنه ، فالقرآن- ولا ريب- جاء بأساليب الع-رب و أفانينها.

فالكلمة الفيصل في هذه القضية أن المجاز واقع في القرآن . والتعبير مهما كان نوعه فهو يجمع بين المجاز والحقيقة ورأينا في المسألة بعدما وضحنا يتجلى في أننا مع الذين أثبتوا المجاز في اللغة والقرآن معا.

¹ - البرهان ، ج2 ، ص 159

الاستعارة

أولى الدرس البلاغي - قديما وحديثا - عناية فائقة بالاستعارة لما لها من أثر في النفوس ، أكثر من الحقائق البارزة الواضحة ، وتمثل الاستعارة عصب الصور البيانية في البيان العربي ؛ لأن (الاستعارة تفعل في نفس السامع مالا تفعله الحقيقة)¹.

وتعد الاستعارة مقياسا فعالا تقاس به مدى جودة الإبداع ، ومن ثم تفوق المبدع في عمله الإبداعي.

الاستعارة طريقة من طرائق التعبير البياني ، وفن من أفنن القول وأسلوب غاية في الرقة والجمال والجلال ، لأنه يوصل المتلقي إلى الغرض في تـصوير رائـع بـارـع وإيجار في اللفظ ، وتأثير في النفوس.

للاستعارة تعاريف كثيرة ومختلفة ، وعد الدارسون والباحثون الجاحظ مـن النقاد الأوائل الذين تحدثوا عن الاستعارة ، وبحثوها .

فألّفيناها يعرفها بقوله : "وهي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"².

وعرفها ابن المعتز بقوله : "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها"³ أما الرمانى : فالاستعارة عنده : "تعليق العبارة على ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"⁴.

¹ - د/ رقيق خليل عطوي ، صناعة الكتابة علم البيان ، علم المعاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1989 ، ص43

² - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص 153

³ - ابن المعتز ، البديع ، ص17

⁴ - الرمانى ، النكت في اعجاز القرآني ص 79

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن الفاسم المشترك بينها تمثل في النقل ، أي نقل اللفظ من استعمال لغوي إلى استعمال آخر . لكن الجرجاني ركز على فكرة أخرى ، هي فكرة المشابهة حيث يقول : "فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيئ إلى اسم المشبه به فتغيره المشبه وتجره عليه"¹.

وعلى أسس هذا التعريف جنحت الفهوم إلى تعريف الاستعارة على أنها تشبيه حذف أحد طرفيه².

يقول الزركشي : "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"³. وقال الجرجاني في موضع آخر : "أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ، ونمط مـ ن التمثيل ، والتشبيه قياس ، والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدركه العقول"⁴ وعلى هذا الأساس - أيضاً - قسمت الاستعارة إلى تصريحية ، ومكنية بناء على تصور .

الطرف : الأول ، أو الثاني من التشبيه في التركيب اللغوي ، كما تصوره السكاكي سلفاً . ووضح الجرجاني أن الاستعارة ماهي إلا صورة التشبيه ، حيث يقول : "الاستعارة صورة من صوره"⁵ أي من صور التشبيه . والاستعارة تعد الوسيلة المثلى لتشكيل الصور وإبداعها ، حيث يقول جوزيـ ف ميـ شال شريم : "وهي الوسيلة الفضلى لخلق الصورة"⁶.

¹ - دلائل الإعجاز ، ص 51، 52

² - إدريس الناظوري ، المصطلح النقدي في نقد الشعر ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ليبيا ط 2 ، 1984م ص 333

³ - مفتاح العلوم ، ص 477

⁴ - أسرار البلاغة ، ص 21

⁵ - المصدر نفسه ، ص 28

⁶ - جوزيف ميشال شريم ، دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، (د ط) ، 1984 ، ص 73

كما تمتلك الاستعارة من القوة التعبيرية والتخيلية ، ما يجعلها قادرة على تشكيل علاقات تصورية جديدة ، وخلق معان فريدة ، من خلال الربط بين الوشائج الجديدة ، وإلى هذا أشار جاكوب كورك قائلا : "فوصف الاستعارة بأنها قادرة على إعادة تجميع الأجزاء وفق إدراك جديد بحيث تؤدي إلى خلق معان جديد من خلال صلات جديدة"¹.

الاستعارة عند الزركشي :

فماهي حقيقة الاستعارة عند الزركشي

- وما هي أصولها ؟.
- وماهي أنواعها ؟.
- وما جمالياتها ؟.

قبل أن يبين الزركشي حقيقة الاستعارة ، أشار إلى أنها لون من ألوان البلاغة ، ونبه على أنها كثيرة في كتابه عز وجل . وحدد أن الاستعارة من المجاز . قال الزركشي : "والاستعارة مجاز"².

والاستعارة ، وهي "استفعال" من العارية ، ثم نقلت إلى نوع من التخيل لقصد المبالغة في التخيل والتشبيه مع الإيجاز ؛ نحو : لقيت أسدا ، وتعني به الشجاع³ . عرف الاستعارة بقوله : "وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها . وحكمتها إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس يجلي ، أو بحصول المبالغة ، أو للمجموع"⁴.

¹ - جاكوب كورك ، اللغة في الأدب الحديث - الحداثة والتجريب ، ترجمة ليون يوسف ، وعزيز عما نونيل ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، (د ط) 1989 م ، ص 230

² - البرهان ، ج 3 ، ص 265

³ - المصدر نفسه ، ص 266

⁴ - المصدر نفسه ، ص 266

فمثال إظهار الخفي : قوله تعالى : **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ¹** فإنه حقيقته أنه في أصل الكتاب ؛ فاستعار لفظة "الأم" ؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم ، كما تنشأ الفروع من الأصول. وعقب الزركشي مبينا عن الحكمة من ذلك يقول : "وحكمة ذلك تمثيل مالميس بمرئى حتى يصير مرئيا ، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان ، وذلك أبلغ في البيان²".

ومثال إيضاح مالميس بجلي ليصير جليا : "قوله تعالى : **وَخَفُضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذَّل³** المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ؛ فاستعير للولد أولا جانب ، ثم للجانب جناح ؛ وتقديره الاستعارة القرينة : **واخفض لهما جانب الذل ؛ أي اخفض جانبك ذلا.**

وحكمة الاستعارة في هذا جعل مالميس مرئى مرئيا ؛ لأجل حسن البيان .
الاستعارة عنده قسم من أقسام المجاز ؛ لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له

عناصر الاستعارة :

الاستعارة تتألف من أصول ثلاثة ، وهي :

- أ - **المستعار** : وهو اللفظ الذي تمت استعارته من صاحبه لغيره
- ب - **المستعار له (المشبه)** الذي يستعار له اللفظ الموضوع لغيره.
- ت - **المستعار منه : (المشبه به)** الذي يستعار منه اللفظ الموضوع له ويعطى لغيره.

¹ - الزخرف ، الآية : 04

² - البرهان ، ج3 ص 266

³ - الإسراء ، الآية : 24

ففي قوله تعالى : **وَاشْتَعلَ الرَّأسُ شَيْباً** ¹

المستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضد- وء الذ-ار لبياض الشيب ، وفائدة ذلك وحكمته ؛وصف ماهو أخفى بالنسبة إلى ما ه- و أظهم-ر . وأصل الكلام أن يقال :اشتعل شيب الرأس ؛ وإنما قلب للمبالغة ، لأنه ي-ستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس ، ولوجاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم ²

والآية الكريمة تضم استعارة مكنية تبعية ؛حيث شبه انتشار الشيب وكثرة بانش-تعال النار في الحطب ،واستعير للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر ، وهو استعارة محسوس لمحسوس .

وأشار الزركشي إلى وجه البلاغة والاعجاز في لفظة "اشتعل " حيث ي-ول : "ولا يخفى أنه أبلغ من قولك :كثر الشيب في الرأس ؛ وإن كان ذلك حقيقة المعنى ، والحق أن المعنى يعار ،أولا ثم بواسطته يعار اللفظ ؛ولتحسن الاستعارة ،إلا حيث كان الشبه مقرر أيهما ظاهرا؛ وإلا فلا بد من التصريح بالشبه؛فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة ، وأنت تريد مؤمنا إشارة إلى قوله : "مثل المؤمن كمثل النخلة " أو "الخامة " لكنت كالملمغز ³ .

ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى : **وَالصَّبحُ إِذَا تَنَفَّسَ** ⁴ ؛ وحقيقته ه-ب-دأ انتشاره " وتنفس " أبلغ ؛ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا ،بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة .

يقول محمد على الصابوني : "الاستعارة التصريحية حيث شبه إقبال النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التي تحي القلب ، واستعار لفظ التنفس لإقبال

¹ - مريم ، الآية : 04

² - البرهان ، ج 3 ، ص 267

³ - المصدر نفسه ، ص 267

⁴ - التكوير ، الآية : 18

النهار بعد الظلام الدامس ، وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها تصويرا ، حيث عبّر عنه بتنفس الصبح¹.

ووضح بلاغة الاستعارة في قوله تعالى : اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ².
لأن انسلاخ الشيء ، أن يبرأ منه ، ويزول عنه حالا فحالا ، كذلك انفصال الليل عن النهار ؛ والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان ثم اسـ تدل بلفظ فـ مـ ن الأمثلة على الاستعارة ، دون أن يقدم شرحا أو توضيحا ،

ولعل الزركشي أراد أن يشرك المتلقي في العملية ، ويجعل منه متلقيا ايجابيا يتذوق ، ويتدبر ويتأمل ، ويستمتع .
من ذلك مثلا :

- وقوله تعالى : أَحَاطَ بِهِمْ سِرَادُهَا³.
- وقوله تعالى : وَالتَّتَمَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ⁴.
- وقوله تعالى : بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ⁵.
- وقوله تعالى : خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ⁶.
- وقوله تعالى : وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ⁷.
- وقوله تعالى : بَلْ نَقُذِرُ الْبَاطِلَ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ⁸.

أقسام الاستعارة :

قسم الزركشي الاستعارة إلى ثلاثة أقسام :

¹ - ينظر ، محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، شركة الشهاب الجزائر ، قصر الكتاب البليلة ، ط5 1411 هـ ، 1990 م ، ج3 ، ص526
² - يس ، الآية :37
³ - الكهف ، الآية :29
⁴ - القيامة ، الآية :29
⁵ - المطففين ، الآية :14
⁶ - البلد ، الآية :04
⁷ - المسد الآية :04
⁸ - الأنبياء ، الآية :18

أ - الاستعارة الترشيحية (المرشحة)**ب - الاستعارة التجريدية (المجردة).****ت - الاستعارة بالكنية (المكنية)****أ - الاستعارة الترشيحية (المرشحة) :**

وهي التي ذكر فيها ما يلائم المستعار منه (المشبه به).

ووصفها الزركشي بالحسن ، حيث يقول : "وهي أحسنها ، وهي أن تنظـر إلـى جانـب بـ المستعار وتراعيه"¹.

كقوله تعالى : **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ** ².
فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المراعى هنا ، وهو الذي رشح لفظته - ي - ال - ربح والتجارة للاستعارة ؛ لما بينهما من الملاءمة³.

وزيادة التوضيح لهذه الاستعارة نقول : شبه - الحق تبارك وتعالى - الاستبدال بال - شراء وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية .
ثم اشتق من الشراء الفعل اشترى ، واستعير بمعنى استبدل على سبيل الاستعارة التبعية ، والقرينة المانعة من ارادة المعنى الحقيقي تكمن في استحالة مبادلة الهدى بالضلالة ، وفي قوله سبحانه : "فما ربحت تجارتهم" ما يناسب المستعار وهو الاشتراء ، وعلى هـ - ذا الاساس تكون الاستعارة مرشحة .

ب - الاستعارة التجريدية (المجردة) :

وهي التي يذكر فيها ما يلائم المستعار له (المشبه) .

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 269

² - البقرة ، الآية 16

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 269

ويقول الزركشي : "وهي أن تنظر إلى جانب المستعار له ، ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه"¹.
وكقوله تعالى : فَأَذَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ².

فالمستعار اللباس ، والمستعار له الجوع ، فمجرد الاستعارة ، يـذكر لفـظ الآداة المناسبة للمستعار له / وهو الجوع ، لاالمستعار وهو اللباس ، ولو اراد ترشيحها لـال : وكساها لباس الجوع .
وفي هذه الآية مراعاة المستعار له ؛ الذي هو المعنى ، وهو الجوع والخوف ، لأن ألمها يذاق ولا يلبس³.

ج - الاستعارة بالكناية (المكنية) :

وأما الاستعارة بالكناية (المكنية) ، فهي ألا يصرح بذكر المستعار بـل تـذكر بعـض لوازمه تنبيهها عليه كقولك : عالم يغترف منه الناس ؛تنبيهها على أن العالم بحر في العلوم .

ومن أقسامها :

أن يسكت عن ذكر المستعار ثم يومئ إليه بذكر شيء من توابعه وروافده تنبيهها عليه ومنه قوله تعالى : إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ⁴، لأن حقيقة "طغى" علا ، والاستعارة أبلغ ، لأن "طغى" علا قاهرا.
والطغيان صفة من صفات الإنسان ، فشبه ارتفاع الماء وعلوه وكثرته بطغيان الانـسان على أخيه الانسان بطريقة الاستعارة .

¹ - المصدر السابق ، ص 269

² - النحل ، الآية : 112

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 269

⁴ - الحاقة ، الآية : 11

وقوله تعالى : **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ** ¹ ؛ وحقيقته : لا تمنع ما تملك كل المنع وللاستعارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليدين إلى العنق وحال الغلول أظهر ².

وأشار فيه الزركشي إلى الإيحاء كال الواقع في قوله تعالى : **كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** ³.

مشير إلى قول الفراء الذي يرى فيه ثلاثة أوجه :

- 1- أنه جعل طلوعها رؤوس الشياطين في القبح .
- 2- أن العرب تسمى بعض الحيات شيطاناً ؛ وهو ذو القرن .
- 3- أنه شوك قبيح المنظر ، يسمى رؤوس الشياطين .
- فعلى الأول يكون تخيلاً ، وعلى الثاني يكون تشبيهاً مختصاً ⁴.

تقسيم الاستعارة باعتبارها فرع من التشبيه ، فأنواعها كأنواعه خمسة هي :

1- استعارة حسية لحسي بوجه حسي ، كقوله تعالى : **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ** ⁵ ، أصل الموح حركة المياه ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة .

وزيادة في الإيضاح ؛ أن **عز وجل** شبههم لكثرتهم وتداخل بعضهم في بعض يموج البحر المتلاطم ، واستعار لفظ يموج لذلك ففيه استعارة تبعية .

2- حسي لحسي بوجه عقلي :

كقوله تعالى : **أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ** ⁶

¹ - الإسراء ، الآية : 29

² - البرهان ، ج 3 ، ص 270

³ - الصافات ، الآية : 65

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 270

⁵ - الكهف ، الآية : 99

⁶ - الذاريات ، الآية : 41

فالمستعار له :الريح ، والمستعار منه : المرأة ، وهما حسيان ، والوجه :المنع من ظهور النتيجة ، والآخر وهو عقلي ، وهو أيضا استعارة بالكناية .
والواضح في قوله تعالى : "الريح العقيم " أن ا شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم الذ-ساء وعدم حملهن ، ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقم بطريق الاستعارة .

3- معقول لمعقول :

كقوله تعالى : من بعثنا من مرؤينا¹
فالرقاد مستعار للموت ؛ وهما أمران معقولان ، والوجه عدم ظهور الأفعال ؛ وه-و عقلي ،
والاستعارة تصريحية لكون المشبه به مذكورا .
وقوله تعالى : ولما سكّت عن موسى الغضب²
المستعار : السكوت ، والمستعار له : الغضب ، والمستعار منه : الساكت ، وهذه أظ-ف
الاستعارات ، لأنها استعارة معقول لمعقول ، لمشاركتها في أمر معقول .

4- محسوس لمعقول :

كقوله تعالى : مستهم البأساء والضراء³ .
أصل التماس في الأجسام ، فاستعير مقاساة الشدة ، وك-ون الم-ستعار منه ح-سيا ،
والمستعار له عقليا ، وكونها تصريحية ظاهر والوجه للحوق ، وهو عقلي .
وقوله تعالى : لئخرج الناس من الظلمات إلى النور⁴ ، وفيه لطيفة م-ن اللط-ائف ،
وهي كل مافي القرآن من الظلمات والنور مستعار .

5- استعارة معقول لمحسوس :

¹ - يس ، الآية :52

² - الأعراف ، الآية :154

³ - البقرة ، الآية :214

⁴ - إبراهيم ، الآية :01

كقوله تعالى : إنا لما طَغَى الماء ¹.

المستعار منه : التكبر ، والمستعار له : الماء ، والجامع الاستعلاء المفرط وقوله تعالى :
تَكَادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ ²، فلفظ " الغيظ " مستعار .

والصورة - هاهنا - في منتهى الجمال والروعة ، حيث شبه جهنم في شدة غليانها -
ولهيبها بإنسان شديد الغيظ على عدوه يكاد يتقطع من شدة الغيظ ، وحذف الم - شبه به - ،
ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الغضب الشديد . وأي جمال وروعة بعد هذا .

جماليات الاستعارة القرآنية :

تبين من خلال دراستنا للاستعارات القرآنية لدى الزركشي ، أن الاستعارة في القرآن العظيم تختلف اختلافاً بينا عن الاستعارات الواردة في إبعات البلغاء فهي أكثر - ر بلاغة ، واشد جمالا ، ووقعا في النفوس ، ولذلك يقول الباقلاني : "الاستعارة في القرآن أبلغ منها في كلام العرب وأجمع" ³.

والسر في أن الاستعارة القرآنية أكثر بلاغة وجمالا وروعة يرجع إلى ما تمتاز به من

خصائص تكمن في :

- 1- الإيضاح .
- 2- الإيجاز.
- 3- انتقاء الألفاظ.
- 4- حسن التركيب.
- 5- مراعات حسن التشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة .
- 6- حسن التصوير ، وروعة التشخيص .

¹ - الحاقة ، الآية : 11

² - الملك ، الآية : 08

³ - الباقلاني ، نكت الانتصار في نظم القرآن منشأة المعارف ، الاسكندرية ، (د ط) (د ت) ، ج 1 ص 200

وما أوردنا من نماذج في ثنانيا هذا البحث يتوقف على هذه الخصائص جميعها .
والاستعارة في القرآن دلت على قدرة الالفاظ القرآنية على الإيحاء ، والتـصوير ،
والتجسيد ، لما هو معنوي بما هو محسوس ملموس ، فتجعل الصورة ماثلة للعينـون ،
والأصوات منقولة للآذان ، وفي هذا السياق يقول أحمد بدوي - رحمه الله - : "فألفاظ
القرآن موجية صادقة في جعل السامع ، أو القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه ،
كما أنها تصور المنظر للعين ، وتنقل الصوت للآذن ، وتجعل الأمر المعنوي ملموسا
محسسا"¹.

محصلة القول في باب الاستعارة :

أن الزركشي ركز على ثلاثة أنواع منها وهي : الاستعارة المرشحة ، والمجردة
والمكنية .

كما أنه اعتمد الشواهد القرآنية في الاستدلال والتمثيل ، وكان يشرح ويوضح -ج
تارة ، ويتركها غفلا تارة أخرى ، لعل علة ذلك ، يريد إرشاد المتلقي في فهم التـذوق
والاستمتاع ، ليكون متلقيا إيجابيا .

وقسمها تقسيما ثانيا باعتبارها فرعاً من التشبيه ، فقسمها إلى خمسة أقسام كما هو
الحال في التشبيه.

¹ - د.أحمد بدوي طبانة ، من بلاغة القرآن ، القاهرة ، (د ط) 1947 ، ص 218

توطئة :

الكناية من الصور البيانية الرائعة البديعة التي حفل بها كلام العرب ، لأنها تنطوي على الجدة والطرافة ، واللاطافة الأدبية .

والكناية من ألوان التعبير الفريدة من نوعها ، ولا يصل إلى سبر أغوارها والغوص إلى أعماقها ، إلا من تملك حساً مرهفاً ، وطبعاً لطيفاً ، وذهناً متوقداً ، وقريحة صافية . والكناية في التعبيرات الأدبية برزت معالمها واضحة دقيقة في التصوير السبب الـذي منحها قوة التعبير والإقناع ، يرجع إلى أن الكناية تقدم الفكرة مصحوبة بالدليل والبرهان ؛ ومعلوم بالضرورة أن الشيء إذا ذكر مصحوباً بالدليل والحجة كان أوقع في النفوس وأؤكد .

واستخدمت العرب الكناية توسعاً في الألفاظ واستكثاراً للمعاني ، لأنها تؤدي إلى التنوع في الأساليب ، وتعمل على تزيين وتحميل صنوف التعبير الضرورية والكنائية كما لا يخفى علينا فضلها في تجسيد المعقول بما هو محسوس .

فإذا تأملنا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد كنى عن النساء بالفوارير :

" رفقا بالفوارير". فانظر إلى رقة التعبير ودقة التصوير.

وأجمع العلماء على أن المجاز والكناية أبلغ من التصريح والحقيقة ، لأن الانتقـال فـي المجاز يكون من المألوم إلى اللازم، فهو كدعوى الشيء ببينة ، وفي الكناية يكـون مـن اللازم إلى المألوم .

يقول عبد القاهر الجرجاني : " قد اجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الالفـصاح ¹ إذا ، فما هي الكناية عند الزركشي ؟ وماهي أسبابها ؟ وما الجديد عنده فيها ؟

¹ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 50

الكنية والتعريض في القرآن

أولا : الكنية

أوضح الزركشي أن العرب تعد الكنية من البراعة والبلاغة ، وهي عندهم أبلغ من التصريح وإلى هذا أشار الشيخ عبد القاهر الجرجاني حيث يقول : " قد أجمع الجميع على أن الكنية أبلغ من الافصاح "¹.

وعرف الزركشي الكنية بقوله : "الكنية عن الشيء الدلالة عليه من غير تصريح باسمه "² في حين عرفها ابن الأثير بقوله : "إن الكنية في أصل الوضع أن يتكلم بـ شيء وتريد غيره "³.

وقد توافق ابن الأثير مع الزمخشري في حد الكنية، حيث يقول الزمخشري : "الكنية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له "⁴.

وأبان الزركشي عن دلالة الكنية عند أهل البيان ، فقال : "وهي عند أهل البيان أن يرد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء على معنى هو تاليه و رديفة في الوجود فيؤمن به إليه ويجعله دليلا عليه فيدل على المراد من طريق أولى مثال قولهم : "طويل النجاد كثير الرماد "⁵.

وعدد الزركشي أسباب الكنية ، والمقصود بالأسباب الأغراض البلاغية المستفادة من الكنية ، فنذكر عشرة أسباب لها ، تسعة كان للزركشي فيها مبدأ التأسيس والتأصيل ، والعاشر استنبطه الزمخشري .

¹ - دلائل الإعجاز ، ص 53

² - البرهان ، ج2 ص 186

³ - ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 248

⁴ - مصطفى الصاوي الجويني ، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه ، دار المعارف ، مصر (د ط) ، 1959 ، ص 249

⁵ - البرهان ، ج 2 ، ص 186

كما أشار إلى ذلك الزركشي حيث يقول : "وهذه الكناية استنبطها الزمخشري " وخرج عليها قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى " ؛ فإنه كناية عن المالك لأن الاس-تواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك ، فجعلوه كناية عنه"¹.

أسباب الكناية عند الزركشي :

- 1- التنبيه على عظم القدرة ، كقوله تعالى : ² "وَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كُنَاةٍ عَنْ آدَمَ .
- 2- فطنة المخاطب : كقوله تعالى في قصة داود : ³ "صَمَانٌ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَضْرُكُنِي دَاوُدُ بِخَصْمٍ عَلَى لِسَانٍ مُلْكِيٍّ تَعْرِيفِيًّا .
- 3- ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه : كقوله تعالى : ⁴ "إِنْ هَذَا إِلَّا حَيُّ لَهْ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٍ وَاحِدَةٍ"⁴ فكنى بالمرأة عن النعجة كعادة العرب ، أنها تكنى به-ا عن المرأة .
- 4- أن يفحش ذكره في السمع ، فكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع : كقوله تعالى في جواب قوم هود : ⁵ "إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ"⁵ ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"⁶ فكنى عن تكذيبهم بأحسن .
- ومنه قوله تعالى : ⁷ "وَلَا تَأْوِئُوا دُوهْنَ سِرًّا"⁷ فكنى عن الجماع بالسر .
- ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس ، واللامسة ، والرَفَث ، وال-دخول ، والنكاح ، ونحو من ذلك ، قال تعالى : ⁸ "قَالَآنَ بَايَسْرُوهْنَ"⁸ ، فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشريين .

¹ - البرهان ، ج 2 ، ص 192

² - الأعراف ، الآية : 189

³ - ص الآية : 22

⁴ - ص ، الآية : 23

⁵ - الأعراف ، الآية : 66

⁶ - الأعراف ، الآية : 67

⁷ - البقرة ، الآية : 235

⁸ - البقرة ، الآية : 187

وقوله تعالى : أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ¹ إذ لا يخلو الجماع عن الملامسة ... الخ
وأشار إلى قوله تعالى : وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْهَا ² أي لفروجهم ، فكنى عنها -
بالجلود ، على ما ذكره المفسرون.

فإن قيل : فقد قال ا تعالى : وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا ³ فصريح بالفرج؟
وجه الزركشي نقدا لمن اعتقد أن ا عز وجل في هذه الآية صرح بلفظة الفرج الحقيقي
، ولذا ك يقول الزركشي: "أخطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي ، وإنما هو من لطيف الكنايات
وأحسنها ، وهي كناية عن فرج القميص ، أي لم يعلق ثوبها ريبة ، فهي طاهرة الأثواب ،
وفروج القميص أربعة : الكمان والأعلى والأسفل ، وليس المراد غير هذا ... ⁴ .

5- تحسين اللفظ :

كقوله تعالى : كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ⁵ ، فإن العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر
النساء بالببيض.
وقوله تعالى : وَثِيَابُكَ فَطْهَرِ ⁶
قال عنترة :

فشككت بالرمح الطويل ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم ⁷

¹ - النساء ، الآية : 43

² - فصلت ، الآية : 21

³ - الأنبياء ، الآية : 91

⁴ - البرهان ، ج 2 ، ص 189

⁵ - الصافات ، الآية : 49

⁶ - المدثر ، الآية : 04

⁷ - عنترة ، الديوان ، تقديم وشرح وتعليق ، د ، محمد حمود ، دار الفكر اللبناني ، ط 1 ، 1996 م ، ص 148

6- قصد البلاغة :

كقوله تعالى : "أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين"¹، فإنه سبحانه كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين والشاغل عن النظر في الأمور ، ودقيق المعاني ، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك ؛ والمراد نفي ذلك - أعنى الأنوثة - عن الملائكة ، وكونهم بنات ا ؛ تعالى ا عن ذلك.

7- قصد المبالغة في التشنيع :

نحو قوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم ا : وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ²، فإن الغل كناية عن البخل ، كقوله تعالى : وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ³؛ لأن جماعه كانوا متمولين ، فكذبوا النبي صلى ا عليه وسلم ، فكف ا عنهم ما أعطاهم ، وهـو بسبب نزولها.

أما قوله تعالى : عَظُّ أَيْدِيهِمْ⁴ فيحمل على المجاز على وجه اللفظ ؛ ولهذا قيل : إنهم م أبخل خلق ا .

وقوله تعالى : بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ⁵ كناية عن كرمه ، وثنى اليد - وإن أوفرت - في أول الآية - ليكون أبلغ في السخاء والجود.

8- التنبيه على مصيره : كقوله تعالى : تَبَّتْ يُدَا أَيْمِي لَهُ⁶ أي جهنم - ي م - صيره إلى اللهب .

وأتبعه بقوله تعالى : حَمَالَةَ الْحَطَبِ⁷ أي نمامة ، ومصيرها إلى أن تكون حطبا لجهنم .

¹ - الزخرف ، الآية : 18² - المائدة ، الآية : 64³ - افسراء ، الآية : 29⁴ - المائدة ، الآية : 64⁵ - المائدة ، الآية : 64⁶ - المسد ، الآية : 01⁷ - المسد ، الآية : 04

9- قصد الاختصار : كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ "فعل" كقوله تعالى : لِيُثِّسَ مَا

كَانُوا يَفْعَلُونَ¹

وقوله تعالى : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَنْفَعُوا² أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله وإن تأتوا .

10- أن يعتمد إلى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر ، فيأخذ الخلاصة منها .

من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز ، فتعبر بها عن مقصودك ، وهــ ذه

الكناية استنبطها الزمخشري ، وخرج عليها قوله تعالى : الرحمن على العرش

استوى³ ، فإنه كناية عن الملك ؛ لأن الاستواء على السرير لا يصل إلا مع

الملك ، فجعلوه كناية عنه .

وكقوله تعالى : والأرض جميعا قبضته يوم القيامة⁴ إذ هـ كناية عـ ن عظمتـ هـ

وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين : حقيقة ومجاز .

وأشار الزركشي إلى أن الإمام فخر الدين الرازي اعترض على ذاك ، ورأى بأنهـا

تفتح باب تأويلات الباطنية ، فلهـم أن يقولوا : المـ راد مـ ن قولـ هـ : فَـاخْلَعْ

نَعْلَيْكَ⁵ الاستغراق في الخدمة من غير الذهاب إلى نعل وخلعه ، وكذا نظائره

وهذا مردود ، لأن الكناية إنما يصار إليها عند عدم إجراء اللفظ على ظاهره كما سبق

من الأمثلة ، بخلاف خلع النعلين ونحوه⁶ .

¹ - المائدة ، الآية 79

² - البقرة ، الآية : 24

³ - طه ، الآية : 05

⁴ - الزمر ، الآية : 67

⁵ - طه ، الآية : 12

⁶ - البرهان ، ج 2 ، ص 192

التعريض : التعريض لغة : ضد التصريح

وعرفه العلوي بقوله: "التعريض هو المعنى الحاصل عند اللفظ لابه"¹.

والتعريض ، أو التلويح كما أشار الزركشي : " هو الدلالة على المعنى مـ ن طريقـ ق المفهوم ، وسمي تعريضا لأن المعنى يفهم من عرض اللفظ ، أي من جانيه . ويسمى التلويح لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريد² .

نحو قوله تعالى : **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ** **إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ** ³ **لَأَنْ غَرَضَهُ** .
بقوله : **فَاسْأَلُوهُمْ** ، على سبيل الاستهزاء واقامة الحجة عليهم بما عرض لهم به .
من عجز كبير الأصنام عن الفعل ، مستدلا على ذلك بعدم إجابتهم إذا سئلوا ، ولم يرد
بقوله : **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** ⁴ نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، فدلالة هــ ذا
الكلام عجز كبير الأصنام عن الفعل بطريق الحقيقة .

ومن اقسامه أن يخاطب الشخص والمراد غيره ، سواء كان الخطاب مع نفسه أو مع غيره ، نحو قوله تعالى : **لِيُنْزِلَ عَلَيْكَ رَبُّكَ الرُّسُلَ** ⁵.

ونبه الزركشي إلى أن هذه الآية الكريمة تتضمن أموراً ثلاثة وهي :

1- مخاطبة النبي (ص) والمراد غيره .

2- إخراج المحال عليه في صورة المشكوك والمراد غيره .

3- استعمال المستقبل بصيغة الماضى .

وقد يكون هناك أمر رابع ، وهو "أن " الشرطية قد لايراد بها إلا مجرد الملازمة التي هي لازمة الشرط والجزاء ، مع العلم باستحالة الشرط ،أو وجوبه ،أو وقوعه وعلى هذا

¹ - العلوي ، الطراز ، ج 1 ، ص 194

2 - البرهان ، ج 2 ، ص 193

3 - الأنبياء ، الآية : 63

4 - الأنساء ، الآية 63

5- الزمر ، الآية 65

يحمل قول من لم ير من المفسرين حمل الخطاب على غيره ؛ إذ لا يلزم من فرض أمر - لا بد منه - صحة وقوعه ؛ بل يكون في الممكن والواجب ، والمحال ¹ .
ومنه قوله تعالى : **إِنْ يَرِدَْنَّ الرَّحْمَنُ يَضُرُّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ** **إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ² **وَأَذَاكَ قِيلَ : آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ** ³ **دُونَ "رَبِّي" وَ "اتَّبِعْ-ه" ، "فَاسْمَعُوهُ" .**

ويعقب الزركشي بقوله : **"ووجه حسنه ظاهر ؛ لأنه يتضمن إعلام السامع على صـورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر ، كأنك لم تعنه ، وهو أعلى في محاسن الأخلاق وأقرب للقبول ، وأدعى للتواضع ، والكلام ممن هو رب العالمين نزل به بلغتهم ، وتعليمـا للذين يعقلون"** ⁴ .

ومنه قوله تعالى : **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ⁵ ، والمراد : **إننا على هدى وأنتم في ضلال ؛ وإنما لم يصرح به لئلا تصير هنا نكتة ، هو أنه خواف في هــذا الخطاب بين "على" و "في" بدخول "على" على الحق ، و "في" على الباطل لأن صاحب الحق ، كأنه على فرس جواد يركض به ، حيث أراد ، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام لا يدري أين يتوجه** ⁶ .

وقال السكاكي : **"ويسمى هذا النوع الخطاب المنصف ؛ أي لأنه يوجب أن ينصف المخطوب إذا رجع إلى نفسه استدراجا لاستدراج الخصم إلى الإدعان والتسليم ، وهـو شبهه بالجدل ، لأنه تصرف في المغالطات الخطابية"** ⁷ .

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 194² - يس ، الآية 22³ - يس ، الآية 22⁴ - البرهان ، ج 2 ، ص 194⁵ - سبأ ، الآية : 24⁶ - البرهان ، ج 2 ، ص 195⁷ - المصدر نفسه ، ص ن

وقوله تعالى : إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولَؤَا الْأَلْبَابِ ¹ ، القصد التعريض ، وأنهم لغلبة هواهم فـي حكم من ليس له عقل.

التوجيه:

وعرفه الزركشي بقوله : " وهو ما احتمل معنيين ويؤتى به عند فطنة المخاطب " ²

نحو قوله تعالى حكاية عن أخت موسى عليه السلام : هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ³

فإن الضمير في "له" "يحتمل أن يكون لموسى ، وأن يكون لفرعـون - بهـ- ذهـالـصيغة تخلصت أخت موسى من قولهم : "إذك عرفته " ، ولم يكشف أمرها ، وعلى هذا علق ابن جريح قائلا : "وبهذا تخلصت أخت موسى من قـولهم : "إذك عرفتهـه " فقالت : أردت "ناصحون للملك" ⁴

وجعل السكاكي التوجيه من مشكلات القرآن .

ونظيره جواب ابن الجوزي لمن قال له : من كان أفضل عند النبي (ص) ؟ أبو بكر أم ، علي ؟ فقال : من كانت ابنته تحته .

والتوجيه من الأساليب البليغة التي يتجلى فيها العدول في المعاني الحقيقية إلى المعـاني المجازية ، بلمحات ذكية ، وإشارات خفية ، لما فيه من جمال ودهاء.

الفرق بين الكناية والتعريض :

حاول علماء البلاغة التفريق بين الكناية والتعريض ؛ لأنهم رأوا تشابها كبيرا بينهما فمن الفروق ما يلي :

¹ - الرعد ، الآية :19

² - البرهان ، ج2 ، ص 195

³ - القصص ، الآية :12

⁴ - البرهان ، ج2 ، ص 195

- 1- الكناية لها علاقة متينة بالمجاز، أما التعريض فلا علاقة له بالمجاز ؛ لأنه لالفظ له مستعمل فيه ، بل يفهم عند ذكر اللفظ المستعمل في غيره ، لباللفظ نفسه .
- 2- الكناية يختص بها اللفظ المستعمل فيها ، أما التعريض ، فلأنه لالفظ له ، فيتولد من كل أسلوب صالح له ، فيكون مع الحقيقة ، ومع المجاز ، ومع الكناية نفسها .
- 3- الكناية تكون باللفظ المفرد ، وتكون بالتركيب ، أما التعريض فلا يكون إلا من التراكيب اللغوية التامة.
- 4- الكناية تستعمل في جميع المعاني زما ومدحا ؛ فهي غير مقصورة على مدح خاص من المعاني ، أما التعريض فيستعمل في معاني الذم والقدح ، وفي مدح الممدوح ، لكن له مزيد اختصاص بمعاني الذم كما تنبئ الصور الواردة منه في الكتاب والسنة ، وفي التراث العربي شعره ونثره .

بلاغة الكناية :

امتازت الكناية عن غيرها من الصور البيانية الأخرى بسمه بارزة للبيان والمتمثلة في أن الكناية تقرن الدعوى (السبب) دائما - بالدليل والبرهان . كما أنها تسعف المتكلم عن الافصاح والادلاء بمعاني مستهجنة ، او ذات خصوصية حساسة ، ومثال ذلك كثير في القرآن الكريم ، خلاصة الحديث عن المعاشرة الزوجية . نحو : (النكاح ، الرّفث ، الوطر ، التغشية ، المس ، اللمس ، القرب ، الاتيان ، والمباشرة ...) إلخ

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول : أن الكناية وسيلة من وسائل الـ ذوق والتـ رف ، ولا يقوم فن بياني آخر بما تقوم هي به .

الجديد عند الزركشي في مبحث الكناية :

المتأمل في بحث الكناية لدى الزركشي تستوقفه بعض الجوانب التأسيسية والتجديدية .
نذكر منها :

1- أسس الزركشي لتسعة أسباب في مبحث الكناية ، وأشار إلى أن السبب العاشر - ر استنبطه الزمخشري .

2- الرد على دعوى من قال : أن العرب لا تكنى إلا عما يقبح ويشنع نكـ ره ، يـ قـ ول الزركشي : "وأما دعوى كون العرب لا تكنى إلا عما يقبح ذكره ، فغلط ، فكنـ وا عن القلب بالثوب"¹
كما في قوله تعالى : **وَشِيبَاكَ قَطِهرَ**² .

3- الرد على ما ذهب إليه الزمخشري فيما يتعلق بقوله تعالى : **ولا ينظر إليهم**³ على أنه مجاز عن الاستهانة بهم ، والسخط عليهم ، رد الزركشي بقوله : وهـ ذا إنباء على مذهبه الفاسد في نفي الرؤية ؛ وفيه تصريح بأن الكناية مجـ از ، وبـ ه صرح في قوله تعالى : **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء**⁴ .

¹ - البرهان ، ج2 - ص 193

² - المدثر ، الآية : 04

³ - آل عمران ، الآية : 77

⁴ - البقرة ، الآية : 235

4- الكناية لا بد لها من قرينة ، وأشار الزركشي إلى أن عبد القاهر الجرجاني يـرى أن الكناية لا بد لها من قرينة .

وعليه لم يتكئ الزركشي في مبحث الكناية على التعريفات والحدود والتبويب والتقسيم وإنما ركز على الجاذب التطبيقي ممثلاً في إبراز الغاية التي من أجلها يعبر بالكناية . ومن ثم يبدو أن الزركشي يؤمن إيماناً قاطعاً وجازماً أن الجاذب التطبيقي أجـدى فـي التدريس ، وهو الأهم ، وعليه المعول .

ومن هنا تمكن الزركشي من ملامسة الجوانب الجمالية الفنية فيها وأوضحـ جـمـكـامن الاعجاز في أي الذكر الحكيم من خلال تعرضه لمباحث البيان عامة .
وصدق الجاحظ حيث يقول : " رب كناية تربى على إفصاح "¹.

جماع القول :

ومن هنا يمكن القول : أن التصوير البياني في الأساليب القرآنية يلامـس المعاني ، والحروف ، والكلمات ، بل يتعداه إلى ملامسة شغاف القلوب والتـأثير فـي النفوس ، ولذلك كانت الصور البيانية بالوفرة والكثرة والتنوع مع تأديتها للأغـراض التي توخاها القرآن الكريم ، وأسفرت عن جمال وروعة ما بعدهما جمال وروعة ، ممازادها سحراً على سحر ، وجمالاً على جمال وفوق هـذا وذاك ، فهـي مظهـر الاعجاز البلاغي والبياني في القرآن الكريم .

¹ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، تج حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، (د ط) ، 1932 ، ص 88

الفصل الرابع

مباحث علم البديع عند الزركشي

المبحث الأول : المحسنات المعنوية

- التورية.
- التفريق بين التورية والاستخدام.
- التجريد.
- الطباق.
- المفايلة.
- إجماع الخصم بالحجة.
- التقسيم.
- التعديد.
- المبالغة.
- الاعتراض.
- الاحتراس.
- التذليل.
- التتميم.
- المدرج.
- الاستطراد.
- الإلغاز.
- الالتفات.

المبحث الثاني : المحسنات اللفظية

- التجنيس (الجناس)
- رد العجز على المصدر
- خلاصة

مباحث علم البديع عند الزركشي :

توطئه:

مصطلح البديع في اللغة يدل على الابتكار والتجديد والاختراع ، وعليه جاء قول الحق تبارك وتعالى : **بديع السماوات والأرض** ¹ يعني مبدعها على غير مثال سابق ، ومنه الإبداع في الفنون والآداب ، وكل فن أو أدب مبدع معناه أن صاحبه أتى به على وجه خال من المحاكاة والتقليد ، فهو مبدع ، وعمله مبدع .

والبديع في عرف البلاغيين ، فقد استقر منذ وضع السكاكي كتابه المفتاح بأنه : "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة" ² . وعلى هذا ، فالمناسبة بين المعنى اللغوي لكلمة البديع ، والمعنى الإصطلاحي بينة واضحة ، لأن الشئ المبدع المبتكر لا يخلو من الروعة والجمال ، والانبهار ، والطرافة والحسن والبهاء.

هذا ، وقد جعل السكاكي منزلة البديع بعد منزلتي علمي المعاني والبيان ، وسار على نهجه المتأخرون من علماء البلاغة ، وجعله - كذلك - خارجا من دائرة البلاغة الأصلية لأن وظيفته هي التحسين ، وهو أمر زائد عن أصل الدلالة . وعلى الرغم من ذلك فالبديع له مكانته بين علمي المعاني والبيان ، ولا يمكن إغفاله ، لأن له من الجمال والفن ماله ، وهو متم لأصول البلاغة العربية .

وقد قسمه علماء البلاغة إلى قسمين وهما :

أ - **المحسنات المعنوية** : وهي ما كان التحسين فيها راجعا إلى المعنى . كالطباق مثلا.

ب - **المحسنات اللفظية** : وهي ما كان التحسين فيها راجعا إلى اللفظ ، كالجناس مثلا.

وعلى هذه القسمة استقر علم البديع عندهم .

¹ - البقرة ، الآية : 117

² - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 383 ، وينظر ، ابن عبد الله شعيب أحمد ، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية ، ابن خلدون للنشر والتوزيع ، الجزائر / (د ط) ، ص 360

المحسنات المعنوية :**التورية**

التورية لغة : الإخفاء والستر.

قال الحق تبارك وتعالى : **قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ**¹
وقال عز من قائل حكاية عن ابن آدم: **قَالَ يَاوَيْلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونُ مِثْلَ هَذَا**
الْغُرَابِ قُأْوَارِي سَوْأَةً أَخِي²

وعرف جمهور البلاغيين التورية : " بأنها لفظ له معنيان ، أحدهما قريب ظاهر وهو غير مراد ، وثانيها بعيد خفي وهو المراد"³.

فالتورية إذا تكون بلفظ واحد يحمل معنيين ، معنى قريب غير مقصود، ومعنى بعيد مقصود ، وتكثر التورية في ظل الدول المستبدّة التي يكثر فيها الجور والحيث .

وتتألف التورية من ثلاثة عناصر:

- 1- اللفظ الحامل للمعنيين.
 - 2- المعنى القريب، ويسمى المورى به ، يعني الذي حصل به الخفاء.
 - 3- المعنى البعيد ، ويسمى المورى عنه ، يعني الذي وقع عليه الخفاء.
- أقسامها : قسمها بعض الباحثين إلى قسمين :**

أ- التورية المجردة.

ب- التورية المرشحة.

¹ - الأعراف ، الآية :26

² - المائدة ، الآية :31

³ - د. عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، عبده غريب ، القاهرة ، (د ط)
(د ت) ، ص 72

وقسمها لفيء آخر إلى أربعة أقسام :

- أ- **التورية المجردة** : وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به ،
ولامن لوازم المورى عنه.
- ب- **التورية المرشحة** : وهي التي ذكر فيها لازم من لوازم المورى به.
- ت- **التورية المبينة** : وهي ما ذكر فيها لازم من لوازم المورى عنه.
- ث- **التورية المهيأة** : وهي تكون بلفظين ، لولا كل منهما لما تهيأت التورية
في الآخر ، ولا فطن لوجودها أحد.

التورية عند الزركشي:

ونذكر الزركشي أنها تسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه . ويعرفها بقوله: "وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين : قريب وبعيد ، ويريد المعنى البعيد، يوهم السامع أنه أراد القريب"¹.

ثم يستدل عليها بشواهد من القرآن الكريم ، وأشار الإمام الزركشي إلى قسم واحد من أقسام التورية ، وهو التورية المرشحة وذلك حين عقب على الآية الكريمة من قوله تعالى : اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ².

فقال الزركشي : "فإن لفظة "ربك" رشحت لفظة "ربه" ، لأن يكون تورية، إذ يحتمل أنه أراد بها الإله سبحانه والملك، فلو اقتصر على قوله : "فأنساه الشيطان ذكر ربه" ولم تدل لفظة ربه " إلا على الإله، فلما تقدمت لفظة "ربك" احتمل المعنيين.

كما ذكر الفروق بين التورية والاستخدام حيث يرى أن:

- التورية استعمال المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر.
- أما في الاستخدام يستعملان معا بقرينتين.

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 273

² - يوسف : الآية 42

أي بمعنى إذا استعمل المعنيين معا ، فذاك استخدام ، وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطنا فهو التورية.

واستدل على الاستخدام بقوله تعالى: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ¹. فإن لفظة كتاب يراد بها الأمد المحتوم والمكتوب وقد توسطت بين لفظتين، فاستخدمت أحد مفهوميها ، وهو الأمد ، واستخدمت " يمحو " المفهوم الآخر ، وهو المكتوب . واستدل أيضا - بقوله تعالى: لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْباَ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ²

فإن الصلاة تحتل إرادة نفس الصلاة ، وتحتل إرادة موضعها فقوله: "حتى تعلموا " استخدمت إرادة نفس الصلاة ، وقوله: "إلا عابري سبيل " استخدمت إرادة موضعها³.

الغاية من استخدام التورية:

لجأ الأدباء والمبدعون إلى استخدام أسلوب التورية لتحقيق غايات وأهداف كثيرة من أهمها :

- 1- أن التورية كانت سلاحا أدبيا أشهره الأدباء في عصور الظلم والاستبداد والقهر السياسي من أجل التعبير عن أفكارهم ، وإصلاح أوضاعهم .
- 2- التورية تكتسي طابع الملحة والطرفة ، الذي من شأنه أن يروح عن النفوس ويرفع عنها الغبن والجور والحيف .
- 3- إثراء اللغة العربية بالألفاظ والمعاني .

الفرق بين الاستخدام والتورية:

- التورية لها معنيان ، معنى قريب، ومعنى بعيد ، لكن المعنى المستهدف هو البعيد . أما الاستخدام فله معنيان ، وكلاهما مستهدف .

¹ - الرعد الآية 38، 39

² - النساء الآية 43

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 274

- المعنيان في التورية يستفادان من لفظ واحد ، أما في الاستخدام ، فالمعنيان يستفادان من اللفظ والضمير ، أي أن اللفظ يعطي معنى ، والضمير يعطي معنى آخر.

جماليات الاستخدام:

يطبع الاستخدام الأساليب التعبيرية بسمات جمالية ، تجعله في أعلى قمم الإجابة والإتيان ، كما يقع الاستخدام موقعاً حسناً على الأذواق الرفيعة ، ومن ثم ألفينا للاستخدام جماليات فنية ومعنوية كثيرة نحوصلها في النقاط الآتية :

1- إثراء اللغة العربية ، لأن اللفظ يحقق معنى ، وضميره يحقق آخر.

2- ابتكار معاني جديدة.

3- الاستخدام يحقق الإيجاز في الكلام . ولعل الإيجاز سمة من أهم سمات البلاغة

العربية ، ولذلك نجد من العلماء من عرف البلاغة بالإيجاز.

نخلص إلى أن التورية باب عظيم من أبواب البيان العربي ، وهي في أعلى درجات الأساليب التعبيرية الفنية ، ولا يصل إلى معرفتها ، وسبر جمالياتها، إلا من أوتي ذوقاً رفيعاً ، ومعرفة ودراية بأساليب العرب .

عدها العلماء من الأساليب المتميزة بالدقة واللاطفة ، وأنها أكثر الأساليب إعانة على تفهم المتشابهات وتأويلاتها ، ولذلك يقول الزمخشري : " لا ترى باباً في البيان أدق ولا أطف من التورية ، ولا أنفع ، ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين " ¹.

وقال السكاكي : "وأكثر متشابهات القرآن من التورية " ².

¹ - السيوطي ، جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح ، علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، الأردن ، 1973، (د ط)،

ج1، ص374

² - الحموي ، ابن حجة ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، شرح عصام شعيثو ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1987، (د ط) ، ج2، ص 40

التجريد :

يعرفه القزويني بقوله : التجريد هو " أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها فيه " ¹.

ويتم التجريد عن طريق وسائل لغوية معينة وهي :

1- التجريد (بالباء)

التجريد (بمن)

التجريد ب (في)

2- مخاطبة الإنسان نفسه ، وكأنه ينتزع منها شخصا آخر يحاوره ويخاطبه. ومصطلح التجريد بدلالته الفنية، وطرائقه، فقد اعتبر الدارسون والباحثون أبا علي الفارسي (ت 377هـ -) رائده ، ومرجع هذا باب عقده تلميذه ابن جني (ت 392هـ -) في كتابه الخصائص ، يقول فيه : "اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريق حسن ورأيت أبا علي - رحمه الله - به مغرما معجبا ، ولم يفرد له بابا ، لكنه وسمه في بعض ألفاظه بهذه السمة ، فاستقريتها منه ... ، ومعناه أن العرب قد تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر ، كأنه حقيقته ومحصوله ، وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عفدت عليه معانيها ، وذلك نحو قولهم : لئن لقيت زيدا لتلقين منه الأسد ، ولئن سألته لتسألن منه البحر ، فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسدا وبحرا ، وهو عينه هو الأسد والبحر ، لا أن هناك شيئا مفضلا عنه وممتازا منه . وعلى هذا يخاطب الإنسان منهم نفسه ، حتى كأنها تقابله ، أو تخاطبه ومنه قول الأعشى.

"وهل تطيق وداعا أيها الرجل" ² .

وهو الرجل نفسه لا غير".

¹ - ينظر ، بغية الإيضاح ، ج 4/ ص 44

² - أبو الفتح عثمان بن حني ، الخصائص ، تح الشيخ محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط 2 ، 1952 ، ج 2 ، ص 473، 474

التجريد عند الزركشي :

عرفه بقوله : "أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر ، كأنه مباين له ، فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك"¹.

كقوله تعالى: إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ².

فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات ، وهو عينه ونفسه تلك الآيات³.

وقوله تعالى: لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ⁴. وليس المعنى أن الجنة فيها دار خلد وغير دار خلد بل كلها دار خلد ، فكأنك لما قلت : في الجنة دار الخلد اعتقدت أن الجنة منطوية على دار نعيم ودار أكل وشرب وخلد ، فجردت منها هذا الواحد . كقوله : وفي ا إن لم تنصفوا حكم عدل ⁵.

وقرأ علي وابن عباس: يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي آلُ يَعْقُوبَ ⁶ ، قال ابن حني : هذا هو التجريد وذلك أنه يريد : وهب لي من لذك وليا يرثني منه وارث من آل يعقوب ، وهو الوارث نفسه ، فكأنه جرد منه وارثا⁷.

من جماليات التجريد:

تبرز مواطن الجمال ، في أسلوب التجريد من خلال سمة المبالغة التي يضيفها

على المنتزع منه حتى يصل إلى درجة الفيوضات بهذه الصفة على غيره.

التجريد - أيضا - يعمل على شد الانتباه ، وإثارة الخيال ، وتنشيط الأذهان ، لما ينضج به من روائع التصوير ، وبدائع التنويع في الأساليب ويتجلى ذلك في أن التجريد يفيد:

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 274

² - آل عمران ، الآية : 190

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 274

⁴ - فصلت ، الآية : 28

⁵ - البرهان ، ج 3 ، ص 275

⁶ - مريم ، الآية : 06

⁷ - البرهان ، ج 3 ، ص 275

- 1 - المبالغة
- 2 - الالتفات
- 3 - الكناية
- 4 - التشبيه
- 5 - التوسع في الكلام .
- 6 - يمكن المتكلم من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه .
ولعل هذا التلون والتنوع أكسب التجريد مذاقا خاصا ، وجمالا متميزا ، وبهاء ورونقا.

الطباق :

الطباق وسيلة من الوسائل الإيضاحية الجيدة ، يعرض بها الأديب والمبدع الأشياء أو الصفات ، ثم يعرض ما يقابلها في المعنى ، أي يعرض الشئ وضده و "ما من ريب في أن الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام ، جمالا ويزيده بهاء ورونقا ، فالضد - كما قالوا - يظهر حسنه الضد"¹.

والطباق من أعظم المحسنات البديعية المعنوية أثرا في الأسلوب ، لأنه يتجاوز الظواهر إلى البواطن ، والمكشوف إلى المحجوب ، ولا يقف عند الألفاظ ، بل يتجاوزها إلى المعاني .

وأبان علماء البلاغة عن سر بلاغة الطباق والمقابلة الكامن في تداعي المعاني عن طريق التضاد والتقابل وما يحدثه ذلك في ذهن المتلقين من آثار تحويلهم من عملية التلقي إلى عملية مرسل للأدب ، و هنا يكمن : "أن سر بلاغة كل من المطابقة والمقابلة إنما هو تداعي المعاني ، فالضد أو المقابل يجلب إلى الذهن ضده أو مقابله ... فإذا كتب الأديب

¹ - د. إبراهيم بن عبد الرحمان الغنيم ، الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، الشركة العربية للنشر والتوزيع المهندسين ، القاهرة ص 268

أو نطق ، أحد المتساندين وقع مقابله في ذهن متلقي الأدب ، قبل أن يقرأه ، أو يسمعه ، وبهذا يتحول متلقي الأدب إلى مرسل له ¹.

والطباق في أبسط تعاريفه هو الجمع بين شيئين متضادين ، أو كما عرفه علماء البلاغة بقولهم : هو " الجمع بين الشيء وضده في الكلام، أو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة" ²

وبالبحث - ولا ريب - يعثر في كتب البلاغة العربية على مصطلحات شتى تطلق على مصطلح الطباق ، وتتردد كثيرا على الألسن ، وهي :

- المطابقة .
- التطبيق .
- التضاد.
- مجاورة الأضداد.

وكلها جاءت لتدل على الجمع بين الشيء وضده . وهذا ما يعرف في علم البديع بالطباق. فسم علماء البلاغة الطباق إلى أقسام وهي :

- 1- طباق الإيجاب.
- 2- طباق السلب.
- 3- الطباق الخفي.

1- فطباق الإيجاب : هو ما صرح فيه بإظهار الضدين ، أو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا .

نحو قوله تعالى: وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ ³.

¹ - عبده عبد العزيز قفيلة البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي، ص 298

² - د.إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، ص 268

³ - الكهف ، الآية: 18

ونحو قوله تعالى: **قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ**¹.

ونحو قوله تعالى: **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**².

ونحو قوله تعالى: **وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَإِذْنُ اللَّهِ**³.

2- **طباق السلب** : وهو ما لم يصرح فيه بإظهار الضدين ، أو هو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً .

نحو قوله تعالى: **وَلَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ**⁴.

ونحو قوله تعالى: **فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ**⁵.

3- **الطباق الخفي** : نحو قوله تعالى: **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**⁶. فالطباق هنا ثم جمعا بين "أشداء ورحماء" فلفظة "رحماء" ليست ضدًا في المعنى "لأشداء". لكن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة ، لأن من رحم لان قلبه ورق ، ومن هذا الجانب الخفي صح الطباق.

الطباق عند الزركشي :

وعرفه بقوله : "وهو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل ، كالبياض

والسواد، والليل والنهار ، وهو قسمان لفظي ومعنوي.

كقوله تعالى: **وَتَحْسِبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُؤُودٌ**⁷

¹ - البقرة ، الآية : 257

² - البقرة ، الآية : 285

³ - آل عمران ، الآية : 48

⁴ - الفرقان ، الآية : 3

⁵ - المائدة ، الآية : 44

⁶ - الفتح ، الآية : 29

⁷ - الكهف ، الآية : 18

ونذكر الزركشي قوله تعالى: **فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا** ¹ وعده من الطباق ، ولكن الزركشي أخطأ في ذلك ، فهذه الآية الكريمة من قبيل المقابلة ، لأنه قابل الضحك بالبكاء ، وقابل قليل بكثير .

وقوله تعالى: **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا** ² وقوله تعالى: **تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ** ³.

ثم إذا شرط فيهما شرط وجب أن يشترط في ضديهما ضد ذلك الشرط ، كقوله تعالى: **فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ** ⁴.

ويوضح الزركشي الطباق في قوله تعالى: "بأنه لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والتقى والتصديق ، وجعل ضده ، وهو التعسير مشتركا بين أضرار تلك الأمور ، وهي المنع والاستغناء والتكذيب" ⁵.

ومنه قوله تعالى: **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ دُونُهَا دَانِيَةٌ** ⁶. قابل بين العلو والدنو.

ومن الطباق المعنوي : قوله تعالى : **إِن أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ** قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ⁷. معناه : ربنا يعلم إنا لصادقون.

ومنه ما يسمى **الطباق الخفي** ، كقوله تعالى: **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** ⁸. ووضحه الزركشي بقوله: "لأن الغرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء في النار والنار ، قال ابن منقذ : وهي أخفى مطابقة في القرآن" ⁹.

¹ - التوبة ، الآية 82

² - النجم ، الأيتان ، 43، 44

³ - آل عمران ، الآية 26

⁴ - الليل ، الأيتان 5، 6

⁵ - البرهان ، ج 3 ، ص 279

⁶ - الحاقة ، الأيتان 22، 23

⁷ - يس ، الأيتان : 15، 16

⁸ - نوح ، الآية 25

⁹ - ينظر البرهان ، ج 3 ، ص 280

ومنه قوله تعالى: وَلَكُمْ فِي الْفِصَاصِ حَيَاةٌ¹، لأن معنى الفصاص القتل، فصار القتل سبب الحياة.

وقال ابن المعتز معقيا على ما ورد في هذه الآية الكريمة من طباق يقوله: " وهذا من أملح الطباق وأخفاه"²

ومما يؤخذ به الزركشي في مبحث الطباق أنه استدل بكوكبة من الآيات القرآنية لأنواع الطباق، وجاء بشواهد كانت تمثل قمة الجمال والروعة والبيان، إلا أنه تركها غفلا من التوضيح، والإفصاح عن مواطن الجمال فيها.

من ذلك مثلا قوله تعالى: تُؤْتِي الْمُلْكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكُ مِنْ تَشَاءُ³ لاشك وأن المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أنها تصور القدرة الإلهية في أكمل صورها وأوسع معانيها، وبيان سلطانه عز وجل في أعم وأشمل مظاهره، ولا يتم ذلك كله إلا بالجمع بين الضدين والحكم بأنه سبحانه قادر على الشئ وضده معا: قادر على الإيتاء، كما أنه قادر على النزع، وقادر على الإعزاز، كما أنه قادر على الإذلال، تلك هي القدرة الكاملة، والسلطان الشامل.

والطباق الخفي يعد من قبيل الإعجاز البلاغي، لأن هذا النوع من الطباقات مـدعاة إلى التدبر والتأمل والغوص في أعماق السياق للوصول إلى أبعاده الجمالية الفنية.

وتكلم الزركشي على التدبيج وهو نوع من الطباق تجتمع فيه الألوان المتقابلة والسـد دل عليه بقوله تعالى: مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا⁴، فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر، وهذا أيضا فيه تدبيج بديعي⁵.

¹ - البقرة، الآية 179

² - ينظر، البرهان، ج3، ص280

³ - آل عمران، الآية: 26

⁴ - يس، الآية: 80

⁵ - ينظر، البرهان، ج3، ص280

المقابلة

حقيقتها: هي ذكر الشئ مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها وهي من باب المفاعلة كالمقابلة والمضاربة والفرق بينها وبين الطباق في وجهين¹.

الفرق بينها وبين الطباق :

- 1- أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالباً والمقابلة لا أكثر من ذلك .
- 2- لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغيرها وإذلك عد الكثر - م - ن علماء البلاغة الطباق أحد أنواع المقابلة . وعلى رأسهم ابن الأثير.

أنواعها :

وهي ثلاثة ، نظيري ، نقيضي ، وخلافي .

والخلافي أشدها في التشكيك وألزمها بالتأويل ، والنقيضي ثانيها ، والنظيري ثالثها . ثم استشهد لكل نوع من هذه الأنواع .

- 1- **مقابلة النظيرين** مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى: لا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ² لأنهما جميعهما من باب الرقاد المقابل باليقظة.

- 2- **مقابلة الخلافين**: مقابلة الشر بالرشد في قوله تعالى: وَأَنَا لَا مَدْرِي أَشَرُّ أَمْ لَكُمْ³ .

فقابل الشر بالرشد وهما خلافيان وضد الرشده الغي وضد الشر الخير .

• وقد قسم بعضهم المقابلة في أربعة :

¹ - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 280

² - البقرة ، الآية 255

³ - الجن ، الآية 10

أ- أن يأتي بكل واحد من المقدمات :مع قرينه من الثواني كقوله تعالى : وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشاً¹.

ب- أو يأتي بجميع الثواني مرئية من أولها : كما قال تعالى : ومك- روا مك- را ومكربنا مكرا².

ج - أن يأتي بجميع المقدمات ثم يجمع الثواني مرئية من آخرها وي-سمى رد العج- ز على الصدر كقوله تعالى : يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم في-ي رحمة الله هم فيها خالدون³

هـ- أن يأتي بجميع المقدمات ثم يجمع الثواني مختلطة غير مرئية ويسمى الالف كقوله تعالى : وزلزلوا حتى يؤول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب⁴ فنسبة قوله "متى نصر ا " ، إلى قوله " والذين آمنوا كنسبة قوله "يق- ول الرسول إلى " ألا إن نصر ا قريب " ؛ لأن القولين المتباينين يصدران عن متباينين.

* تقسيم :

- من مقابلة اثنين اثنين : فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً⁵.
- من مقابلة أربع أربع : فأما من أعطى واتقى ...⁶.
- من مقابلة خمس بخمس : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً م-ا بعوض-ة فم-ا فوقعها⁷

¹ - النبأ ، الآيتان 10،11

² - النمل ، الآية :50

³ - آل عمران ، الآيتان 106،107

⁴ - البقرة ، الآية : 214

⁵ - التوبة ، الآية 82

⁶ - الليل : الآية 10

⁷ - البقرة ، الآية 26

- من مقابلة ست بست : قوله تعالى: زين للناس حب الشهواتِ مِنَ النساءِ والبنينِ والقنَاطيرِ الْمُقَنَطَرَةِ مِنَ الذهبِ والفضةِ والخيلِ المسومةِ والأنعامِ والحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا¹.

* فائدة :

قد يجئ نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر ، وإذا تؤمل كان من أكمـل المقابلات وإذالك أمثلة :

- قوله تعالى: إِنْ لَّكَ إِلَّا تَجُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى². فقابل الجوع بالعري والظما بالضحى والواقف مع الظاهر ريمـا يحيل أن الجوع يقابل الظما والعري بالضحى.

يقول الزركشي معقبا وموضحا الجمال في ثنانيا هذه الآية : "والمدقق يرى هــ ذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة ؛ لأن الجوع ألم البطن والـضحى موجـب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية جميع نفي الآفات ظاهرا وباطنا؛ وقابل الخـ وبـالخلو، والاحتراق بالاحتراق. وهاهنا موضع الحكاية المشهورة بـين المتنبي وسيف الدولة ؛ لما أنشده:

وقفت وما في الموت شك لوأف * كأنك في جفن الردى وهو نائم"³

- ومنها قوله تعالى: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ⁴ فإنه يتبادر فيه سؤال وهو لم لا قيل : مثل الفـريقين كـالـأعمى والبـصير والأصم والسميع لتكون المقابلة في لفظ الأعمى وضده بالبصير .

¹ - آل عمران ، الآية 14

² - طه ، الآية 118، 119

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 285

طه ، الآية 118، 119

⁴ - هود ، الآية 24:

والجواب أنه يقال : لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع وبضد ذلك لما ذكر انفتاح البصر أعقبه بانفتاح في السمع . وهذا هو الأئـ سب و الأئـ م فـ في الإعجاز.

إلجام الخصم بالحجة

بين الزركشي أن إلجام الخصم بالحجة من أساليب القرآن. "وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه" ¹ والعجب أن ابن المعتز في بديعه ، حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه ². ومنذ هـ قولا هـ تعالى: **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ³.

ثم قال النحاة أن الثاني امتنع لأجل امتناع الأول ، وخالفهم ابن الحاجب و قال أن الممتنع الأول لأجل امتناع الثاني ، فالتعدد سبق لأجل امتناع الفساد. وقوله: **وَلَوْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ⁴.

وقوله: **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ⁵.

فبين أنا لم نخلق المني لتعذره علينا ، فوجب أن يكون الخالق غيرنا.

- ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين وذلك مـ ن أول سـ ورة الحج إلى قوله: **وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ⁶. فنطق على خمس نتائج من عشر مقدمات .

- فالمقدمات من أول السورة: **وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ⁷

¹ - البرهان ، ص 286

² - ينظر ، البرهان ، ج 3 ، ص 286

³ - الأنبياء ، الآية : 22

⁴ - يس ، الآية : 79

⁵ - الواقعة ، الآيتان : 58، 59

⁶ - الحج ، الآية 07

⁷ - الحج ، الآية 05

- والتتائج من قوله: **ذَٰلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ** ¹. إلى قوله: **وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ** **مَنْ فِي الْقُبُورِ** ².
- وتتصل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال: **اخبرنا** أن زلزلة الساعة شئ عظيم وخبره هو الحق، ومن أخبر عن الغيب بالحق، فهو أحق بأنه هو
-
- الحق. وأنه يأتي بالساعة على تلك الصفات ولا يعلم صدق الخبر إلا بإحياء الموتى ليدركوا ذلك.
- ومنه قوله تعالى: **فَلَمَّا أَوَّلَ قَالٍ لَا أَجِبَ الْآفِلِينَ** ³. أي القمر أفـلـ لـ وربـيـ فليس بأفل. فالقمر ليس بربي.
- أثبتته بقياس اقتراني جلي من الشكل الثاني، واحتج بالتعبير على الحدوث، والحدوث على المحدث.

التقسيم

التقسيم من الأساليب العريقة في اللغة العربية، ومن محاسنها الجمالية العجيبة. عرفه أبو هلال العسكري بقوله: "والتقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه" ⁴ واستدل عليه بقوله تعالى **هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً** ⁵.

ويعقب العسكري على هذه الآية القرآنية بقوله: "وهذا أحسن تقسيم، لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطماع، ليس فيهم ثالث" ⁶.

¹ - الحج، الآية: 06

² - الحج، الآية: 07

³ - الأنعام، الآية: 76

⁴ - العسكري، الصناعتين، ص 308

⁵ - الرعد، الآية: 12

⁶ - ينظر، أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 308

ونذكر أن أعرابيا وقف على مجلس الحسن ، فقال : رحم ا عبدا أعطى من سعة ، أو آسى من كفاف ، وأثر من قلة . فقال الحسن : ماترك لأحد عذرا ، فلنصرف الأعرابي بخير - كثير¹ .

ومن شواهد التقسيم ، قول زهير ابن أبي سلمى :

وأن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار ، أو جلاء² .

فلما سمعه عمر بن الخطاب ، رضي ا عنه ، قال كالمعجب : " م - ن علم - ه ب - الحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها³ " .

التقسيم عند الزركشي :

نبه الزركشي إلى أن التقسيم - ها هنا - ليس المراد به القسمة العقلية التي يتكامل عليها المتكامل ، لأنها قد تقتضي أشياء مستحيلة كقولهم : الجواهر لا تخلو إما أن تكون - مجتمع أو متفرقة ، أو لا متفرقة ولا مجتمع ، أو مجتمع ومتفرقة معا ، أو بع - ضها مجتمع وبعضها متفرق . فإن هذه القسمة صحيحة عقلا ، لكن بعضها يستحيل وجوده . ثم يعرف التقسيم بقوله : " وهو استيفاء المتكامل أقسام الشيء ، بحيث لا يغادر شيئا وهو آلة الحصر ، ومظنة الإحاطة بالشيء⁴ .

نحو قوله تعالى : **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ⁵ .**

بين أن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة : إما ظالم لنفسه ، وإما سابق صادر إلى فعل الخيرات ، وإما مقتصد فيه ، وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها .

وكذلك قوله تعالى : **لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا⁶ فاستوفى أقسام الزمان ولا رابع لها .**

وقوله تعالى : **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَنُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ⁷ .**

و ماترك سبحانه قسما من أقسام الهيئات .

¹ - ينظر ، المصدر السابق ، ص 308

² - زهير ابن أبي سلمى ، الديوان ، طبعة القاهرة ، (د ت) ، (د ط) ، ص 75

³ - ينظر ، د. انعام فوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1417 هـ / 1996 م ، ص 413

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 288

⁵ - فاطر ، الآية 32

⁶ - مريم ، الآية 64

⁷ - آل عمران ، الآية 191

وقوله تعالى : "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا وإناثا - ويجعل من يشاء عقيم - : الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَنُعُودًا وَعَلَىٰ جُنْدٍ - وَيُهِيمُ

1»

قسم الحق تبارك وتعالى حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود لأن سبحانه إما أن يفرد العبد بهبة الإناث ، أو بهبة الذكور ، أو يجمعهما له ، أولا يهب شيئا .

وقد جاءت الأقسام في هذه الآية لينتقل منها إلى أعلى منها ، وهي هبة الذكور فيه ، ثم منتقل إلى أعلى منها ، وهي هبتهما جميعا ، وجاءت كل أقسام العطية " بلفظ الهبة " وأفرد معنى الحرمان بالتأخير .

وقيل : إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق :

أحدهما : جبرا لهن ، لأجل استئصال الأبوين لمكانتهن

الثاني : أن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء ، لا ما يشاء الأبوان ، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالبا ، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء .

الثالث : أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئسوهن ، أي هذا النوع من التحقير عندكم مقدم عندي في الذكر .

الرابع : قد مهن لضعفهن ، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم .

وقيل : لينقله من الغم إلى الفرج .

وتأمل كيف عرف سبحانه الذكور بعد تنكير ، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم ، وجبر

نقص المتأخر بالتعريف ، فإن التعريف تنويه .

وعقب الزركشي قائلا : " وهذا أحسن مما ذكره الواحدي " أنه عرف الذكور لأجل الفاصلة ²

¹ - النور ، الأيتان : 50،49

² - ينظر ، البرهان ، ج 3 ، ص 209

ولما ذكر الصنفين معا قدم الذكور ، فأعطى لكـ لـ مـ ن الجذـ سين حـ هـ مـ ن التـ ديم والتأخير، وا أعلم بما أراد¹.

جماع القول :

التقسيم من أهم أساليب البلاغة العربية التي تعمل على انسجام فـ ر الكـ لام ، وتـ وازن عبارته ، واتساق معانيه.

التقسيم يضفي على الكلام بلاغة وجمالا وبهاء ، ويقع من نفس السامع موقعـ ا حـ سنا ، ويؤثر في قلبه أيم تأثير.

التعديد:

هو إيقاع الألفاظ المبددة على سياق واحد وأكثر مـ ا يؤخذ فـ ي الـ صفات ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض لاتحـ ا د محلـ ا ويجريهـ ا مجـ رى الوصف في الصدق على ما صدق ، ولذلك يقل عطف بعض صفات ا على بعض في التنزيل² وذلك في :

قوله تعالى: الله لا إله إلا هو الحي القيوم³.

وقوله: الخالق الباري المصور⁴ وإنما عطف: هو الأول والآخِر والظاهر والباطن⁵. لأنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها فوقع الوهم بـ العطف عمن يستبعد ذلك في ذات واحدة ؛ لأن الشئ الواحد لا يكون ظاهرا باطنا مـ ن وجه وكان العطف فيه أحسن .

وقوله تعالى: أزواجاً خيراً منكُن مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تلتبـ ات عـ داتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكارا⁶

فجاء العطف لأنه لا يمكن اجتماعهما في محل واحد بخلاف ما قبله.

¹ - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص 290

² - البرهان ، ج3 ، ص 290

³ - البقرة ، الآية : 255

⁴ - الحشر ، الآية : 24

⁵ - الحديد ، الآية 03

⁶ - التحريم ، الآية 05

وقوله : "ذي الطول"¹ المراد به ذاته فترك العطف لاتحاد المعنى.
 وقوله تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ². ولو كان عطف الصفات لم يستحق الصدقة إلا من جميع الصفات الثمان ، وإذلك إذا وقع على الفقهاء والنحاة والفقراء استحق من فيه إحدى الصفات³.

المبالغة :

المبالغة هي زيادة المعنى في تملامه ، وأن تبلغ به أقصى غاليته .
 وسماها ابن المعتز: "الإفراط في الصفة"⁴.

وعرفها ابن منذ بقوله : "إن المعنى إذا زاد عن التمام يسمى مبالغة ، وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم ، فسماه قوم : "الإفراط والغلو ، والإيغال ، والمبالغة، وبعضه أرفع من بعض"⁵
 والمبالغة نراها ماثلة في أساليب بلاغية كثيرة ، كالحذف ، والإطناب ، والتشبيه ، وصنوف المجاز ، فأغلبها طرائق بلاغية تفيد المبالغة .
 أقسامها:

قسم علماء البلاغة والنقد المبالغة إلى ثلاثة أقسام :

1 - التبليغ.

2 - الإغراق.

3 - الغلو.

1 - التبليغ : وهو الوصف الذي يمكن وقوعه عقلا وعادة. نحو قـول حـسان ابـن

ثابت:

¹ - غافر ، الآية 03

² - التوبة ، الآية 60

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 291

⁴ - ابن المعتز ، البديع ، ص 65

⁵ - أسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، 155

يغشون حتى ما تهر كلابهم ولا يسألون عن السواد المقبل¹

2- الإغراق : وهو الوصف الذي يمكن وقوعه عقلا ويمتنع عادة . نحو قول جرير

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا²

فجرير يقول : إن بني تميم لهم تأثير في الناس فبالغ في هـ - ذا المعنى ، وادعى أنه - م إذا غضبوا على إنسان ، فإن الناس جميعا ينزلون على حكمهم ، وهذا المعنى جائز م - ن جهة العقل ، وإن امتنع من جهة العادة .

ومثله قول المتنبي :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قات شعرا أصبح الدهر منشدا³

3- الغلو : وهو الوصف الذي لا يمكن وقوعه عقلا ولا عادة .

نحو قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق⁴.

ومثاله قول بشار بن برد :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تمطر دما⁵

لأن هتك حجاب الشمس ، أو قطرها الدم مستحيل عقلا وعادة ، وإذ كان كلام بشار هاهنا غلوا وسرفا.

¹ - حسان بن ثابت ، الديوان ، شرح ، د ، يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 م ، ص291

² - جرير ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ص64

³ - المتنبي ، الديوان ، تح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ص373

⁴ - أبو نواس ، الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (د ط) 1406/1986 م ، ص452

⁵ - بشار بن برد ، الديوان ، دار صادر بيروت ، ط1 ، 2000 م ، ص407

المبالغة عند الزركشي :

وعرفها الزركشي بقوله : "وهي أن يكون الشئ صفة ثابتة فتزيد في التعريف في مقدار شدته أو ضعفه ، فيدعى له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع أو يحيل عقله ثبوته"¹.

واستدل عليها بقوله تعالى: **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ سَحَابٌ طُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ² . وهي ظلمة البحر وظلمة الموج فوقه وظلمة السحاب فوق الموج . وهذا من أحسنها³.
وقوله تعالى: **وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ** ⁴ ، أي كادت تبلغ ، لأن القلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه.

- وتكون المبالغة في الوصف بطريق التشبيه كقوله تعالى: **إِنهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّه جِمَالَةٌ صُفْرٌ** ⁵.

- وقد يخرج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة وهو مجاز كقوله تعالى: **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ⁶ ، فجعل مجئ جلائل آياته ، مجيئاً له سبحانه على المبالغة : وكقوله سبحانه: **وَوَجَدَ اللَّهُ عِندَهُ قُوفَاهُ** ⁷ حسابه ⁷ فجعل نقله للهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدلنا للمجازي - وأشار الزركشي إلى تنبيه مهم ، وهو أن (المبالغة) قصد المبالغة يستلزم في الحال الإيجاز ، إما بالحذف ، وإما بجعل الشئ نفس الشئ ، أو بتكرار

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 36

² - النور : الآية 40

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 36

⁴ - الأحزاب : الآية 10

⁵ - المرسلات ، الآيتان : 32، 33

⁶ - الفجر : الآية 22

⁷ - النور : الآية 39

لفظ يتم بتكراره التهويل والتعظيم ، ويقوم مقام أوصاف .نحو قوله تعالى :
الحاقة ما الحاقة ¹.

وخلص الزركشي إلى تبيان الفائدة من المبالغة في الكلام حيث اختلفت الأقوال في المبالغة ، فجاءت على ثلاثة وجوه.

- **أولاً** : إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة.

- **ثانياً** : أنها الغاية في الحسن وأعذب الكلام ما بولغ فيه .
كقول حسان بن ثابت :

- لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما.

ملاحظة : نجد أن الزركشي نسب هذا البيت إلى النابغة الذبياني ولكنه أخطأ في ذلك .
والبيت لحسان بن ثابت .

- **ثالثاً** : وهو الأصح بأنها من محاسن الكلام ، ولا ينحصر الحسن فيها - فإن فضيلة الصدق لا تنكر- ولو كانت محبة لم ترد في كلامنا - تعالى **ولهـا** طريقان :

1- أن يستعمل اللفظ في غير معناه ، لغة ، كما في الكناية والتشبيه والاستعارة وغيرها من أنواع المجاز.

2- أن يشفع ما يفهم المعنى بالمعنى على وجه يقتضي زيادة ، فتد رادف الصفات لقصد التهويل نحو قوله تعالى : في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلّمت بعضها فوق بعض ².

رأي النقاد في المبالغة :

ارتبط مصطلح المبالغة في نقدنا العربي بقضية جد شائكة ، وهي قضية الصدق والكذب ، والأمر الذي جعل النقاد ينقسمون حولها إلى ثلاث فرق ، وهي :

¹ - الحاقة : الأيتان 2،1

² - النور ، الآية 40

الفريق الأول : لايتخرج في استخدام المبالغة في الإبداع ، بل يعتبرها من أهم الوسائل التي يعمل الخيال والإبداع عملهما في العمل الفني ، ومن هؤلاء الشاعر البحتري الذي رفع لواء إطلاق الشعر من الالتزام بقواعد العقل ، وقوانين المنطق حيث يقول : **كلفتونا حدود منطقكم والشعر يكفي عن صدقه كذبه**¹.
وشعار هذا الفريق الشعر يكفي فيه ، التخيل ، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل ، ولذا قالوا : "خير الشعر أكذبه"

الفريق الثاني : يرفض المبالغة مطلقا ، ويذهبون إلى أن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل ، وأدب وفضائل ومواعظ تبعث على التقوى ، وتجذب الهوى ، وعمدتهم في ذلك ما قاله عمر رضي الله عنه ، في شعر زهير بن أبي سلمى : "لا يمدح الرجل إلا بما فيه"²

ولذا قالوا : إن خير الشعر أصدق. وتمثلوا قول الشاعر حسان بن ثابت :
وإن أحسن بيت أذت فائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا³
الفريق الثالث : يرى أن المبالغة إذا كانت من قبيل التبليغ والإغراق فهي مقبولة ، ولا بأس بها في العمل الأدبي منظومه ، و منشوره.
أما النوع الثالث : وهو الغلو : مرفوض لما فيه من الإغراب والخروج عن المألوف ، إلا إذا جاء مقرونا بـ : (كاد) أو (لو)

¹ - البحتري ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، مج 1، ص 234² - د.علي عيسى العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1417، 1997، ص 58³ - حسان بن ثابت / الديوان، ص 169

إذن؛ فالنقاد حين نظروا إلى المبالغة في الأسلوب القرآني تباينت م - واقفهم ب - ين القب - ول والرفض مفرزة لنا آراء ثلاثة .

ا - القبول المطلق ، ب - المنع المطلق ، ج - التوسط بين الأمرين .
أما الجمهور فرجح الرأي الثالث ، وهو التوسط بين الأمرين . وهو ما عبر عنه القزويني قائلا: "ومنه المبالغة المقبولة ..."¹

الاعتراض :

الاعتراض من الأساليب البلاغية التي حفل بها القرآن الكريم خاصة ، وفصيح كلام العرب منظومه ، ومثوره عامة ، ولذلك يقول ابن جني : "هذا القبيل من هذا العلم كثر - ر قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ، ومثور الكلام ، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره وغيره - ر ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذاً أو متأولاً"².

ومنه قول الحق تبارك وتعالى : مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ م - وَهُن ثَأُولُكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَطْلُمُونَ يَقِيرَ أَوْ مَن أَحْسَنَ دِينًا مِّنَ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مَح - يِين واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً³.

إن المتأمل والمتدبر لهاتين الآيتين يلحظ اعتراضاً بين قوله تعالى : "وم - ن يعم - ل م - ن الصالحات " وقوله تعالى : "أولئك يدخلون الجنة " بقوله تعالى : " من ذكر أو أنثى - وه - و مؤمن ، وهو اعتراض بين جزئي الشرط ؛ ليدل - سبحانه - على أن دخ - ول الجنة مرتبط بعمل الصالحات ولا يختص بذلك عبد من العباد ، وإنما لجميع خلقه ، كتابي

¹ - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 412

² - ابن جني ، الخصائص ، ج 1 ، ص 335

³ - النساء ، الآيتان : 124، 125

ومسلم ، ذكر وأثنى ، بشرط أن يكون مؤمنا ، فمتى توفر الإيمان و العمل الصالح كـ ان ذلك سببا في دخول الجنة .

وكذلك ليتساءل في الآية الثانية تساؤلا تقريريا عمن أحسن دينا ممن أسلم وجهه وهـ و محسن ، وهذا اعتراض ثان بين قيمة الإحسان في اصطفاء العباد وبيان خير أديـ انهم ، ففي هذا إشارة واضحة للإسلام بمعناه الواسع الرحب ، إسلام الوجه والوجهة ، لاإسـ لام القول والتكاثـ ...

الاعتراض عند الزركشي :

>> وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو كلامين متصلين معنى بشئ يـ تم الغـ رض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام ، أو الكلامين لنكتة .

• وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكد

• من أسباب الاعتراض :

1- تقرير الكلام كقوله تعالى : " وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلـ ون " اعتـ رض بقوله : " وكذلك يفعلون " .

2- قصد التنزيه كقوله تعالى : " ويجعلون البنات سـ بحانه ولهـ م مـ ا يـ شتهون " فاعتراض : " سبحانه " لغرض التنزيه .

3- قصد التبرك كقوله تعالى : " لتدخلن المسجد الحرام إن شاء ا آمنين " .

4- قصد التأكيد كقوله تعالى : " فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم " .

5- تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر كاف بهما كقوله : " ووصـ ينـ الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفـ صاله فـ ي عـ امين أن اللهـ كرلي ولوالديك " فاعتراض بقوله " حملته أمه وهنا على وهن وفصـ له في علمين .

6- زيادة الرد على الخصم كقوله : " واـ مخـ رج " فـ اعتراض بـ ين المعطـ وف والمعطوف عليه .

7- الإدلاء بالحجة بكفوله : "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهـل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر" فاعتراض بكفوله "فاسألوا " بين قولـه " نوحي إليهم " وبين قوله "بالبينات والزبر " إظهار القوة الحجة عليهم.

قال ابن عمرون : لايجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه وقد أجازره قوم في "ثم" وفي "أو " .

قال الطيبي ؛ سئل الزمخشري عن قوله تعالى : فمن شاء ذكره هو اعتـراض قال، لا؛ لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها ، وأما بالفاء فلا ¹

الاحتراس

الاحتراس ويعرفه الزركشي بكفوله : "أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد فيؤتي بما يدفع ذلك الاحتمال بكفوله تعالى : اسألك يدك في جيئك تخرج بيضاء من غير سوء ². فاحترس سبحانه وتعالى بكفوله " من غير سوء" عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص وقوله تعالى: وقيل بعدا للقوم الظالمين ³ فإنه سبحانه لمـا أخبر بهلاك من هلك بالطوفان عقبهم بالدعاء عليهم ووصفهم بالظلم ، ليعلم أن جميعهم كان مستحقا للعذاب.

- وأعجب احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه السلام : وما كُنتَ بِجَانِبِ الْغُرِيِّ إِذْ قَضَيْتَ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ⁴. وقال حكايـة عـن موسى: وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ الْأَيْمَنِ ⁵. فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرف المكان بـالغربي وـالم يقل في هذا الموضع (الأيمن) كما قال من قبل أدبا مع نبيه (ص) أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن . فراعى في المقامين حسن الأدب معهمـا تعليمـا للأمة ، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب .

1- ينظر، البرهان ، ج 3، ص 39، 40، 41، 43، 44

2- القصص ، الآية 32

3- هود ، الآية 44

4- القصص ، الآية 44

5 - مريم ، الآية 52

وقوله : " تكلم الناس في المهد وكهلا "¹ وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه لأنه كان في العادة ، أن من يتكلم في المهد لا يعيش ولا يتمادى به - العم - ر ، فجعل الاحتراس بقوله " وكهلا "

فائدة :

عاب قدامة على ذي الرمة قوله :
ألا أسلمى يا دارمي على البلى
ولازال منهلا بجرعائك القطر ²
فإنه لم يحترس وهلا قال كما قال طرفه :
فسقى ديارك غير مفسدها
وأجيب أنه قدم الدعاء بالسلامة للديار.

ومن روائع الاحتراس في قوله تعالى : " فخر عليهم السقف من فوقهم "³ والسقف لا يكـون إلا من فوق ؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أنه السقف قد يكون من تحت بالنسبة ؛ فإن كثيرا من السقوف يكون أرضا لقوم وسقفا لآخرين ورفع هـ - ذا الاحتمال بأمرين وهما " عليهم " و " خر " لأنهما لاتستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العا - و إلى الأسفل .

وقيل إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته ، والعرب تقول : خر علينا سقف ، ووقع علينا حائط ، فجاء بقوله : " من فوقهم " ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم .
فقال : " من فوقهم " أي عليهم وقع ، وكانوا تحته ، فهلكوا وما أفلتوا " أليس هذا من أعلى قمم البلاغة ومقلمات الإعجاز؟

¹ - المائدة ، الآية 110

² - ذو الرمة ، الديوان ، ص 206 / جرعاء : الرمل المنبسط

³ - النحل ، الآية 26

التذييل

مصدر ذيل للمبالغة وهي لغة : جعل الشئ ذيلا للآخر.

واصطلاحاً : أن يوفى بعد تمام الكلام بكلام مستقل عن معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول ، أو مفهومه ليكون معه كالدليل.

كقوله تعالى: " ذاك جزيناهم بما كفروا " ثم قال عز من قائل: " وهل يجازى إلا الكفور " ¹ أي هل يجازى ذاك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور.

وقوله : "وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً " ²

وقوله : " فالتقطة آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كـانوا خاطئين " ³

ويحتمل أن يكون من التعليل.

التتميم

وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة ، أو احترازاً ، أو احتياطاً.

وقيل أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه

شارحاً كقوله تعالى : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً " ⁴

فالتتميم في قوله تعالى " على حبه " جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتغائه.

وكذلك قوله : " وآتي المال على حبه " ⁵

1- سبأ ، الآية : 17

2- سبأ ، الآية : 17

3- القصص ، الآية : 08

4- الإنسان ، الآية : 08

5- البقرة ، الآية : 177

المدرج

من الأساليب البلاغية البديعة التي استعملها الزركشي بالاعتماد على مصطلحات أهل الحديث ، وقال : "هذا النوع سميت به هذه التسمية ، بنظير الم - درج م - ن الحديث ، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تجئ الكلمة إلى جذب أخرى كأنها في الظاهر معها ، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها"¹.

والمدرج عند أهل الحديث هو : أن تزداد لفظة في متن الحديث م - ن ك - لام ال - راوي ، فيحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث فيرويهها كذلك"².

واستدل عليه بقوله تعالى ذاكرا عن بلقيس : "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون"³ هو من قول لا من قول المرأة.

ومنه قوله تعالى : "آلن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين"⁴.

انتهى قول المرأة ، ثم قال يوسف عليه السلام : "ذاك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب"⁵ معناه ليعلم الملك أنني لم أخنه"⁶.

ومنه قوله تعالى : "يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا"⁷ تم الكلام ، فقالت الملائكة : "هذا م - ا وعد الرحمان وصدق المرسلون"⁸.

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 187

² - المصدر نفسه ، ص ن

³ - النمل ، الآية 34

⁴ - يوسف ، الآية 51

⁵ - يوسف ، الآية 52

⁶ - البرهان ، ج 3 ، ص 187

⁷ - يس ، الآية 52

⁸ - يس ، الآية 52

الاستطراد

عرفه القزويني بقوله : "وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني"¹

ويقول جمهرة العلماء أن مصطلح الاستطراد ربما ظهر أول مرة عند الحاتمي في حلية المحاضرة حيث يذكر الحاتمي أنه نقل هذه التسمية عن البحتري².

وعرفه العسكري بقوله : "أن يأخذ المتكلم في معنى بينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه"³.

ومحصلة القول : أن الاستطراد هو الانتقال من معنى إلى معنى بحيث يكون الأول سببا في الثاني .

وكثيرا من البلغاء خلط بين الاستطراد والتخلص ، ولكن حازما فرق بينهما بقوله : "وأهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه يتدرج تخلصا ، وما لم يكن يتدرج ولا هجوم ، ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات استطرادا"⁴

ويفرق العلوي صاحب الطراز بين الاستطراد والاعتراض ، بحيث يرى أن الاستطراد مجمع الحسن كله ، بينما الاعتراض يجمع بين الحسن والقبح ، أي فيه ما هو حسن ، وما هو قبيح ، يقول العلوي : " وهو قريب من الاعتراض ، خلا أن الاعتراض منه ما يقبح ، ويحسن ، ويتوسط ، بخلاف الاستطراد فإنه حسن كله"⁵ .

أما الزركشي فقد عرف الاستطراد بقوله : "وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره"⁶ واستدل عليه الزركشي بشواهد من الذكر الحكيم دونما تعقيب ، أو إيضاح ، فذكر - ول تعالى : "وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم"⁷

¹ - الإيضاح ، ص 397

² - ينظر ، الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج 1 ، ص 163

³ - الصنائع ، ص 418

⁴ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 316

⁵ - الطراز ، ج 3 ، ص 11

⁶ - البرهان ، ج 3 ، ص 189

⁷ - إبراهيم ، الآية : 47

وكفوله : " فإن أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة عاد وتمود"¹.

وقوله : "ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود"².

وصاحب الصفوة الصابوني يرى أن الآية من سورة فصلت بها التفات في قوله تعالى "فإن أعرضوا" بعد قوله (قل أئنكم لتكفرون) وهو التفات من الخطاب إلى الغيبة ، وناسب الإعراض عن مخاطبتهم لكونهم أعرضوا عن الحق ، وهو تناسب حسن³

وقال علماء البلاغة أن أول من ابتدع "فن الاستطراد" السموأل في قوله :

وإنما لقوم لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا وتكرهه آجالهم فتطول

واعتبر هذا أول شاهد ورد في هذا النوع ، وسار مسير الأمثال وفي ذلك قصة - ول ابن رشيح القيرواني : "وهو أول ما نطق به "

وقال المصري : "وأحسب أن أول استطراد بالهجاء السموأل"⁴

والشاهد في بيتي السموأل أنه أراد مدح قبيلته ، فاستطرد إلى هجاء قبيلتي عامر وسلول ثم رجع إلى عرضه المقصود.

وجمال الاستطراد يظهر في حسن الانتقال من معنى ، وذلك يؤدي إلى تـ رابط الأسلوب وتلك أسمى غايات البلاغة العربية ، ولعل الانتقال من معنى إلى معنى من الأمور التي فاض فيها الأدباء ، وتباروا فيها وتفاضلوا ، ومن هنا ألفينا علماء البلاغة ينوّهون به.

¹ - فصلت ، الآية : 13

² - هود ، الآية : 95

³ - ينظر ، محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، شركة الشهاب الجزائر ، ط5 ، 1411هـ/1990م ، ج2 ، ص129

⁴ - ينظر ، د.إنعام فؤال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع والبيان ، والمعاني دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1417، 2هـ/1996م ، ص 87

الإلغاز (الأحاجي)

أشار ابن الأثير إلى الأحاجي بقوله : "وهي الأغايط من الكلام ، وتسمى الألغاز وقد يسمى هذا النوع أيضا المعمى"¹

وعرف ابن الأثير الأحاجي والألغاز بقوله : "وأما اللغز والأحجية فإيهما شئ واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازا ، ولا يفهم م - م - ن عرضه"².

ويستدل ابن الأثير بأدلة كثيرة على الأحاجي والألغاز ، ومما أعجبني سرده لحكاية عمر بن هبيرة مع شريك النمري التي هي من هذا القبيل .

يقول ابن الأثير : "ومما سمعته من الألغاز الحسان التي تجري في المحاورات ما يحكى عن عمر بن هبيرة ، وشريك النميري ، وذلك أن عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له وإلى جانبه شريك النميري على بغلة ، فتقدمه شريك في المسير ، فصاح به عمر : اغضض من لجامها ، فقال : أصلح ! الأمير إنها مكتوبة فتبسم عمر ، ثم قال : ويحك ، لم أرد هذا ، فقال له شريك : ولا أنا أردته"³.

وكان عمر أراد قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا⁴

الإلغاز عند الزركشي

ويعرفه بقوله : "واللغز الطريق المنحرف ، ويسمى به لانحرافه عن نمط ظ - اهر الكلام ، ويسمى أيضا أحجية ؛ لأن الحجي هو العقل"⁵.

¹ - ابن الأثير ، المثل السائر ، مج 2 ، ص 199

² - المصدر نفسه ، ص 200

³ - المصدر نفسه ، ص 207

⁴ - جرير ، الديوان ، ص 75

⁵ - البرهان ، ج 3 ، ص 189

ونبه الزركشي إلى الغاية من اللجوء إلى الإلغاز والأحاجي في الكلام إلى :

- أن هذا النوع من الأساليب يقوي العقل عند التمرن والارتداد¹ ، بحالها والفكر فيه.

وأشار إلى أن بعض العلماء قال ، بوقوعه في القرآن العظيم ، وجعل منه ما جاء في أول السور من الحروف المفردة والمركبة التي جهل معناها ، وحارت العقول في منتهاها.

ومنه قوله تعالى في قصة سيدنا إبراهيم لما سئل عن كسر الأصنام .
وقيل له :أنت فعلته ؛فقال : "بل فعله كبيرهم هذا"² قابلهم بهذه المعارضة ، ليقم عليهم الحجة ، ويوضح لهم المحجة .
وكذلك قول نمرود : "أنا أحي وأميت"³ أتى باثنين فقتل أحدهما ، وأرسل الآخر ، فـإن هذا مغالطة⁴ .

هذا رأي الزركشي في مسألة الإلغاز في القرآن الكريم ، وبعض من العلماء ، إلا أن ابن الأثير يرى غير ذلك ، حيث يقول : "وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئاً منها ، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئاً ؛لأنه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الألغاز"⁵ .

¹ -المصدر السابق ، ص ن² - الأنبياء ، الآية :63³ - البقرة ، الآية : 258⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 189⁵ - ابن الأثير ، المثل السائر ، مج 2، ص 204

الالتفات

تناول علماء البلاغة ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في الكـلام البليـغ وأوضحوا أن هناك دواعي وأسبابا بلاغية لها تأثير عميق في النفوس والأفكار، لأنها تحمل أسسا فنية جمالية إبداعية ، ولمحاذكية.

إذا :

- فما هو الالتفات ؟
- وما هي فوائده؟
- وكـم صورـه ؟
- وما هي شروطه ؟
- ما الجديد في أسلوب الالتفات عند الزركشي ؟
- وما هي جماليته ؟

يكاد علماء البلاغة يجمعون على أن أسلوب الالتفات من الأساليب البلاغية المتميزة ، لما يحمله من لطائف ، وفرائد نفيسة ، تضيء جمالا وتؤثرا في نفس المتلقين.

وبه من التفنن والتنقل الرائع بين طرائق الكلام الثلاث ، التكلم ، الخطاب ، والغيبة ، ذلك سعيا لتحقيق أغراض بلاغية.

وهذا النوع من الأساليب يدل دلالة قاطعة على أصالة بلاغة الإنسان العربي ، ومـدى تميزه وتفرد به بتذوق الكلام ، وإدراك جمالياته ، وتفننه في التنقل من سياق إلى سياق وفق طرائق متعددة ومتباينة ، ودل أيضا على شجاعة أدبية بيانية ، تجعل المتلقي يستمتع بجمال هذه اللغة ، ويدرك عجب أسرارها ، ودقائق ، تفردا من غيرها . ولهذا اصطلح على أسلوب الالتفات بـ " شجاعة العربية".

ومن ثم تكاد آراء العلماء تجمع على أن الالتفات من الأساليب البديعة التي تتركب على منزلة رفيعة بين أساليب البلاغة العربية ، حتى قال عنه صاحب الطراز إنه : "أمير جنودها والواسطة في قلائدها ... وقد يلقب بشجاعة العربية ، والسبب في تلقيبه بذلك ، هو أن الشجاعة هي الإقدام ، والرجل إذا كان شجاعا ، فإنه يرد المـ وارد الـ صعبة ، ويفتحم الورط العظيمة ، حيث لا يرد لها غيره ، ولا يقتحمها سواه"¹.

ومما يستشف من كلام العلوي أن الالتفات إذا لم يتحقق المراد من خلاله يـ صبح قفـ زة خطيرة في المجهول ، ومجازفة ما بعدها مجازفة .

لاشك أن المخالفة بين أسلوب وأسلوب ، والتنويع في طرائق عرض الأساليب مع تحقيق الغاية وإصابة المرمى يعد مكمنا للجمال والحسن .

والعرب أوتوا من القدرة على التفنن في التعبير والمخالفة بين أسلوب وآخر مـ جعلهـ مـ يتربعون على عرش البلاغة والفصاحة . فكان لهم شأن وشأو.

وفي هذا السياق يقول العلوي : "إن اقتدارهم على مخالفة أساليب الكلام أكثر من اقتدارهم على مخالفة الأطعمة ؛ لأن البلاغة في الكلام عليهم أيسر ، وهم عليها أمكن وأقدر"² .

ماهية الالتفات :

عرفه العلوي بقوله : "هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخـ الف ، وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة ، لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها ، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطـ اب لا غير"³.

¹ - العلوي ، الطراز ، تحـ د عبد الحميد هندواي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 2002 م ، ج2، ص71

² - المصدر نفسه ، ص75

³ - المصدر نفسه ، ص71

ويتضح من خلال ما يذهب إليه العلوي ، أن الالتفات لا يقتصر على ضمير دون آخر ، بل يعم ويشمل جميع الضمائر ، كما يعم أنساقاً أخرى غير الضمائر . وفي هذا يقول : "ولاشك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع ، وقد يكون على عكس ذلك"¹.

وعرفه الصفدي بقوله : "والالتفات انتقال وسلوك سبيل بعد سبيل"² أما عبد الرحمان حسن حينكه الميداني فعرفه بقوله : "وهو فن بديع من فنون القول يشبهه تحريك آلات التصوير السينمائي ينقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المشاهدات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها ، ومفاجأة المشاهد بقطعات منها متباعدة ، لكنها تدخل في الإطار الكلي الذي يراد عرض طائفة من مشاهد تدل على ما يصدق الإعلام به"³.

باختصار شديد نخلص إلى أن الالتفات هو العدول بالمصطلح الحديث فوائده :

- 1- جمالية التنويع في العبارة.
- 2- الاقتصاد والإيجاز في التعبير.
- 3- المعاني في أسلوب الالتفات تفهم من طريق غير مباشر أي تلميحا . ومن ثم كـان الالتفات أكثر تأثيرا في المتلقى.
- 4- الالتفات يشعر جميع المتلقين بأنهم محل اهتمام المتكلم .
- 5- إفادة معنى تتضمنه العبارة أثناء الالتفات لا يمكن حصوله لو جرى الكلام على مقتضى الظاهر وغيرها.

¹ - المصدر السابق ، ص 71

² - خليل بن أبيك الصفدي ، الغيث المسحوم في شرح لامية العجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 1975 م ، ج 1 ، ص 257

³ - عبد الرحمان حسن حينكه الميداني ، البلاغة العربية ، أسسها ، وعلومها ، وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، ط 2 2007 ، ج 1 ، ص 480

صوره :

للالفتات صور ست هي :

- 1 - الانتقال من التكلم إلى الخطاب
- 2 - الانتقال من التكلم إلى الغيبة
- 3 - الانتقال من الخطاب إلى التكلم
- 4 - الانتقال من الغيبة إلى التكلم
- 5 - الانتقال من الخطاب إلى الغيبة
- 6 - الانتقال من الغيبة إلى الخطاب

الالفتات عند الزركشي :

عرف الزركشي الالفتات بقوله : "وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر - ر تطرية واستدرار للسامع ، وتجديدا لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملل وال-ضجر ، وب-دوام الأسلوب الواحد على سماعه"¹.

حدد الزركشي في هذا التعريف ، مدلول الالفتات والمتمثل في الانتقال من أسلوب إلى آخر . كما بين فوائد هذا الانتقال ، والتي نحوصلها في النقاط الآتية :

أ - تطرية واستدرار للسامع

ب - تجديد النشاط ، ودفع الضجر والملل

ت - رتابة التعبير على وتيرة واحدة مدعاة للنفور.

ونبه الزركشي إلى أن لالفتات مقامات أثناء التعبير والتواصل حيث يـقـول : "واعلا-م أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات ، والمشهور أن الالفتات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير الأول"².

¹ - البرهان ، ج3 ، ص 197

² - المصدر نفسه ، ص ن

أقسامه :1 - الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

نبه الزركشي إلى أن القصد منه ، حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة.

نحو قوله تعالى : "ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون"¹

الأصل : "وإليه أرجع" فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، والقيمة البلاغية - ها هنا - أنه أخرج الكلام في معرض منا صحته لنفسه ، وهو يريد نصح قومه ، تطفلا وإعلاما أنه يريد نفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله .

وأیضا ، فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته ، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ، مبدعه ، ثم حذرهم بقوله : "وإليه ترجعون" لـ إذا جعلوه من الالتفات . والمعنى : كيف لا أعبد من إليه رجوعي . وإنما ترك عبارة (إليه - أرجع) إلى (وإليه ترجعون) لأنه واحد منهم . داخل فيهم ، وقد أفاد الالتفات هنا فائدة حسنة ، وهي أنه ينبههم أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع .

ووجه الزركشي نقدا إلى أولئك القائلين : ثم حذرهم بقوله : "وإليه ترجعون" على أساس أنه أخرج الكلام معهم بحسب حالهم .

يقول الزركشي : "لذا جعلوه من الالتفات ، وفيه نظر ، لأنه إنما يكون منه إذا كان القصد الإخبار عن نفسه في كلتا الجملتين ، وها هنا ليس كذلك ، لجواز أن يكون أراد بقوله : "ترجعون" المخاطبين ؛ ولم يرد نفسه ويؤيده ضمير الجمع ، ولو أراد نفسه لقال : "ترجع" وأيضا شرط الالتفات أن يكون في جملتين ، " فطرني " و " إليه ترجعون " كلام واحد ...

¹ - يس ، الآية : 22

ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهي أنه نبههم أنهم مثله في وجوب عبادة من إليه الرجوع ؛ فعلى هذا ، الواو للحال ، وعلى الأول واو للعطف ¹

2- من التكلم إلى الغيبة :

ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصد من السامع حضر أو غاب .
نحو قوله تعالى : " يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بآياتي ورسوله " ²
ولم يقل (بي) وأسلوب الالتفات في هذه الآية الكريمة أفاد فائدتين :
أ- دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها .

ب- تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة م- ن النبوة والأمية ، التي هي أكبر دليل على صدقه ، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته ، بل له- ذه الخصائص ³ .

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : " إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك " ⁴ لم يقل (ل-نا)
تحريضا على أداء الصلاة لحق الربوبية .

3- من الخطاب إلى التكلم :

يرى الزركشي أن هذا النوع يستقيم لمن لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحد ، أما من اشترط فلا يحسن أن يمثل به ، وأشار إلى قوله تعالى : " فاقض م-ا أذ-ت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا ءامنا بربنا " ⁵

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 198

² - الأعراف ، الآية : 158

³ - ينظر ، البرهان ، ج 3 ، ص 199

⁴ - الكوثر ، الأيتان : 2،1

⁵ - طه ، الأيتان : 73،72

ونبه إلى أنه تمكن التمثيل للانتقال من الخطاب إلى المتكلم بقوله تعالى : "قل اأسرع مكرًا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون"¹

وعقب بقوله : على أنه - سبحانه - نزل نفسه منزلة المخاطب²

4- من الخطاب إلى الغيبة :

كقوله تعالى : "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم"³

فقد التفت عن " كنتم " إلى " جرين بهم " وفائدة الالتفات هنا العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم ، لتعجبه من فعلهم وكفرهم ، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة ، وهذا سر من أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

وقال الراسخون في العلم : أن الخطاب أولاً كان مع الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم بدليل قوله تعالى : "وهو الذي يسيركم في البر والبحر" فلو قال (وجرين بكم) لالزم الذم الجميع ؛ فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص هؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية ؛ فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم ، وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم .

وذكروا أيضاً: أنهم وقت الركوب خافوا الهلاك وتقلب الرياح ، فناداهم ناداء الحاضرين⁴ .

¹ - يونس ، الآية : 21

² - ينظر ، البرهان ، ج 3 ص 199

³ - يونس الآية : 22

⁴ - البرهان ، ج 3 ، ص 199

5- من الغيبة إلى التكلم : كقوله : "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا م - ن الم - سجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله"¹. حدد الزركشي في أن الالتفات فـي أربعة مواضع ، فانتقل عن الغيبة في قوله تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده" إلـى التكلم في قوله : "باركنا حوله" ثم من التكلم إلى الغيبة في قوله "آياتنا" ثم م - ن الـ تكلم إلى الغيبة² في قوله : "إنه هو السميع البصير"³. وقوله عز وجل : "والذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه"⁴. وفائدته : أنه لما كان سوق السحاب إلى البلاد إحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة ، والآية العظيمة التي لا يدركها عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم فقال : (فسقناه) لأنه أدخل فـي الاختصاص ، وأدل عليه وأفخم . وفيه معنى آخر ، وهو أن الأقوال المذكورة في هذه الآية منها ما أخبر به - سبحانه - بسببه ، وهو سوق السحاب ، فإنه يسوق الرياح ، فتسوقه الملائكة بأمره ، وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله وسـائر الأسـباب التي يقتضيها حكمه وعلمه وعادته سبحانه في كل هذه الأفعال . أن له جذـدا وخلفا فـد سخرهم في ذلك⁵ نحو قوله تعالى : "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"⁶ أي إذا قرأه رسولنا جبريل . وكقوله تعالى : " وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها"⁷ ونحو قواـه تعالى : " وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى"⁸ ذكر الزركشي أن الزمخشري أشار إلى فائدة الالتفات إلى المتكلم في هذه المواضع فقال : "التنبيه على التخصيص بالقدرة"⁹

6- من الغيبة إلى الخطاب :

كقوله تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمان ولدا لقد جئتم شيئا إدا"¹⁰ .

¹ - الإسراء ، الآية : 01

² - البرهان ، ج 3 ، ص 201، 202

³ - الإسراء ، الآية : 01

⁴ - فاطر ، الآية : 9

⁵ - البرهان ، ج 3 ، ص 200

⁶ - القيامة الآية : 18

⁷ - فاطر ، الآية : 27

⁸ - طه ، الآية : 53

⁹ - البرهان ، ج 3 ، ص 201

¹⁰ - مريم ، الأيتان : 88، 89

ولم يقل : " لقد جاءوا " للدلالة على أنه من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا منكرا عليه قوله، كأنه يخاطب قوما حاضرين .

وقوله تعالى : "مالك يوم الدين إياك نعبد"¹

ونقد من قال : إن في قوله تعالى التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب: " يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا"²

فقال الزركشي : وهو عجيب لأن "الذين" موصول لفظه للغيبة ، ولا بد له من عائذ، وهــ و الضمير في " آمنوا" فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب؟ فهذا مما لا يعقل³

7- بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه:

فيكون التفاتاً عنه ، كقوله تعالى : " غير المغضوب عليهم"⁴ بعد "أنعمت" ؛ فإنه هـ

المعنى (غير الذين غضبت عليهم)

وأشار العلماء إلى نوع من الالتفات في منتهى الإبداع والغرابة ، وعن ذلك فـي قولـه تعالى : "إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد"⁵

انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تبارك وتعالى ، ثم قال منـصرفا عن الأخبار عن الرب عز وجل إلى الإخبار عن الإنسان : "وإنه لحب الخير لشديد" وهذا النوع يسميه العلماء : بالفتات الضمائر

في أسبابه وفوائده :

الجمال الحقيقي لأسلوب الالتفات كما ذكر البلاغيون يكمن في فوائده وأسبابه.

¹ - الفاتحة ، الآيتان ، 4، 5

² المائدة، الآية : 6

³ - البرهان ، ج3، ص 203

⁴ الفاتحة : الآية : 5

⁵ - العاديات : الآيتان 6، 7

وقسمها الزركشي إلى قسمين :

أ- فوائد عامة.

ب- فوائد خاصة .

أ- الفوائد العامة :

التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر . لما في ذلك من تسهيل الـ وزن والقافية السامع ، واستجلاب صفائه ، واتساع مجاري الكلام ، وتسهيل الوزن والقافية وقال البيانون : إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حـ سن تغـ ر الطريقة، وذلك دفعا للضجر والملل وتحقيق الغايات والمرامي .

ب- الفوائد الخاصة :

تختلف باختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يـ صدده المـ تكلم فمنها :

- 1- تعظيم شأن المخاطب ، نحو قوله تعالى : " الحمد رب العالمين " ¹.
- 2- التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه ، نحو قوله تعالى : " ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون " ².
- 3- قصد المبالغة ، نحو قوله تعالى : " حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم " ³.
- 4- الدلالة على الاختصاص : كقوله تعالى : " وا الذي أرسل الرياح فتثـ ر سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به " ⁴.
- 5- قصد الاهتمام : كقوله تعالى : " ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضهن سبع سماوات في

¹ - الفاتحة ، الآية 01

² - يس ، الآية 22:

³ - يونس : الآية 22

⁴ - فاطر ، الآية 09:

يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمـصـابيح وحفظـا
ذلك تقدير العزيز العليم¹

6- قصد التوبيخ : كقوله تعالى " وقالوا اتخذ الرحمان ولدا لقد جئتم شيئا إدا²

من الفوائد القيمة التي ذكرها الزركشي من خلال قوله تعالى : "إن ا لا يخلف الميعاد³
بعد قوله تعالى : " ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه "⁴ يقول الزركشي: "فإن قلت :
قد قال في آخر السورة "ولا تخزننا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد " فلـمـ عـدل عـن
الخطاب هنا ؟ قلت : إنما جاء الالتفات في صدر السورة ، لأن المقام يقتضيه ، فإن
الإلهية تقتضي الخير والشر لتتصرف المظلومين من الظالمين ، فكان العدول إلـى ذكـر
الاسم الأعظم أولى ، وأما قوله تعالى في آخر السورة : "إنك لا تخلف الميعاد " فذلك المقام
مقام الطلب للعبء من ربه أن ينعم عليه بفضلته ، وأن يتجاوز عن سيئاته ، فلم يكن فيه ما
يقتضي العدول عن الأصل المستمر⁵

شروطه :

قال الزركشي : " وشرطه أن يكون الضمير في المتلفت إليه عائدا في نفس الأمـر
إلى المتلفت عنه "⁶ ونبه الزركشي إلى أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره ، وهو
في أقسام وهي :

1 - الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين نحو قوله تعالى : "

أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكمـا الكبيرـاء فـي
الأرض "⁷.

¹ - فصلت ، الآيتان 11، 12

² - مريم ، الآيتان : 88، 89

³ - آل عمران ، الآية 09

⁴ - آل عمران : الآية 09

⁵ - ينظر البرهان ، ج3، ص 207

⁶ - المصدر نفسه ، ص 197

⁷ - يونس ، الآية : 78

- 2- من خطاب الواحد إلى الجمع ، نحو قوله تعالى : "يأيها النبي إذا طلقتم النساء"¹.
- 3- من الاثنين إلى الواحد ، نحو قوله تعالى "فمن ربكما يا موسى"²
- 4- من الاثنين إلى الجمع ، نحو قوله تعالى : "وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبـ وعاء لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبـ شر المؤمنين"³.
- 5- من الجمع إلى الواحد : نحو قوله تعالى : "وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين"⁴.
- 6- من الجمع إلى التثنية ، نحو قوله تعالى : "يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا"⁵
- وفوله تعالى : "فبأي آلاء ربكما تكذبان"⁶
- 7- ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملاقية له في المعنى على طريق المثل أو الدعاء ، نحو قوله تعالى : "وزهـ ق الباطـ ل إن الباطل كان زهوقا"⁷ وقوله تعالى : "ثم اندـ صر فوا صدـ رف ا قلوبهم"⁸.
- 8- من الماضي إلى الأمر ، نحو قوله تعالى : " قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه"⁹.
- 9- من المستقبل إلى الأمر ، تعظيما لحال من أجرى عليه المستقبل ، وبالصدمـ ن ذلك في حق من أجرى عليه الأمر ، كقوله تعالى : "يا هـ ود مـ ا جئتنا ببينة" إلى قوله : " برئ مما تشركون"

1 - الطلاق ، الآية 01

2 - طه ، الآية 49

3 - يونس ، الآية : 87

4 - يونس ، الآية : 87

5 - الرحمن ، الآية : 33

6 - الرحمن ، الآية : 34

7 - الاسراء ، الآية : 81

8 - التوبة ، الآية : 127

9 - الأعراف ، الآية : 29

10- من الماضي إلى المستقبل ، نحو قوله تعالى : " وا الذي أرسل الرياح فتثير "1

11- عكسه (من المستقبل إلى الماضي) ، نحو قوله تعالى : " ويوم نسير الجبال

وترى الأرض بارزة وحشرناهم "2

لقد بدا لنا من خلال الحديث عن أسلوب الالتفات عند الام-ام الزركشي أن الالتفات من خلال الأساليب البلاغية ذات المستوى العالي ، الذي لا يتقنه إلا البلغاء م-ن العرب ، والنبهاء ممن تشربوا البلاغة العربية ، وملكوا ناصيتها ، وتفننوا ف-ي طرائق استخدامها.

وعلى الرغم من أن الزركشي سار في معالجة الالتفات على نهج من سبقه من البلاغيين إلا أن ذلك لم يقعد به على أن يدلي بدلوه ، ويجيل نظراته الثاقبة في هذا الباب ويأتي لنا بفوائد جديدة جملة منها:

- اشتراطه الصلة بين المعنى الملتفت إليه والملتفت منه (وهو نقل معن-وي لا لفظي)3.

- المحافظة على الصلة النفسية بين الالتفات وقيمه البلاغية.

- الالتفات يثير السامع وينشطه.

- الالتفات بتنوعه وانتقاله من أسلوب إلى أسلوب يحدث لذة ذهنية لدى المتلقى ويدفع عنه الملل والضجر ، خلاف السير على أسلوب واحد ، ورتابة نمطية موحدة.

1 - فاطر ، الآية :09

2 - الكهف ، الآية : 47

3 - البرهان ، ج 3 ، ص 197

التجنيس (الجناس)

الجناس من المحسنات اللفظية التي تزين اللفظ ، وتلبسه حللا قشبية جميلة يكون لها بالغ الأثر في النفوس ، فتستميل إليها السامع ، وتجعله يتلذذ بنغماتها العذبة كما تضفي على العبارة جمالا ورونقا لسهولة وقعها على الأذن ؛ مما يجعلها مستساغة مقبولة ذات تأثير وتأثر ، وتقع من القلوب موقعا حسنا .

ولذلك يقول عبد الفاهر الجرجاني : "وعلى الجملة فإنك لاتجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالاحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه"¹

فالجناس الحسن من منظور الشيخ عبد الفاهر الجرجاني ما كان مطبوعا غير متكلف ، طلبه المعنى ولم يطلبه اللفظ .

وللجناس دلالات وتعريفات كثيرة ومتعددة عند علماء البلاغة ، وإن كان أغلبها يتفق على أن الجناس هو توافق اللفظتين في النطق ، واختلافهما في المعنى . ولذلك عرفه ابن الأثير بقوله : " وحقيقته أن يكون اللفظ واحدا ، والمعنى مختلفا"² .

وهذا التعريف الذي قدمه ابن الأثير للجناس ، وحسب استقراءنا لجملة من التعاريف الأخرى ، ألفيناه أكثر تحديدا وشمولا من غيره . فمثلا القزويني يعرفه بقوله : " الجناس بين اللفظين ، وهو تشابههما في اللفظ "³ .

ونظرا لما يحققه الجناس من جماليات وآثار في الإبداع والمتلقي على حد سواء ، ألفيناه البلاغيين اعتنوا بالجناس عناية فائقة ، لما له من قيمة تعبيرية في تشكيل الصياغة الأدبية سواء أكان ذلك على صعيد المنظوم ، أم المثور . حيث نجد أن الجناس ورد في القرآن الكريم ، والهدي النبوي الشريف ، والشعر العربي ولم يخل منه لون من ألوان الإبداع .

¹ - عبد الفاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص 14، 15

² - ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الباب الحلبي ، مصر ، 1939م (د ط) ، ص 246

³ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 431

ويعتبر ابن المعتز أول من تناول هذه الظاهرة الفنية في كتابه البديع ، ومثل لها بـ شواهد كثيرة ومتنوعة.

التجنيس عند الزركشي :

عد الزركشي الجناس من المحسنات اللفظية لا المعنوية ، حيث يقول : "اعلم أن الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ، ولهذا تركوه عند قـ وة المعنى بتركه¹ ، فالزركشي يوضح أن الجناس من المحسنات اللفظية ، ليس من المحسنات البديعية المعنوية ، لأن هناك من زعم أن الجناس محسناً لفظياً ومعنوياً في آن ، واصطلح على بعض أنواع الجناس بالجناس المعنوي .

لكن جمهور العلماء تعدد الجناس من المحسنات اللفظية لا المعنوية. والزركشي في مبحث الجناس لم يعرفه ، وإنما اكتفى بالتطبيق ، وإيراد الشواهد القرآنية على بعض من أقسامه ، ومن الأقسام التي استدل عليها مايلي :

1- الجناس التام .

2- الجناس الناقص.

3- الجناس المضارع .

4- الجناس اللاحق .

5- الجناس المصحف .

6- جناس الاشتقاق.

1- الجناس التام :

وهو أن تتفق اللفظتان في أربعة أمور ، وهي : نوع الحروف ، وعدها وهيأتها ، وترتيبها .

¹ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 277

وعبر عنه بقوله : وهو إما بأن تتساوى حروف الكلمتين ¹ نحو قوله تعـالى : ويـوم تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبَوُا ².

وأخطأ في تسمية الجناس ، بأنه جناس تام ، في قوله تعالى : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ³ فهذا ليس جناساً تاماً كما قال الزركشي ، بـل هــو جناس محرف ؛ لأن الجناس المحرف : هو اختلاف في هيئة الحروف ، فالأولى مفتوحة " الذال " ويفصد بها الرسل ، والثانية مكسورة "الذال " ويعني بها الأمم والأقوام ⁴ .

2- الجناس الناقص :

وهو ما عبر عنه بقوله : وإما بزيادة إحدى الكلمتين

كقوله تعالى : وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ⁵.

3- الجناس اللاحق :

وهو ما عبر عنه بقوله : وإما بزيادة إحدى الكلمتين ⁶ كقوله

تعالى : وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⁷ ويكون فيه الحرفان مختلفين في المخرج.

4- الجناس المعارض :

ويكون فيه الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج . نحـو قولـه

تعالى : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّلاَصِرَةٌ إِلَىٰ رِبِّهَا نَاطِرَةٌ ⁸.

¹ - البرهان ، ج3 ، ص 275

² - الروم ، الآية : 55

³ - الصافات ، الآية 72،73

⁴ - البرهان ، ج3 ، ص 275

⁵ - القيامة ، الايتان : 29،30

⁶ - البرهان ، ج3 ، ص 275

⁷ - العاديات ، الايتان : 7،8

⁸ - القيامة : 22،23

وقوله تعالى : **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ** ¹.

وقوله تعالى : **ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقُّ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ** ².

وعدها من الجنس اللاحق ، ولكنها في حقيقة أمرها من الجنس المضارع .

5- الجناس المصحف :

وهو ما عبر عنه بقوله : وإما في الخط ، وهو أن تشبيها في الخط

لا اللفظ ³ ، وهو ما تماثل اللفظان في الخط ، وتخالفا في النقط .

ومثل له بقوله تعالى : **وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ⁴

6- جناس الاشتقاق :

وهو ما عبر عنه بقوله : " وهو أن تكون الكلمات يجمعها -أصل- ل

واحد في اللغة ⁵

كقوله تعالى : **فَأَوْمَ وَجْهٍ لِّلَادِينِ الْقِيمِ** ⁶

وقوله تعالى : **فَرُوحٍ وَرِيحَانٍ** ⁷.

وقوله تعالى : **وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ** ⁸.

وفي باب التأكيد على أن الجنس من المحسنات اللفظية لا المعنوية ، وأن الجنس

يترك عند قوة المعنى ، يشير الزركشي إلى لطيفة من اللطائف يؤكد من خلالها هذه

¹ - الأنعام ، الآية : 26

² - غافر ، الآية : 75

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 276

⁴ - الكهف ، الآية : 104

⁵ - البرهان ، ج 3 ، ص 276

⁶ - الروم ، الآية : 43

⁷ - الواقعة ، الآية : 89

⁸ - الرحمن ، الآية : 54

القضية :يقول تعالى : **وَمَا أَتَىٰ مِثْلُهَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**¹ قال : معناه :ومـا أـتـت بمصدق لنا ولوكننا صادقين " ، فإنه يؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية التجنيس اللفظي؟ .
والجواب أن في " مؤمن لنا " من المعنى ما ليس في " مصدق " وذاـك أـتـت إذا قلـت : "مصدق لي " فمعناه : قال لي : صدقت ، وأما "مؤمن " فمعناه مـعـ التـصديق إعطـاء الأمن ، ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ؛ فهذا عدل إليه .

فتأمل هذه اللطائف الغريبة ، والأسرار العجيبة ، فإنه نوع من الإعجاز²

ومن الفوائد التي ذكرها الزركشي ، ما قاله الخفاجي : " إذا دخل التجنيس نفي عد طباقا . كقوله تعالى : **أَلَمْ يَسْتَوِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**³ وفـي هـذا يـخـتـلـط التجنيس بالطباق .

خلاصة القول :

لجوء الزركشي إلى التطبيق والاكتفاء بالشواهد ، دون الاهتمام بالتنظير ، كما أن عن قصد ؛ لأن الغاية التي يسعى إليها من خلال المصطلح البلاغي تكمن في الكشف عن أسرار الجمال في أي الذكر الحكيم ، وكذا الوقوف على جوانب إعجازه .
ومن هنا فالجناس ليس من قبيل الترف اللغوي ، أو التلاعب بالألفاظ ، أو التفنن في توليد الجمل وصناعتها ، أو محسنا خارجيا إضافيا ، وإنما هو أسلوب فني جمالي في التعبير ، يضيف معاني جديدة إلى الأفكار ، ويزيد في جماليات العبارة .

ولتحقيق الجاذب الفني والمتعة الجمالية للجناس في التعبير الإبداعية ، لابد من الاستخدام الدقيق لهذا المحسن ، ووضعه في التعبير المناسب ، بحيث يحافظ على تأثيره في المتلقي والإبقاء على صيرورته ، وفاعليته ، وإن يتأتى له ذلك إلا بمراعاة الآتي :

1 - الاقتصاد في استخدام الجناس بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى المعبر عنه .

2 - السهولة والابتعاد عن التكلف والتعسف .

3 - أن يكون صادرا عن قريحة فياضة ، وذوق رائع ، وحس مرهف .

¹ - يوسف: الآية: 17

² - البرهان ، ج 3 ، ص 278

³ - الزمر ، الآية: 9

4- أن يصبو الجناس إلى تشكيل الصورة الفنية الأدبية ، والجاذب الصوتي بموسيقاه الداخلية .

رد العجز على الصدر

أول من أشار إلى مصطلح رد العجز على الصدر ابن المعتز في كتابه " البديع " إذ لا نكاد نقف له على مثل في المحاولات البلاغية السابقة عليه ، وسماه "رد أعجاز الكلام على ما تقدمها"¹.

ولم يقدم ابن المعتز تعريفا له ، وإنما اكتفى بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام ، مشفعا إياها بشواهد متنوعة.

أما الأقسام الثلاثة التي ذكرها لهذا الفن هي :

1- توافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في نصفه الأول :

نحو قول الشاعر :

تلقى إذا ما الأمر كان عمرمرما في جيش رأى لايفل عمرمرم

2- توافق آخر كلمة في البيت أول كلمة في نصفه الأول :

مثاله قول الشاعر :

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه وليس إلى داعي الذدى يسريع

3- توافق آخر كلمة في البيت بعض مافيه ، ويقصد ب (بعض ما فيه) أول كلمة

في النصف الثاني من البيت .

نحو قول الشاعر :

عميد بني سليم أقصدته سهام الموت وهي له سهام

¹ - ينظر ابن المعتز ، كتاب البديع ، ص 47

ومن خلال القسمة التي أوردها ابن المعتز لما يتعلق بـ "رد العجز على الصدر" يتبين أنه قصره على المنظوم دون المنثور . لكن جمهور العلماء وعلى رأسهم الخطيب القزويني أثبتوا أن "رد العجز على الصدر" يرد في المنظوم والمنثور على حد سواء. يقول القزويني و "رد العجز على الصدر" هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين ، أو الملحقين بهما في أول الفقرة ، والآخر في آخرها¹. وعرفه البلاغيون بقولهم : "إرجاع العجز للصدر" ، بأن ينطق به كم - انط - ق بال - صدر ... ولا يستغنى أحدهما عن الآخر².

ورد الصدر على العجز هو لون من ألوان المماثلة اللفظية قوامه أن يرد الم - تكلم أعجاز الكلام عن صدوره ، فيرد بعضه على بعض . ويتبع في المنظوم والمنثور . ومثاله من منثور العرب قول العرب : "القتل أنفى للقتل" أما المنظوم فقد مثلنا له سلفا . وأشار النقاد إلى أن رد الصدر على العجز من أقوى درجات تماسك النص وفي الشعر القديم .

رد العجز على الصدر وعكسه عند الزركشي :

اكتفى الزركشي بالتمثيل له بشواهد قرآنية ، دونما إيضاح أو تفسير ، وقد يك - ون ذاك حسب اعتقادنا إشراكا للمتلقي حتى يتدبر ، ويتأمل .

من الشواهد التي ذكرها :

- قال تعالى : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون³ .
 وقوله تعالى : وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا⁴ .
 وعكسه نحو قوله تعالى : لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ⁵ .

¹ - الإيضاح ، ص 438، 439

² - الدسوقي ، حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ، دار السرور ، بيروت ، (د ت) ، (د ط) ، ج 4، ص 433

³ - الأنبياء ، الآية : 37

⁴ - المائدة ، الآية : 96

⁵ - الممتحنة ، الآية : 10

وقدره الزمخشري ، أي لا حل بين المؤمن والمشرک ، والآية صرحت بنفي الحل مـ ن
الجهتين ، فقد يستدل بها من قال : إن الكفار مخاطبون بالفروع¹.

ومثله قوله تعالى : لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
وطعامكم حل لهم² أي نبأحكم وهذه رخصة للمسلمين.

وارد العجز على الصدر وعكسه جماليات عديدة ، لعل من أبرزها اثنتان وهما :

1- إحداث إيقاع موسيقى يترك بالغ الأثر في النفس .

2- إحكام الربط والسبك بين أجزاء البيت ، أو الفقرة.

وتأسيسا على ما سبق ذكره من محسنات بديعية عند الإمام الزركشي مـ ن خـ لال
كتابه البرهان في علوم القرآن ، يمكن أن ندرك القيمة الجمالية للمحسنات ، فهي ذات
علاقة بتحسين إيقاعات الكلام ، وتجويده ، وتلطيف أنغامه ، وتناسب مقاطعه ، وانسجام
أجرامه ، وهي ذات أثر في الإيضاح ، عند تعرض المتمـثلات والمتـضادات فتـشـحـذ
الأذهان على عمل المقارنات والمقاربات ، وهي ذات أثر تشويقي منشط ، عندما تـدفع
الذهن لتوقع صورة الكلام . وهي بعد ذلك أداة لإضافة الحيوية على الكلام ، ونفـي
الجمود عنه.

¹ - البرهان ، ج 3 ، ص 286

² - المائدة ، الآية : 05

الفصل الخامس

قضية الأسجاع والفواصل في القرآن

المبحث الأول : السجع في القرآن

- ماهية السجع
- أضرب السجع ومراتبه
- السجع بين الرّفص والإثبات
- في آراء الرافضين
- من آراء المثبتين
- رأي الزركشي
- القيمة التعبيرية للسجع
- خلاصة

المبحث الثاني : الفاصلة في القرآن

- ماهية الفاصلة
- إيفاع المناسبة في مقاطع الفواصل
- أقسام الفاصلة
- طريق معرفة الفاصلة
- مبنى الفواصل على الوؤف
- ائتلاف الفواصل مع مضمون الآيات
- أ - التمكين
- ب - التصدير
- ت - التوشيح.
- ث - الإيغال
- من فوائد الفاصلة القرآنية
- الجديد عند الزركشي في مبحث الفواصل
- جماليات الفاصلة القرآنية
- خلاصة

السجع في القرآن:

ماهية السجع:

لاشك أن السجع ظاهرة أدبية فنية جمالية قديمة في الأدب العربي ، ظهرت قبل أن تؤسس البلاغة العربية ، والسجع ظهر مع الكهنة.

ويشكل السجع مظهرا - بالأهمية بمكان - للكتابة العربية ، شهد على قدمه السجع في الأدب العربي الناقد جولد تسهير حيث يقول : "أن السجع هو أقدم نماذج الكلام الشعري في اللغة العربية ، وأنه ليسبق زمنا الرجز والقصيدة"¹.
والسجع يعتبر من المظاهر التي اتسمت بها الكتابة العربية ، ويميزها عن غيرها من لغات وإبداعات الأمم الأخرى ، وإلى هذا أثار ديفن قائلا : "فإن السجع يشكل ملمحا في غاية الأهمية من ملامح الكتابة العربية ، سواء في ذلك الأدب الراقي والأدب الشعبي"².

ومن ثم ألفينا السجع يحتل مكانة مرموقة ، ومنزلة سامقة في الجاهلية وكان أغلب كلام العرب في الجاهلية يحتفي بالسجع الجميل ، لأنه كان يصدر عن طبع أصيل ، وسليقة صافية ، وفطرة واضحة .
وإلى جانب هذا السجع المطبوع الجميل الصافي ألفينا سجعا متكلفا متصنعا ، ينم عن فساد الطبع ، وضعف في السليقة ، وهذا ما عرف بسجع الكهان الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الكهنة يزعمون معرفة الغيب ، ويحتالون على الناس بمثل هذا الكلام المسجوع .

¹ - ديفن ج سيتوارت ، السجع في القرآن ، تر، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1998م (ب ط)، ص 07
² - المرجع نفسه ، ص 05

وإلى جانب هذا أيضا ظهر سجع آخر أكثر سماجة ، وإغراقا في الضلال والكذب وهــ و سجع المتنبيين من أمثال : مسيلمة الكذاب ، وغيره.

إذا فما هو السجع لغة واصطلاحا؟

السجع لغة :

مصطلح السجع في اللغة مشتق من لفظـة (س،ج،ع) الثلاثية ، وتقدّم لنا معجمات اللغة لفيها من المعاني التي توجهنا إلى أصل اشتقاقه ؛ بحيث تكاد يتشبه بعضها ببعض .

يقول ابن منظور في معجمه لسان العرب :

سجع ،يسجع ، سجعا : استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا ¹.

ويقول ابن سيده في معجمه المحكم والمحيط الأعظم :

سجع ،يسجع ، سجعا : استوى واستقام ، وأشبه بعضه بعضا

وسجع الحمام يسجع سجعا : هدل على جهة واحدة... إلخ ².

وجماع القول في لفظة السجع من خلال معجمات اللغة العربية تكاد تتفق على أن السجع

لغة بمعنى :

- الاستواء والاستقامة.

- يشبه بعضه بعضا.

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سجع) تح عبد الرحمان محمد قاسم النجدي / دار صادر بيروت 1992 ، ط1

² - ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تح مصطفى السقا ، وحسين نصار ، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ط1 (د ت) ، مادة (س،ج،ع) ، ج1 ، ص178

السجع اصطلاحاً:

أورد علماء البلاغة تعاريف جمّة ومتنوعة لمصطلح السجع مـن الناحية الاصطلاحية اختلفت لفظاً وعبارة ، واتفقت مضموناً ومعنى. ومن هذه التعاريف ماذهب إليه ابن الأثير حيث عرفه بقوله : "السجع هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"¹ وعرفه القزويني بقوله : "السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد وأضاف : "وهذا معنى قول السكاكي : الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر"². ومن خلال هذين التعريفين نستشف أن السجع خصيصة من خصائص النثر، وليس مـن خصائص الشعر ،خلاف ما يذهب إليه بعض البلاغيين ، حيث أشركوا الشعر في ذلك ، ورأوا أن السجع من خصائص الشعر أيضاً

أضراب السجع ومراتبه :

قسم البلاغيون السجع باعتبار الوزن إلى أربعة أضرب :

- 1- المرصع : وهو ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقنية، نحو قوله صلى الله عليه وسلم : "اللهم أعط منقفا خلفاً وأعط ممسكا تلفاً"³.
نحو قوله تعالى : إِنَّ الْبِرَّ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ⁴.
- 2- المتوازي : وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين ، نحو قوله تعالى :
فيها سرر مرئوعة وأكواب موضوعة⁵.

¹ - ابن الأثير ، المثل السائر ، تج ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، 1995 ، (د ط) ، ج 1 ، ص 95

² - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق ، د/عبد المنعم خفاجي/ ط 3 ، 1971 م ، ص 547

³ - مسلم ، صحيح مسلم ، تج : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 11995 م ، ج 1 ، ص 700

⁴ - الإنفطار ، الأيتان 13 ، 14

⁵ - الغاشية ، الأيتان 13 ، 14

3- **المطرف** : وهو ما اختلفت فاصلته في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى: **ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً**¹.

4- **المتوازن** : وهو اتفاق الفاصلتين في الوزن دون التقفية .

نحو قوله تعالى : **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزُرِّيٌّ مَبْثُوثَةٌ**².

وقسمه البلاغيون من حيث الطول والقصر إلى ثلاثة أقسام :

1- **سجع قصير** : وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة :

- نحو قوله تعالى : **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * وَالْعاصِفَاتِ عَصْفًا**³.

- وقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ**⁴.

وعد علماء البلاغة السجع القصير من أجود أنواع السجع ، وكذا من أو عرّها مسلكا ، وأصعبها تناولا ، لأن السجع إذا صيغ بألفاظ قصيرة ، صعب فيه الإتيان بالسجع لقصر تلك الألفاظ ، لذلك يقول عبد القادر حسين مبينا صعوبة السجع القصير : "والقصير هــ و أصعب أنواع السجع مسلكا ، وأطيبها على السمع وأخفها على القلب ؛ لأن الألفاظ إذا كانت قليلة ، فهي أحسن وأرق ، لقرب فواصلها ، والتحام أطرافها"⁵.

ومن هنا يتضح أن السجع القصير يدل على مدى تمكن المتفطن في الصناعة ، وقدرته على الإبداع ، وغير خاف ما لقلة الألفاظ من جماليات تنبئ عن رقة الفواصل والتحام أجزائها ، ومدى وقعها وتأثيرها في النفوس.

¹ - نوح ، الآيتان 13، 14

² - الغاشية : الآية 15، 16

³ - المرسلات ، الآيتان 1، 2

⁴ - المدثر ، الآيات 1، 2، 3، 4

⁵ - د، عبد القادر حسين ، فن البديع ، دار الشروق ، بيروت ، (د ت) (د ط) ، ص 128

2- السجع المتوسط: وهو أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول طولا ولا يـخـرج

به عن الاعتدال خروجاً كثيراً.

نحو قوله تعالى : **اِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا يَبَسٌ - حَرِ**
مَسْتَوِرٌ¹

3- السجع الطويل : وهو خلاف الأول ، نحو قوله تعالى : **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ**

مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَعُذِّبْنَا حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ².

ومن العلماء من قسم السجع من حيث الطول والقصر إلى قسمين:

1- قصير .

2- طويل .

ومن هؤلاء ابن الأثير حيث لخص كلامه في السجع طولا وقصرا ، مـ -صنفا إيـ -اهـ إلىـ
صنفين :

أ- سجع قصير :

وفيه تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة ، وكلمـ -اـ قـاـ تـ
الألفاظ ، كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع ..

ب- سجع طويل :

وهو ضد الأول ؛ لأنه أسهل متناولا ، وإنما كان القصير مـ -نـ الـ سجع
أوعر مسلکا من الطويل ، لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع

¹ - القمر ، الأيتان : 2، 1

² - التوبة ، الأيتان : 129، 130

فيه لقصر تلك الألفاظ وضيق المجال في استجلابه ، وأما الطويل ، فإن الألفاظ تطول فيه ، ويستجلب له السجع¹

ومهما يكن من أمر فيما يتعلق بتقسيم السجع من حيث الطول والقصير فإن القصير هو الأجود بإجماع العلماء.

والسجع من حيث الأضراب صنفه العلماء إلى مراتب ومنازل ، فلاحظوا أن :
المرصع يأتي في المرتبة الأولى ويليه المتوازن وفي المرتبة الثانية ، ثم المتوازي في المرتبة الثالثة ، والمطرف في المرتبة الأخيرة .
كما ميزوا السجع من حيث تساوي القرائن أو اختلافها إلى :

1- قرينتين متساويتين لالتزيد إحداهما عن الأخرى : نحو قوله تعالى : قَالَمَا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَلْمَا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ² .

2- قرينتين الثانية منهما أطول من الأولى : كقوله تعالى : بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَنَّاتٌ ضَرْبًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا³

3- قرينتين الثانية منهما أقصر من الأولى : وهو في نظر البلاغيين عيب في التعبير ؛ لأن السامع يكون قد استوفى أمده في القرينة الأولى بحكم طولها ، ثم تجئ الثانية قصيرة ، فتكون مبتورة يقطع الإنسان عن دسـماعها ، فيتهياً نفسياً للوصول إلى غاية معينة ، ثم يتعثر دونها.

¹ - ينظر ، المثل السائر ، ج1 ، ص 236

² - الضحى ، الأبتان : 10،9

³ - الفرقان ، الآيات 11،12،13

السجع في القرآن بين الرفض والإثبات :

الفواصل القرآنية من الموضوعات الشائكة التي دار حولها جـ.دـل ونقـ.اش شديدان قديما وحديثا ، وتصدى لهذا الموضوع ليف من خيرة علماء الأمة ومـ.دار الخلاف أن هؤلاء العلماء حاولوا ربط الفواصل القرآنية بقضية السجع .مـ.أدى إلى تبليين وجهات النظر ، وترتب عن ذلك انقسام هؤلاء العلماء إلى فريقين:

فريق يرى أن السجع لا يقع في القرآن ، وما جاء في القرآن ، فهو مـ.ن قبيـ.ل الفواصل ، وفريق آخر : يرى أن السجع واقع في القرآن الكريم ، كما أن الفواصل واقعة فيه أيضا . ومن العلماء القائلين بعدم وقوع السجع في القرآن الرماني (ت 386هـ) ، والذي يعد من خيرة علماء القرن الرابع الهجري ، فهو يرى أن الفاصلة القرآنية تعد من قبيـ.ل البلاغة العالية التي انتصفت بها آيات القرآن وليست مجرد إيقاعات وأجـ.راس صـ.وتية لاتخرج عن السجع وألوانه ، فأبان أن مثل هذا الحكم يعد خطأ شـ.نيعا ، وشـ.ططا فـ.ي الفهوم يخرجها عن جمال بلاغة القرآن وروعته ، وفي هذا يقول الرماني : " الفواصلـ.ل بلاغة والأسجاع عيب ذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ¹ .

ومن المنكرين لوقوع السجع في القرآن الباقلاني حيث يقول : "لو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ² "

فنفاة السجع أسسوا رؤيتهم على أن السجع ارتبط بالكهان فـ.ي الجاهلية وعـ.رف كلامهم بسجع الكهان ، ورأوا أن الكهنة استغلوا السجع في إحقاق الباطل ودحض الحق ، واستغلال حاجات الناس ، ويبقى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن السجع هو السبب

¹ - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 90

² - المصدر نفسه ، ص 111

الرئيس في كراهة السجع ونفيه من القرآن الكريم عند هؤلاء وطريقة فهمهم وتخـرجهم لهذا الحديث ، والحديث النبوي الشريف قصته "أن حمل بن مالك بن التابغة كان قد تزوج بامرأتين : يقال لإحدهما مليكة بنت ساعدة ، وللأخرى : أم عفيفة بنت مـسروح : ، فتعايرتا كما هو الشأن دائما بين الضرتين ، فضربت أم عفيفة مليكة بمسطح بيتهـا ، أو بعمود فسطاطها ، وهي حامل فألقت جنينها ورفعت قضيتها إلى النبي صـلى اـ عليه وسلم ، ففضى على عاقلة الضاربة بغرة ؛ عبد ، أو أمة . فقال أخوها العلاء بن مسروح يا رسول اـ أتغرم من لا أكل ، ولا شرب ، ولا نطق ، ولا استهل فمثل هذا يطل ؟"¹ فقال عليه السلام : أسجع كسجع الجاهلية ؟ ويروى قول النبي صـلى اـ عليه وسلم بـروايات عدة .

ويبدو أن العلاء بن مسروح كان يتشادق بقوله المسجوع ، ويعترض من خلاله على حكم النبي صلى اـ عليه وسلم .

والأنشاعة اتخذوا من هذه القصة متكأ لهم ، استندوا عليه في تسويغ موقفهم الرافض لوقوع السجع في القرآن.

أما الفريق المثبت للسجع في القرآن ، وقفوا عند حديث رسول اـ صلى اـ عليه وسلم : "أسجع كسجع الجاهلية " موقوف المتدبر المدقق ، فتوصلوا إلى أن الرسول صلى اـ عليه وسلم ، لم ينف السجع على الإطلاق ، وإنما قيد كراهة السجع ونمى إذا كان صادرا عن الكهنة .

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول : أن السبب الرئيس في قضية نفي السجع ، أو وقوعه في القرآن ؛ اختلاف العلماء في تخريج هذا الحديث ، وتباين الفهوم إزاءه.

وقد قدم النفاة للسجع والمثبتون حججا وأدلة يؤيدون وجهـات نظـرهم ، وهذه الأدلة والحجج مبثوثة في ثنايا الكتب ، ولذلك لن أطيل في سرد تلك الآراء وأدلتها ، وإنما أوجز أهمها مع بيان الرأي الأمثل فيها .

¹ - مسلم ، صحيح مسلم ، تح ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط 1995 م ، ج 3 ، ص 1309

أولا : من حجج المانعين :

- استند المانعون إلى أن السجع منهي عنه شرعا ، وحجتهم في ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم لذلك الساجع في قضية المرأتين المشار إليها سلفا .
- السجع مقصود لذاته ، وذلك أن المعنى يتبع فيه اللفظ ، فتلوح عليه أمارات التكلف والتعسف .
- لو صح أن في القرآن سجعا لكان مذموما .
- لو صح ورود السجع فيه لم يكن معجزا ؛ لأنه يكون جاريا على أساليب كلام العرب ، لو جاز أن يقال : هو سجع معجز لجاز أن يقال : هو شعر معجز .
- السجع كان يتعاطاه الكهان من العرب ، وإذا كان قد نفى الشعر عن كتابه ، فإن نفي السجع أولى ؛ لأن الكهانة تنافي النبوات .
- وأغلب هذه الأدلة والحجج وغيرها أوردها الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن في باب نفي السجع عن القرآن .

ثانيا : من حجج المجيزين :

- ورود السجع بكثرة في القرآن الكريم ، بل إن بعض السور قد جاءت كلها مسجوعة على حرف واحد ، كسورة "النجم" و "القمر" و "الرحمن" وغيرها .
- وجود السجع في القرآن لا ينفي الإعجاز عنه ؛ لأن في القرآن فنونا أخرى من أساليب العرب في كلامهم ؛ (كالاستعارة ، والتطبيق ، والكنية ، والجناس) وغيرها ، ولم يقل أحد بنفي شيء منها .
- كل ما جاء في القرآن من سجع ، فهو من الطبقة العليا في الفصاحة والبلاغة والقوة ، والصفاء ، والجمال ، سواء المتحد الفواصل منه ، والمتقارب .

- لو كان القرآن نازلا على غير أساليب العرب لما صح أن يتحدثوا به ، ولم-ا-ك-ان للإعجاز حينئذ معنى ... وغيرها من الأدلة.

من خلال هذه الحجج والأدلة والأسباب لكل من المانعين ، والمجيزين لقضية السجع في القرآن ؛ تبين ، ودون مرأى ، وإحقاق الحق الذي لامرية فيه أن ت-سمية بع-ض ص-ور التعبير في القرآن العظيم سجعا لجريها على ما وضعوه من ضوابط أم-ر م-سلم ، ولا جدال فيه . أما الفرار من ذلك إلى التسمية بالفواصل ، فلا يغير من الواقع شيئا ، إلا أن يكون هذا اصطلاحا آخر سمي به السجع الوارد في القرآن فواصل - فلا م-شاحة في التسمية .

رأي الزركشي في قضية السجع في القرآن:

الزركشي من القائلين بوقوع السجع في القرآن ، بدليل أنه - في - رق ب-ين الأسجاع والفواصل ، وبين أن الأسجاع حروف متماثلة - في - مق-اطع الف-صول ، وأن الفصول منها ما يكون متماثل الحروف في المقاطع فيكون سجعا ، ومنها ما يكون متقاربا لا متماثلا فلا يكون سجعا ، وكل من التماثل والمتقارب ؛ إما أن يكون عفويا سهلا تابعا لمعناه ، وإما أن يكون على الضدين ، ذلك فالأول محمود ، والثاني مذموم.¹

والقرآن ورد فيه القسمان جميعا ؛ التماثل والمتقارب وكلاهما - في - الق-سم محمود ، واستند في ذلك على ما قاله ابن سنان الخفاجي ، ثم بين قول حازم القرط-اجي من "أنه كيف يعاب السجع على الإطلاق ، أو إنما نزل القرآن على أساليب الفصح م-ن كلام العرب ، وإنما لم يجئ على أسلوب واحد ، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 65

مستمررا على نمط واحد لما فيه من التكاف ، ولما في الطبع مـ ن المـ ل عليـ ه ، ولأن الافتتان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعـ ضها غير متماثل ¹.

ومما سبق يتأكد لنا أن الزركشي يقر بوقوع السجع في القرآن لقولـ ه: "...وأن الفصول منها ما يكون متماثل الحروف في المقاطع فيكون سجعا" ² والزرکشي يؤكد وجود السجع في القرآن إلى جانب وجود الفاصلة فيه . ومن ثم يمكن القول :أن تأكيد وقوع السجع في القرآن ، هو بمثابة تحقيق للفاصلة فيـ ه ، وإذالك يقول : "والقرآن ورد فيه القسمان جميعا المتماثل والمتقارب وكلاهما في القرآن المحمود" ³.

إن الخلاف الواقع بين المانعين لوقوع السجع في القرآن ، والمجوزين ، يعد خلافا شكليا ، مادام الفريغان متفقين على أن الفاصلة تخص القرآن والسجع يخص غيره . فالواصل القرآنية منها المسجوع ، ومنها المرسل . ومن هنا يتضح جليا أن الخلاف القائم بين المؤيدين والمانعين لا يعدو أن يكون خلافا شكليا ، ويزيد ذلك درس البلاغـي الصوتي ثراء وغنى .

وفي اعتقادنا أن القرآن فيه سجع ، ولكنه يختلف عن السجع البشري المتكاف المـ صنوع المذموم ، فهو سجع قمة في التناسق ، وغاية في الانسجام ؛لأنه جاء لتحقيق غاية جمالية من حيث الإيقاع والتناسب والتناغم مما يؤدي إلى إحداث التأثير النفسي لدى المتلقي .

¹ - حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1981 ، ص 388،389

² - ينظر ، البرهان ، ج1 ، ص 65

³ - المصدر نفسه ، ص ن

وغاية أخرى تجلت في زيادة الإيضاح للمعنى وإبراز الفكرة في أبهى صورها وأزهى رونقها وجمالها .

إن السجع في القرآن لم يكن ضرباً من الترف اللغوي ، والبذخ البلاغي إنما هو تأثير ، وإيقاع ، وإنسجام ، وتجانس ، وجمال ، وزيادة إيضاح .
خلاف ما نلمسه في كثير من التعبيرات البشرية ؛ لأنه باختصار كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد.

من جماليات السجع :

لاشك وأن النفس البشرية تميل بفطرتها إلى الكلام المنسجم المشحون بالإيقاع ، المعتدل في الألفاظ والعبارات ، وغير خاف ما للكلام المتساوي الفواصل من وقع وأثر في النفوس ، ولعل هذه السمات أغلب ما تتوافر في الكلام المسجوع ، الذي يشعر النفس بالراحة ، ويحدث بداخلها جواً من الإثارة واللذة ، وعلة ذلك تناغم الكلام المسجوع ، وانسيابه ، وتناسبه مع إيقاعه المتوازنة المنسجمة .
يقول ابن الأثير : " وإذا كانت مقاطع معتدلة ، وقعت من النفس موقع الاستحسان ، وهذا لا مرأى فيه بالطبع " ¹.

ولهذه الخصائص التي يتسم بها الكلام المسجوع كثرت فوائده منها :

- 1- قدرته على استمالة النفوس والتأثير فيها.
- 2- الكلام المسجوع أسهل حفظاً من غيره ، يقول الجاحظ : " وقيل لعبد الله - صمد بن المعذل ابن عيسى الرقاشي : لم تؤثر السجع على المنشور ، وتلزم نفسك الله - وفي إقامة الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافاً علي ، ولكنني أريد الغائب ، والحاضر ، والراهن ، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، ولقلة التفات ، وما تكلمت به العرب من جيد

¹ - ابن الأثير ، المثل السائر ، ج 1 ، ص 33

المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم تحفظ من المنثـ ور عـ شره ، ولا ضاع من الموزون عشرة¹.

ويستشف من مقولة الجاحظ أن الكلام المسجوع يشكل ظاهرة نفسية ، ويكشف ما للإيقاع والأنغام ، والأجراس ، والأوزان في أفنان القول من دور بالغ في شد النفس إلى النص والعمل على تيسير حفظه.

يقول إبراهيم أنيس : " والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجباً وذاك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لتكون منها جميعاً متداك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن المقاييس الأخرى².

نستشف من كلام إبراهيم أنيس أن الكلام المتصف بالإيقاع والأجراس يؤثر في النفس ، ويثير الانتباه ، ويحرك المشاعر ، ويهز الأحاسيس . وهذه سمات الكلام الموزون عامة فما بالك إذا كان الكلام مسجوعاً . ومن ثم فالسجع لون من الألوان البديعة اللطيفة ذات الإيقاع الجميل المحبب إلى النفوس ، المؤثر في القلوب مالت إليه العرب منذ القدم ، وأحبته حتى النخاع ، وأغلب كلامها كان مسجوعاً.

ولرب سائل قد يسأل : لماذا شغفت العرب بالسجع وكثر في كلامهم ؟ والجواب لأن النفس البشرية جبلت على الانسجام مع الأنغام الشجية ، والأجراس المثرية والألحان الجميلة .

والنفوس تستجيب للأنغام البديعة ، وتنفر من الإيقاعات المعتلة الناشزة . كذلك السجع إذا كان غير متكلف ولا متعسف أحبته النفوس ، وإذا كان غير ذلك نفرت منه الطباع ، واشمأزت منه الأئدة . ولذلك يقول بكري شيخ أمين : "إن الفطرة في كل عناصر الحياة مع النغمة الشجية واللحن الجميل³

¹ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 278

² - د، إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 3 ، 1965م ، ص 13

³ - د، بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم البديع دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 2002م ، ج 3 ، ص 126

والسجع فن من فنون الكلام الرفيعة ، ومحكّ التمكن والاعتدال على التعبيـر الجميـل ، ودلالة على قدرة التحكم في تشكيل ألوان متعددة ومتباينة أثناء الكلام ، ومن ثمـ م ، فـإن السجع إذا جاء بمنأى عن التكلف والتزلف ، والتعسف ، وجاء محمولا على ما تجيش به الطبائع ، وتجوّد به القرائح ف يسر وتناسق ، يصدر عن صاحبه كمـالتـصدر الميـاه الرقراقة في جداولها ، تنساب انسيابا ، فذاك أعلى درجات الكلام ، وقمة الإبداع والتفنن ، وأصفى موارد الجمال وأعلى مراتب البيان.

وسيطل السجع - بلاريب - تاج الكتابة ، ولؤلؤة الأساليب العربية منذ العصر الجـاهلي إلى أن يرث الأَرْض ومن عليها.

الفاصلة في القرآن

ماهية الفاصلة :

الفاصلة لغة : الحاجز بين الشيئين .

قال صاحب قاموس المحيط :

الفصل : الحاجز بين الشيئين ، وكل ملتقى عظمين من الجسد كالمفصل ، والحق - ق م - ن

القول ، ومن الجسد : موضع المفصل ، وبين كل مفصلين وصل .

والقضاء بين الحق والباطل .

والفاصلة : الخرزة تفصل الخرزتين في النظام ...¹

الفاصلة اصطلاحاً :

تبيّنت آراء الدارسين والباحثين في تعريف الفاصلة من الوجهة الاصطلاحية وبيّنت

التباين في الصياغة واللفظ ، ولكن أغلبها يتفق في المعنى .

أغاب علماء التفسير وعلوم القرآن يرون أن الفاصلة هي : الكلمة الأخيـرة مـن الآية

القرآنية .

من أهم المفاهيم للفاصلة عند العلماء :

عرفها الرماني بقوله : "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجهـ ب حـ سـ ن

إفهام المعني"².

ويتضح من خلال ما يذهب إليه الرماني أن وظيفة الفاصلة تكمن في فهم

والإفهام . أما أبو بكر الباقلاني فعرفها بقوله : "وأما الفواصل فهي حـ روف متـ شاكلة فـ ي

المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني"³.

¹ - ينظر ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مادة " فصل "

² - الرماني ، النكت ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 89

³ - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 244

تكاد لا تجد فرقا بينهما ، كلاهما يركز على الفهم والإفهام.
وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله : "والفواصل أواخر الآية"¹.
وعرفها ابن منظور بقوله : "وأواخر الآيات في كتاب ا فواصل بمنزلة قوافي الشعر -
جل كتاب ا عز وجل - واحدها فاصلة"².
ومن خلال هذه المفاهيم يتضح لنا جليا أنها تتفق في أن الفواصل هي أواخر الكلمات في
الآيات القرآنية.

أما الزركشي فيعرفها بقوله : "كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع"³.
لكن أبا عمرو الداني حاول توسعة مدلول الفاصلة عما ذهب إليه جمهور العلماء حيث جعل
الفاصلة تشمل إضافة إلى آخر الآية الكلمة التي تكون في أثناء الآية التي يتم بها معنى
جملة منفصلة بعدها. يقول أبو عمرو الداني : "وأما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما
بعده ، والكلام التام قد يكون رأس آية ، وكذلك الفواصل يكن رأس آية وغيرها، فكل رأس
آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعية ، وتجمع الضربين"⁴.
سبب التسمية بالفاصلة :

أرجع الكثير من العلماء السبب في تسمية الفواصل إلى ما جاء في الذكر الحكيم من نحو
قوله عز وجل : وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ⁵ وَفَوَّلَهُ تَعَالَى : كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ⁶.

والتفصيل هنا يأتي على معنيين :

الأول : تفصيل الآيات بالفواصل.

¹ - الراغب الأصفهاني ، المفردات (فصل)

² - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فصل)

³ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 52

⁴ - أبو عمرو الداني ، البيان في عد أي القرآن ط 1 ، الكويت (ب د) (د ط) ص 126

⁵ - الأعراف ، الآية : 52

⁶ - فصلت ، الآية : 03

الثاني : التبيين أي بيناه ووضحناه.

قال ابن منظور موضحاً قوله تعالى : ^٥ يَكْتَابُ فُصُلًا ^١ له معنيان أحدهما تفصيل آياته بالفواصل ، والمعنى الثاني في فصلناه : "بيناه" ^٢.

أما الزركشي فيبين سبب التسمية من خلال قوله : "فأما مناسبة " فواصل فلقوله تعالى : كتاب فصات آياته ^٣.

ثم يشير الزركشي إلى محاولة الداني في التفريق بين الفواصل ورؤوس الآي فقال : "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممابعدة . والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس أي وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ؛ فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين" ^٤.

وبين الزركشي أن من وظائف الفاصلة تحقيق الاستراحة وتحسين الكلام ، ومن ثم كانت الفواصل الفاصل بين كلام أ عز وجل ، وبين كلام البشر.

يقول : "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام . وتسمى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر الآية فصل بينهما وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعاً" ^٥

إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل

لاشك وأن الفواصل إذا جاءت مطردة أثرت في النفوس تأثيراً عظيماً ولذلك يخرج عن نظم الكلام لأجلها . يقول الزركشي : "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع

^١ - الأعراف ، الآية : 52

^٢ - لسان العرب ، مادة (فصل)

^٣ - البرهان ، ج 1 ، ص 53

^٤ - البرهان ، ج 1 ، ص 52

^٥ - المصدر نفسه ، ص ن

الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها¹.

ثم راج يعدد تلك المواضع وهي :

1 - زيادة حرف لأجلها :

فمن ذلك زيادة الألف بكلمة " الظنونا " في قوله تعالى : وَتَظُنُّونَ بِإِلَهِ الظُّنُونَا².
لأن آخر الآيات تنوين نصب يوقف عليه بالألف ، فأضيفت الألف لكلمة (الظنونا)
مراعاة للفاصلة.

يقول الزركشي : "لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف فزيد
على النون ألف لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل³."

واستشهد بمثال آخر ، وهو قوله تعالى : قَاضِلُونَا السَّيْلَا⁴ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَا⁵.
ورد الزركشي على مزاعم بعض المغاربة حيث قالوا إن الألف لم تزد لتناسـب رؤوس
الآي في مثل قوله تعالى : قَاضِلُونَا السَّيْلَا⁶ مؤكدا أن الألف زیدت هــا مـن أـجـل
مراعاة الفواصل .

مستدلا على ما يذهب إليه بقوله تعالى : لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون⁷ فقـال
:(ذكرر " لعل " مراعاة للفواصل الآية ، إذ لو جاء على الأصل لقال : لعلي أرجع إلى
الناس فيعلموا ؛ يحذف النون على الجواب)⁸

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 57، 58

² - الأحزاب ، الآية : 10

³ - البرهان ، ج 1 ، ص 58

⁴ - الأحزاب ، الآية : 67

⁵ - الأحزاب ، الآية : 66

⁶ - الأحزاب ، الآية : 67

⁷ - يوسف ، الآية : 46

⁸ - البرهان ، ج 1 ، ص 58

2- حذف همزة أو حرف اطرادا :

كقوله تعالى : **وَاللَّيْلَ إِذَا يَسِرُ**¹.

حذفت "ألياء" من لفظة "يسري" مراعاة للفاصلة.

3- الجمع بين المجزورات لتبقى الفاصلة في آخر الآية :

نحو قوله تعالى : **ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا يَه تَبِيعَا**² فنرى توالي ثلاثة أحرف جر هي (اللام ، على ، والباء) وتأخر الجواب ، وهو قوله "تبيعا" وذلك لتتناسب النهاية م-ع م-ا قبلها ، وتتناسق على صورة واحدة ، يقول الزركشي : "وكان الأحسن الفصل ... وجواب-ه أن تأخر وترك الفصل أرجح ...، لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها-ا حتى تتناسق على صورة واحدة"³

4- تأخير ما أصله أن يقدم :

وذلك مراعاة للفاصلة ، واستدل عليه بقوله تعالى : **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً** موسى⁴ ولعل الأصل في العبارة القرآنية أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر مفعول-ه لك-ن التعبير القرآني آخر الفاعل "موسى" رعاية للفاصلة ، ويضيف الزركشي حكمة أخرى من تأخير الفاعل "موسى" وهي أن النفس تتشوق لفاعل (أوجس) فإذا جاء بعد أن آخر وقع بموقع⁵ أي كان وقع في نفس أشد ، وتأثيره أقوى.

ثم استدل بشواهد أخرى منها قوله تعالى : **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَ أَنْ لَزَامَا وَاجِلٌ مسمى**⁶ يشير الزركشي موضحا التأخير الحاصل في هذه الآية بقوله : "فإن قوله (واجل مسمى) معطوف على (كلمة) ولهذا رفع .

¹ - الفجر ، الآية 04

² - الإسراء ، الآية : 69

³ - البرهان ، ج 3 ، ص 58، 59

⁴ - طه ، الآية : 67

⁵ - البرهان ، ج 1 ، ص 59

⁶ - طه ، الآية : 129

والمعنى ولولا كلمة سبقت من ربك في التأخير (وأجل م - سمي) لك - ان الع - ذاب لزاما. لكنه قدم وأخر لتشتبك رؤوس الآي¹.
ومنه قوله تعالى : وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ² فأخر الفاعل وهـ - و (الذ - ذر) ع - ن المفعول به وهو (آل) لأجل الفاصلة.

5 - إفراد ما أصله أن يجمع :

كقوله تعالى : إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ³ فقد أفرد لفظة " نهر " رعاية للفاصلة. ويشير الزركشي إلى قول الفراء : "الأصل "الأنهار"؛ وإنما وحد لأنه رأس آية فقلب ل بالتوحيد رؤوس الآي . ويقال : النهر الضياء والسعة ، فيخرج من هذا الباب⁴ وقول - ه تعالى : وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا⁵ قال ابن سيده في المحكم : "أي أع - ضادا ، وإنما أفرد ليعدل رؤوس الآية بالإفراد ، والعصد : المعين"⁶

6 - جمع ما أصله أن يفرد :

نحو قوله تعالى : لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَافٌ⁷ والأصل ، ولاخلة بالإفراد ولكنه جمعه لأجل مناسبة رؤوس الآي ، أي مراعاة للفاصلة .

7 - تنبيه ما أصله أن يفرد :

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 59

² - القمر ، الآية 41

³ - القمر ، الآية : 54

⁴ - البرهان ، ج 1 ، ص 59

⁵ - الكهف ، الآية : 51

⁶ - البرهان ، ج 1 ، ص 60

⁷ - إبراهيم ، الآية : 31

نحو قوله تعالى: **وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ** ¹ قال الفراء: "وإنما شأهم-أ-هنا-
 لأجل الفاصلة ؛ رعاية التي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن ..."² ولكن
 ابن قتيبة أنكر عليه ذلك ، وأغلط له ، وقال : "وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب ا
 ونحن نعوذ با من أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على ا -جل ثن-اؤه- الزيادة
 والنقص في الكلام ، لرأس آية. وإنما يجوز في رؤوس الآي أن يزيد "هاء لا-سكت ؛
 كقوله: وما أدراك ماهيه ؛ وألفا كقوله: وَتَطْنُونِ يَاللَّهِ الطُّنُونَا ، أو يحذف
 همزة، من الحرف كقوله: أثاثا ورثيا أو ياء كقوله : واللَّيْلُ إِذَا يَسِرُّ لتستوي
 رؤوس الآي ، على مذاهب العرب في الكلام : إذا تم ، فأذنت بانقطاعه وابتداء
 غيره... فلما أن يكون ا عز وجل وعد جنتين ، فيجعلهما جنة واحدة من أجل
 رؤوس الآي: فمعاذ ا ، وكيف يكون هذا: وهو-تبارك اسمه- ي-صفهما ب-صفات
 الاثنين" ، فقال : **دَوَاتًا أَفْتَانِ** .³

8- تأنيث ما أصله أن يذكر:

كقوله تعالى: **كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ** ⁴ وإنما عدل إليها للفاصلة .

9- قسم لم يسمه، وإنما اكتفى بالاستدلال عليه :

نحو قوله تعالى: **سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** ⁵ وقال : **أَفُورًا يَسْمُ رَبِّكَ الْإِذِي**
خَلَقَ ⁶ فزاد في الأولى " الأعلى " وزاد في الثانية " خلق " مراعاة للفواصل في

¹ - الرحمن ، الآية: 46

² - البرهان ، ج 1 ، ص 60

³ - ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، تح ، السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ب ط ، 1978م ، ص 440

⁴ - المنذر ، الآية: 54

⁵ - الأعلى ، الآية 01

⁶ - العلق ، الآية: 01

السورتين ، وهي في " سبح " : **الَّذِي خَلَقَ قَسْوَى¹ وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَاقٍ²**.

10 - صرف ما أصله ألا ينصرف :

نحو قوله تعالى : **قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا³** صرف الأول لأنه آخر الآية ، وآخر الثاني بالألف ، فحسن جعله منونا ليقاب تنوينه ألفا ، فيتناسب مع بقية الآي ، كقوله تعالى : **سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا⁴** ، فإن "سلاسلا" لما نظم إلى "وأغلالا وسعيرا" صد-رف ون-ون للتناسب ، وبقي "قواريرا" الثاني ؛ فإنه ، وإن لم يكن آخر الآية جاز صرفه ، لأنه لما نون "قواريرا" الأول تناسب أن ينون "قواريرا" الثاني ليتنسبا ، ولأجل هذا لم ينون "قواريرا" الثاني إلا من ينون "ق-وارير الأول" .

وأشار الزركشي إلى مازعمه صاحب "البرهان" أن من ذلك صرف ما كان جمعا في القرآن ليناسب رؤوس الآي ؛ كقوله تعالى : "سلاسلا وأغلالا". وهذا مردود ، لأن "سلاسلا" ليس رأس آية ، ولا "قوارير" الثاني ، وإنما صد-رف للتناسب ، واجتماعه مع غيره من المنصرفات ، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها⁵.

11 - إمالة ما أصله الأيمال :

كإمالة ألف **والضحى* والليل إذا سجى⁶** ليشاكل التلظ بهما التلظ بما بعدهما. والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، والغرض الأصلي منها هو التناسب ، وعبد-ر عنه بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة⁷

¹ - الأعلى ، الآية : 02

² - العلق ، الآية : 02

³ - الإنسان ، الأيتان : 15، 16

⁴ - الإنسان ، الآية : 04

⁵ - البرهان ، ج 1 ، ص 61

⁶ - الضحى ، الأيتان : 1، 2

⁷ - البرهان ، ج 1 ، ص 61

12 - العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال :

نحو قوله تعالى : فَقَرِيفًا كَذَبْتُمْ وَقَرِيفًا تَقْتُلُونَ ¹ حيث لم يقل وفريقا قتلتم " كما سوى بينهما فقال : قَرِيفًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ قَرِيفًا ² وذلك لأجل أنها هنا رأس آية.

أقسام الفواصل عند الزركشي

أولاً: تقسيم الفواصل باعتبار التماثل والمقارب في الحرف:

قسم الزركشي الفاصلة باعتبار التماثل والمقارب إلى قسمين:

أ - الفواصل المتماثلة: وهي ما تماثلت حروفه في المقاطع ، وهذا يكون سجعا.

ب - الفواصل المتقاربة: وهي ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل وهذا لا يكون سجعا.

ويشير إلى أن النوعين كليهما يمكن أن يأتيا طوعا وسهلا تابعا للمعاني ، أو متكلفا يتبعه المعنى.

فالأول محمود عنده ، وجعله دالا على الثقافة وحسن البيان ، والثاني مذموم .

فأما القرآن ، فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة وسموه في البلاغة وقد وردت فواصل متماثلة ومتقاربة :

مثال التماثلة : قوله تعالى : وَالطَّيْرُ وَرِثَاقُهَا * وَكَيْتَ أَبْهَمَ سَطُورِي رِقْمُ شُورِ الْبَيْتِ المعمور والسُّفُوفِ المَرْفُوعِ ³.

مثال المتقارب في الحروف : قوله تعالى : الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ - إِلَهِ - وَمِ - دِينِ ⁴.
ونبه على أن الفواصل في القرآن الكريم لاتخرج عن هذين النوعين : التماثل والمتقارب.

¹ - البقرة ، الآية : 87

² - الأحزاب ، الآية : 26

³ - الطور ، الآيات : 1، 2، 3، 4، 5

⁴ - الفاتحة ، الأيتان : 3، 4

يقول الزركشي " فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لاتخرج عن هذين القسمين ؛بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة"¹ .

ثانيا : تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف :

وأشرفها المتوازي : وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع :نحو قوله تعالى : فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة² .

والمطرف : أن يتفقا في حروف السجع لافي الوزن ؛ كقوله تعالى : ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطواراً³ .

والمتوازن :أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، كقوله تعالى : ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة⁴

الطريق لمعرفة الفواصل:

تعرف الفواصل من طريقين:

1 - التوفيفي :

بالاعتماد على ما ورد من أقوال عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان يقوم به أثناء التلاوة.

وذكر الجعبري ؛وهو يتحدث عن ضابط الفواصل ، فقال:"ولمعرفتها طريقتان :توفيفي وقياسي"⁵

¹ - البرهان ، ج 2 ، ص 67

² - الغاشية ، الأيتان :13، 14

³ - نوح ، الأيتان :13، 14

⁴ - الغاشية ، الأيتان :15، 16

⁵ - البرهان ، ج 1 ، ص 81

فالأول استدلال عليه بمارواه أبو داود عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رس- ول ا صلى ا عليه وسلم قالت : "كان يقطع قراءته آية آية.. وقرأت : (ب-سم ا ا-رحمن الرحيم) إلى : (الذين) يقف على كل آية فمعنى "يقطع قراءته صلى ا عليه وسلم- لم كذلك ليعلم رؤوس الآي¹.

أما الطريق الثاني فهو القياس ، والقياس يمكن أن يكون عبر الوسائل الآتية:

- 1- مساواة الآية لما قبلها وما بعدها في الطول والقصر.
- 2- انقطاع الكلام عنها.
- 3- إجماع العلماء على مثيلتها آية في القرآن الكريم.
- 4- مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها بحيث يكونان متماثلين ، أو متقاربين.

مبنى الفواصل على الوقف:

أجمع العلماء على أن الفواصل القرآنية تبنى على الوقف عليها ، لا على وصد- لها نطقا بما بعدها ، ومن ثم لم يراع فيها الموافقة في الإعراب لما قبلها وما بعدها . كما ألفينا الأسجاع ساكنة الأعجاز . و ولكتابه المثل الأعلى.

وأغلب الوقف على الفواصل في القرآن يتم بتسكين الحرف الأخير منها ولهذا نرى مقابلة فاصلة مرفوعة بمجرورة ، وكذا العكس ، نحو قوله تعالى : الحمد لله رب العالمين الرحيم- ن الرحيم م- إلـك يوم الدين إلـك نعبـد وإلـك نستعين²

فالأولى وردت مفتوحة ، والثانية ، والثالثة مجرورة ، والرابعة مرفوعة.

¹ - ينظر، سنن أبي داود : ج 1 ، ص 100
² - الفاتحة ، الآيات : 2، 3، 4، 5

وفي هذا السياق يقول الزركشي: "إن مبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون"¹.
مستدلا بقوله تعالى : **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ** ² **م-ع** **تَقْدَمُ قَوْلُهُ ه :** **ع-ذَاب**
وَاصِبٌ ³ **و** **شِهَابٌ مُنَاقِبٌ** ⁴

ائتلاف الفواصل مع مضمون الآيات:

اتفق النقاد والباحثون على أن القافية وآخر السجعة يجـ ب أن يكـ ون مطابقةـا لمضمون الآيات ، أو الجمل المسجوعة ، ولذلك إذا جئ بها من أجل التوافقـ ق الـصوتي دونما حاجة السياق إليها عد ذلك من العيوب فيها ، لأن الفواصل والأسجاع تأتي أواخرـ ر الجمل ، وأواخر الجمل لا بد أن يحمل مضمونا مطابقا لمضمون ما قبلها . ليحدث بـ ذلك التناسق والانسجام في الكلام ، ويتجنب التنافر والشذوذ.

والفواصل القرآنية - ولا ريب - اتسمت بأنها شديدة التآلف مع آياتها، بل جـاء في تمام التآلف والتكامل ، كما أنها جاءت مؤدية للمعنى على أكمل وجه ، بـ ل وعمـا ت على إيصاله على نحو بديع معجز، وإن تستطيع استبدال فاصلة بأخرى .
ومن هنا كانت الفواصل القرآنية مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني القرآني المجيد الخالد على مر العصور .

يقول الزركشي : "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشئ فيها بما يشاكله ، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المـ ذكور أولا ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب"⁵.

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 63

² - الصافات، الآية: 11

³ - الصافات ، الآية: 09

⁴ - الصافات ، الآية: 10

⁵ - الزركشي ، البرهان ، ج 1 ، ص 69

وحصرها في أربعة أمور وهي :

1- التمكين .

2- التصدير .

3- التوشيح.

4- الإيغال .

التمكين :

عرفه الزركشي بقوله : " وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما؛ بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم ¹"

ويعقب قائلا : "وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن فلاشدد يدرك به ².
ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

قال تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ³.

فإنه سبحانه لما قدم نفي إدراك الأبصار له ، عطف على ذلك قوله :
:"وهو اللطيف" خطابا للسامع بما يفهم ، إذ العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار ،
ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون ، والكون من كل متكـون
فإدراكها إنما هو للمركبات دون المفردات.

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 69

² - المصدر نفسه ، ص ن

³ - الأنعام ، الآية : 103

وكذلك لما قال : " وهويدرك الأبصار " عطف عليه قوله : "الخير " مخصصا لذاته سبحانه بصفة الكمال ، لأنه ليس كل من أدرك شيئا كان خبيراً به - ذلك الشيء ؛ لأن المدرك للشيء قد يدركه ليخبره ، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى أنه يدرك كل شيء مع الخبرة به .

وإنما خص الإبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضرباً من المحاسن يسمى التعطف . ولو كان الكلام : لا تبصره الأبصار ، وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظة "اللاطي" فـ الخير " مناسبتين لما قبلهما"¹.

ومن التمكين للفاصلة أيضاً ، قوله تعالى : أُولَئِكَ يَهْدِي لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَقْلًا يَسْمَعُونَ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَقْلًا يَبْصُرُونَ² فالموعظة في الآية الأولى : سمعية ، حيث قال : "أو لم يهدلهم " ولم يقل "أولم يـروا" لأن تقدم ذكر الكتاب ، وهو مسموع ، أو أخبار القرون وهي مما يسمع ، فناسب أن تكون الفاصلة "أقلا يسمعون" أما الموعظة في الآية الثانية فهي مرئية ، ولذلك بدأت بقوله تعالى : "أولم يروا" ، فناسب أن تكون الفاصلة "أقلا يبصرون"؛ لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئي ... إلج.

ومنه قوله تعالى : يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّا جَعَلْنَا لَكَ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ³ . فالآية تتحدث عن شمول علم الله تعالى لكل مافي الوجود ، مهما دق أو خفى حتى لو كان مثقال ذرة ، كائنة أيا كانت ، لذا لم يكن هناك أنسب من أن تختتم الآية بهذين

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 70² - السجدة ، الأيتان : 26، 27³ - لقمان ، الآية : 16

الاسمين الجليلين من أسماء ا الحسنى (اللطيف ، الخبير) ، دون العليم البـصير أو غيرها .

وهذا النوع من الفواصل يلاحظ فيه عدة أشياء ، نخص بالذكر هنا منها :

- أ- اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد.
- ب- اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف ، عكس الأول.

أ- اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد: فمن أمثلته ما يأتي :

- من ذلك قوله تعالى : **وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**¹.

وقوله تعالى : **وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**².

فالمحدث عنه في الآيتين واحد ، وهو نعمة ا تعالى ، ولكن فاصلة الأولى فيهما وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار ، والثانية فيها وصف ا تعالى بـصفتي المغفرة والرحمة بصيغة المبالغة "لغفور رحيم"

وعن سر ذلك يقول ابن المنير - رحمه ا - : "كأنه يقول : إذا حصلت الـنعم الكثيرة فأنت آخذها ، وأنامعطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان ، كونك ظلوماً وكونك كفاراً ، ولي عند إعطائها وصفان : وهما أنني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفراني ، وكفرك برحمتي ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولأجازي جفاءك إلا بالوفاء"³.

ويعجب الزركشي بكلام ابن المنير هذا ، ويصفه بالحسن ، ويضيف عليه هــ و الآخـر حسناً جديداً فيقول : "وهو حسن لكن بقي سؤال آخر ، وهو :

¹ - إبراهيم ، الآية : 34

² - النحل ، الآية : 18

³ - البرهان ، ج 1 ، ص 74

ماالحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعم ، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه ؟
والجواب: أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان ، وما جبل عليه
فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه ، وأما آية النحل فسيقت في وصف ا تعالى وإثبات
ألوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه .
فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها في رجة البلاغة ¹.

ب- اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف :

كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَدِينُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ
مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْـدِ
صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافٌـ وَنَـعْلُـكُمْ
بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

ثم قال: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كـ ذَلِكُ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ².

وقد نبه الزركشي إلى أن الفاصلة قد لا يكون لها نظير في القرآن ، كقوله تعالى : عقب
الأمر بالغض : ° إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَا يَصْنَعُونَ ³ وقوله عقب الأمر بطلاـ ب الـ دعاء
والإجابة : لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ⁴ ، وقيل فيه تعريض بليلة القدر .

ثانيا : التصدير :

التصدير نوع من أنواع الفاصلة من حيث مناسبتها للمعنى الكلام الذي سيقت فيه.

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 74

² - النور ، الآيتان : 58، 59

³ - النور ، الآية ، 30

⁴ - البقرة ، الآية ، 186

والتصدير: أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية. وقسمه ابن المعتز إلى ثلاثة أقسام :

1- توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة في الصدر :

نحو قوله تعالى : لَكِن اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ شَاهِدُونَ وَكَفَىٰ يَاللّٰهُ شَهِيدًا¹

2- أن يوافق أول كلمة منه :

نحو قوله تعالى : وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ².

وقوله تعالى : قَالَ إِنِّي لَعَمَلُكُمْ مِنَ الْفَالِينَ³.

3- أن يوافق بعض كلماته :

نحو قوله تعالى : وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ يَرْسِلُ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ⁴.

وقوله تعالى : فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا⁵

أما الزركشي فقد اكتفى بالاستدلال والتمثيل للتصدير دون شرح أو توضيح.

ثالثا : التوشيح :

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم الفاصلة.

والفرق بينه وبين التصدير: أن كلا منهما وإن اشترك صدره في الدلالة على

عجزه ، فإن دلالة التصدير لفظية ، أما دلالة التوشيح معنوية.

¹ - النساء ، الآية 166

² - آل عمران ، الآية : 88

³ - الشعراء ، الآية : 168

⁴ - الأنعام ، الآية : 11

⁵ - نوح ، الآية : 10

وعن سبب تسميته بهذا الاسم يقول الزركشي : "ويسمى به لكونه نفس الكلام يدل على آخره. نزل المعنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح . إلا- نين يجول عليهم-ا الوشاح؛ ولهذا قيل فيه: إن الف-اصلة تعلم قبل ذكرها"¹.

وأشار إلى أن ابن وكيع سماه "المطمع"؛ لأن صدره مطمع في عجزه نح-و قولا-ه تعالى : ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ².
وقوله تعالى : يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
ومن يعملْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ³.
فإن قوله: " ليروا أعمالهم " يدل على التقسيم .

الإيغال

عرفه أبو هلال العسكري بقوله : " أن الإيغال استيفاء معنى الكلام قبل بلوغ مقطعه ، ثم الإتيان بالمقطع فيزيد به معنى آخر يزيد به وضوحا وش-رحا وتوكي-دا وحسنا"⁴.

ومن خلال مدلول الإيغال عند العسكري تستشف أن الإيغال يفيد-د معن-ى زائدا بعد تمام معنى الكلام ، وعن تلك الزيادة تنجم زيادة ف-ي الوض-وح والتأكي-د والحسن والبهاء للمعاني .

يقول الزركشي : "الإيغال هو إفادة معنى زائد بعد تمام الكلام"⁵.
وعال الزركشي هذه التسمية بقوله : "وسمي به لأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى الذي هو آخذ فيه ، وبلغ إلى زيادة على الحد.

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 79

² - المؤمنون ، الآية : 14

³ - الزلزلة ، الآيات : 6، 7، 8

⁴ - أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 372

⁵ - البرهان ، ج 1 ، ص 80

يقال : أوغل في الأرض الفلانية ، إذا بلغ منتهاها ، فهذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه ، فقد أوغل ¹.

ثم يستدل على ذلك بأدلة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ².

فالكلام تم معناه عند قوله تعالى : "يَبْغُونَ" فجاءت الفاصلة بعده ، لتزيد عن المعنى السابق معنى جديداً ، ألا وهو مدح المؤمنين المـوقنين ، والتعـريض بـذم اليهـود المـكذـبين .

ومنه قوله تعالى : ولا تُسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ³.

فإن المعنى قد تم بقوله : "ولا تسمع الصم الدعاء" وقد أغنى عنها (وا-وا) قلت لا يغني عنها (ولوا) ؛ فإن التولي قد يكون بجانب دون جانب ، بدليل قوله تعالى : أعرض وتأتى بجانبه ⁴. وإن كان ذكر الجانب هنا مجازاً ، ولا شك أنه سبحانه لم أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطـاب ، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة ؛ فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبرة . ثم إن التولي قد يكون بجانب مع لحاظه بالجانب الآخر ؛ فيحصل به إدراك بعض الإشارة ؛ فجعل الفاصلة "مدبرين"

ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب ؛ بحيث صار ما كان مستقبلاً مـستديراً فاحتجـب المخاطب عن المخاطب أو صار من ورائه ، فخفيت عن عينه الإشارة كما صم أنناه عن العبارة ؛ فحصلت المبالغة من عدم الاستماع بالكلية .

وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنفي الاستماع البتة ؛ فهو من إيغال الاحتياط ؛ الذي أدمجت فيه المبالغة في نفي الاستماع ⁵.

ومنه قوله تعالى : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ⁶.

¹ - المصدر نفسه ، ص ن

² - المائدة ، الآية : 50

³ - النمل ، الآية : 80

⁴ - الإسراء ، الآية : 83

⁵ - البرهان ، ج 1 ، ص 80

⁶ - يس ، الآية : 21

فالكلام تم معناه عند قوله تعالى : (أجرا)، ثم أتى بالفاصلة (وهم مهتدون) مع أن الرسل مهتدون لإفادة معنى زائد ، ألا وهو المبالغة في حب قومه على اتباع هـ - ولاء المرسلين وترغيبهم في ذلك¹.

ومن ثم : أنه بات ظاهرا للعيان أن الإيغال عن طريق الزيادة والإضافة التي يضيفها للمعاني ، يكسبها وضوحا ، ويزيدها رونقا وبهاء. وهذا من صور جمال التعبير القرآني وجماليات إعجازه الصوتي.

من فوائد الفاصلة القرآنية :

الفاصلة في القرآن الكريم لم تأت من قبيل الترف اللغوي ، والجمال الفني فحسب ، وإنما جاءت لتحقيق فوائد جمّة منها:

- 1- تنفيذ الفاصلة في معرفة كيفية التلاوة وحسن تجويد القرآن.
- 2- تنفيذ الفاصلة في معرفة الوقف . والوقف يفيد في معرفة المعاني واستخراج الأحكام ، والتمييز بين المعاني المتضادة ، وفي هذا يقول ابن - ن الأنباري : "من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء"².
- وقال النكزاوي : "باب الوقف عظيم القدر ، جليل الخطر ؛ لأنه لايتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل"³
- 3- تنفيذ الفاصلة في معرفة عد الآيات.
- 4- الفاصلة تنشط القارئ في قراءته ، فهي أشبه بمحطات استراحة على طريق المسافر ، فحينما يستريح في كل محطة يجد نشاطا على مواصلة السفر، حتى بلوغ الغاية والقصد . وفي هذا يقول الزركشي "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب"⁴.

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 80

² - الاتقان ، ج 1 ، ص 83

³ - الإتقان ، ج 1 ، ص 83

⁴ - البرهان ، ج 1 ، ص 150

5- وكما أن الفاصلة تنشط القارئ وتدفع عنه الملل ، فهي كذلك بالذات سببة للمتلقى (السامع) .

6- الفاصلة مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

7- الفاصلة تعين القارئ على تحسين صوته أثناء التلاوة ، وخاصة أن أغلبها ينتهي بحروف المد واللين، والميم أو النون .

يقول الزركشي : "قد كثر القرآن الكريم ، ختم كلمة المقطع ع-ن الفاصلة بحروف المد واللين ، وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك

1»

الجديد عند الزركشي في مبحث الفواصل :

عد الزركشي مؤسساً ومؤصلاً في مبحث الفواصل ، وبرز ذلك فيم-ا نك-ره م-ن تفرعات تبلورت في الأسس الآتية :

1- انتهاء أغلب المقاطع في الفواصل القرآنية بحروف المد واللين ، وإلحاق الذ-ون ، وألمح إلى الحكمة من ذلك : وهي التمكين من التطريب بذلك .

2- مبنى الفواصل على الوقف ، وسكون الأعجاز ، "ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمرجور ، والعكس .

نحو قوله تعالى : إنا خلقناهم من طين لازب² مع تقدم قوله تعالى : عذاب واصب³ " 3

3- إنه لتحسن المحافظة على الفواصل لمجرد أنها إلا مع بقاء المعاني على سدادها .

4- الفواصل تنقسم إلى متماثلة الحروف ، ومقاربة الحروف ؛ والمتماثل يك-ون ف-ي السجع ، أما المتقارب يكون في الفواصل .

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 163

² - الصافات ، الآية : 11

³ - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 63

5- تقسيم أهل البديع الفواصل إلى : متواز ، ومطرف ، وأشرفها المتوازي ؛ وهو اتفاق الكلمتين في الوزن ، وحروف السجع .

6- حدد الزركشي مواضع يتأكد فيها إيقاع المناسبة، مقاطع الكلام وأواخـره وإيقاع شيء فيها بما يشاكله...وحصر ذلك في أربعة أشياء :

أ- التمكين.

ب- التوشيح.

ت- التصدير.

ث- الإيغال.

جماليات الفاصلة القرآنية :

لاشك وأن الجوانب الصوتية الجمالية التي تفرد بها القرآن الكريم تعتبر نقطة الفصل بين الأسلوب القرآني ، والأساليب البشرية ؛ لأن البشر مهما عمدوا إلى تجميد أساليبهم بالإيقاعات الصوتية ، وجلب الأجراس المختلفة ، والعمل على التفاني فيها ، لا تخلو من تكلف ، ولا تخلو من الإيقاع في المال والضجر بكثرة التردد ، وطول المعاودة ، وهذا خلافا للأساليب القرآنية وإيقاعاتها الجمالية، والتي مهما كررها الإنسان وعادوها ، فإنه لن يمل منها أبدا ، بل يجد في كل تكرار حلاوة وأثرا ومعنى.

والقرآن بتنوع إيقاعاته وأجراسه كان له بالغ الأثر في النفوس ، وبهذا التنوع قضى على النمطية والرتابة ، والجريان على أسلوب واحد، ونمط واحد ؛ لأن الجريان على أسلوب واحد مدعاة للملل والضجر ، والقرآن راعى نفسية المخاطبين والسماعين ، لأن الغاية الأولى هي هداية الناس إلى الدين الصحيح من خلال المعنى ، والثانية تحقيق الجاذب الجمالي الفني ، ولذلك ، فإن الفاصلة في القرآن العظيم تقوم بدورين هامين وهما :

- 1- تحقيق المعنى الذي يعتبر حجر الزاوية في أي تعبير ، ناهيك أن الكلام كلام ا الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ، ولا من بين يديه .
 - 2- الإيقاع الصوتي ، والجمال الموسيقي ، الذي اعتبره الكثير من البـاحثين قـديما وحديثا .إن لم نقل أغلبهم ، هو بيت القصيد ، الذي يمثل روحانية القرآن كما قال الخطابي ، وذلك فإن السامع للقرآن ،أو التالي له يشعر بهزة خاصة .
- وفي هذا الصدد يقول بكري أمين : "إن الفاصلة القرآنية ترد ، وهي تحمل شحنتين في آن واحد : شحنة من الواقع الموسيقي وشحنة من المعنى المتمم للآية"¹
- والقرآن تباينت نبراته ، وتنوعت إيقاعته ، فجاءت قوية هادرة ، وتارة هادئة ، وتارة أخرى بين بين ، مراعيًا في كل ذلك الحال والمقال ، وفي هذا السياق يقول أحمد محمد ويس : "والحق أن وقع القرآن على الآذان لا يجري على نمط واحد ، بل هو يتنوع بتنوع الموضوع : فحينًا يكون إيقاعه هادئًا ، وحينًا يكون هادرا ، ولكنه في كل أجزاءه يبدو متلائما في تركيب حروفه ، ورصف كلماته إيقاعيا بعضها إلى بعض"².
- إن الفواصل القرآنية تعد من أبرز وجوه الإعجاز البياني عامة ، والـصوتي خاصة ، كما أن وجه الإعجاز فيه يقع من النفوس موقعا مؤثرا ، مهما كانت طبيعـة الإنسان مؤمنا كان ، أو كافرا ، والدليل على ذلك ماشهد به الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن ، وقد أشارنا إلى قصته فيما سلف .
- الفاصلة في القرآن صورة حية ، وبرهان ساطع لمن شكك في أن القرآن ليس من عند ا ، وبالتالي شكك في نبوة سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم .

¹ - د. بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة / ط2 / 1396هـ / 1976م ، ص 203

² - د. أحمد محمد ويس ، ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي ، بحث في المشكلة والاختلاف ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، (د ط) ، 2002 ، ص

الفصل السادس:

قضية الإعجاز وسمات التفكير البلاغي عند الزركشي :

المبحث الأول : ماهية الإعجاز :

- توطئة
- المعجزة لغة واصطلاحاً
- الإعجاز لغة واصطلاحاً
- أنواع المعجزة
- شروط المعجزة
- التحدي والمعارضة.

المبحث الثاني: من آراء السابقين في الإعجاز ووجوه:

- النظام : (ت 220هـ -)
- الجاحظ : (ت 255هـ -)
- الرماني : (ت 382هـ -)
- الخطابي : (ت 388هـ -)
- الباقلاني : (ت 403هـ -)
- الجرجاني : (ت 471هـ - أو 474هـ -)
- الزمخشري : (ت 538هـ -)
- السكاكي : (ت 626هـ - أو 627هـ -)

المبحث الثالث : رأي الزركشي في الإعجاز (ت 794هـ -)

- البلاغة وعلاقتها بالإعجاز.
- الغاية من الإعجاز .
- عالمية الرسالة المحمدية وخصائصها .
- خلاصة.

المبحث الرابع : سمات التفكير البلاغي عند الزركشي :

- الموسوعية
- العمق والشمولية
- الذوق الأدبي والفني
- النقد
- الموضوعية
-
- الأمانة العلمية
- المصطلح البلاغي وسيلة لإبراز جماليات القرآن
- خلاصة

ماهية الإعجاز :

توطئة :

أ أنزل خير الكتب على خير الأنبياء والرسل ، قرآنا غير ذي عوج ، يتلى آذ-اء الليل وأطراف النهار لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يهدي ب-ه ا م-ن اتبع رضوانه سبل السلام ، من تمسك به نجا ، ومن تنكب عن هديه هوى .

قال رسول ا صلى ا عليه وسلم في خطبة حجة الوداع : " قد تركت ف-يكم م-ا إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدي أبدا أمرا بينا ، كتاب ا وسنة نبيه " ¹

فالقرآن الكريم ، هو كلام ا المنزل على سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء ب-سورة الفاتحة المخت-وم بسورة الناس ، وهو المعجزة التي أيد بها ا تعالى نبيه محمد صلى ا عليه وسلم ف-ي قوم كان يدينهم أفنين القول وروائع الكلام ، قوم كانوا فرسان بيان وأصد-حاب ل-سن ، وأرباب فصاحة وبلاغة ، وكانت هذه المعجزة من جنس مانع فيه القوم لتك-ون حجة دامغة عليهم ، وتكون تأكيدا لنبوته ، وتصديقا لرسالته ، لأن حكمة ا تقتضي ما من نبي ، أو رسول يرسل لا يصدق ولا يتبع مالم يؤيده ا بمعجزة لتكون برهاننا ساطعا ، ودلا-يلا قاطعا ، وردا مفحما لكل معارض أ ومنكر ، أو مكابر ، أو جاحد ، أو معاند ، والقرآن الكريم ألمح إلى مثل هذا على لسان المنكرين الجاحدين يقول ا تعالى : " وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند ا وإنما أنا نذير مبين " ².

¹ - أبو بكر جابر الجزائري ، هذا الحبيب يا محب ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، ط1 ، 2005م ، ص 307

² - العنكبوت : الآية 50

ومن ثم ، فإن ا ما كان ليذر الناس يتيهون في الضلال ، ويقتربون المنكـرات والآثـام ويعبدون الأصنام والأوثان حتى يبعث فيهم رسلا مبشرين ومنذرين مؤيدين بـالمعجزات المختلفة دلالة على أنهم رسل ، والمعجزات برهان صدقهم . فكانت معجزة سيدنا محمدـ صلى ا عليه وسلم القرآن الكريم رسالة جامعة ، شاملة ، خاتمة ، باقية مـستمرة ، وممتدة عبر الأجيال ، والأمصار والأحقاب .

وصدق ا إذ يقول : (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات ا إن ا عزيز حكيم)¹.

إذا ، فما حقيقة الإعجاز ؟ وماهي المعجزة ؟ وما شروطها ؟ وما هي أنواعها ؟

المعجزة لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ع ، ج ، ز)

أن المعجزة هي إثبات العجز والضعف

والتعجيز هو التثبيط.

والمعجزة اسم فاعل مشتق من الإعجاز ومعناه في اللغة : السبق والفوت ، ويقال :

أعجزني فلان أي سبقني ، ويقال :عجز ويعجز عن الأمر أي قصر عنه.

والمعجزة بفتح الجيم وكسرهما مفعلة من العجز : عدم القدرة

وفي الحديث: " كل شئ بقدر حتى العجز والكيس "

والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام²

ومن خلال هذه المعاني اللغوية نستشف بأن المعجزة تدل على :

السبق والفوت وعدم القدرة .

¹ - لقمان : الآية 26

² ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ،بيروت ، ط3، 1994، مج5 ، مادة (ع،ج،ز) ص 370،369

المعجزة اصطلاحاً :

ذكر العلماء تعاريف ومفاهيم كثيرة ومتعددة لمصطلح المعجزة نورد منها :

قال الإمام السيوطي : " اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية " ¹ .

وعرفها ابن خلدون بقوله : " وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها ، فسميت بذلك معجزة ، وليست من جنس مقدور العباد ، وإنما يقع في غير محل قدرتهم " ² .

وعرفها الشيخ متولي الشعراوي قائلاً : " المعجزة هي خرق لنواميس الكون ، أو لقوانين الكون يعطيها ا سبحانه وتعالى لرسله على منهجه ، ويثبتهم به ، ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم ، والسماء حيث تؤيد وتنصر ، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً " ³ .

كما عرفها عمر السلامي قائلاً : (الإتيان بالأمر الخارق للعادة ، مقرونا بالتحدي مقرا بقصور القدرة الإنسانية ، ومخالفا المألوف والمتواتر في المحسوس ، ويقوم حجة قاطعة في يد الأنبياء على صدق دعواهم في رسائلهم السماوية " ⁴ .

وعرفها مصطفى مسلم بقوله : " وإنما هي هبة من ا سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسول ا الذي أكرمه بالرسالة " ⁵ .

من خلال التعاريف السالفة يتضح لنا جلياً بأنها تصب في معين واحد ، وقد تختلف لفظاً وصياغة ، والفاسم المشترك بين هذه المفاهيم ، أن المعجزات هبات من ا إلى من يختارهم رسلا .

¹ - السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت (د،ط)، (دت) ، ج 2 ، ص 148.

² - ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت (ب،ط) ، 2000م ، ص 68 .

³ - متولي الشعراوي ، معجزة القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ج 1 ص 5.

⁴ عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس 1980، ص 53

⁵ - مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 1416هـ ، 1996م ، ص 15

المعجزات براهين وحجج وأدلة قاطعة على صدق المرسلين عليهم السلام .
المعجزات تتجاوز قوانين الكون وتتعدى الطوق البشري .
المعجزات تكون دائما مقرونة بالتحدي .

الإعجاز لغة :

وهونسبة العجز إلى الغير¹ أي إثبات العجز وإظهاره مصداقا لقوله تعالى : "قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي"².

الإعجاز اصطلاحا :

عرفته عائشة بنت عبد الرحمان بنت الشاطي بقولها: " هو قصور البشرية عن محاكاة القرآن الكريم والإتيان بمثله"³.

وعرفه محمد سعيد رمضان البوطي قائلا : "أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله ، سواء كان هذا العلو في بلاغته ، أو تشريعته ، أو مغيباته"⁴.

يقول محمد علي الصابوني في معرض حديثه عن القرآن الكريم ، وعجز البشر عن الإتيان بمثله : هو " إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله"⁵.
تبين لنا من خلال المفاهيم التي تعرضت للإعجاز ، أن مصطلح الإعجاز خاص بالقرآن دون غيره ، وأبانت التعاريف على أن البشر عجزوا عن محاكاة القرآن ، أو الإتيان بمثله سواء أكانوا فرادى ، أم جماعات مجتمعة .

¹ - محمد علي الصابوني ، التبيان في علوم القرآن دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط3، 1407هـ / 1986م ، ص89

² - المائدة : الآية 33

³ - عائشة بنت عبد الرحمان بنت الشاطي ، التعبير في القرآن الكريم ، دار المعارف ، مصر ، ط2، 1966، ص53

⁴ - محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3، 1996م ،

ص 125

⁵ - الصابوني ، التبيان في علوم القرآن ، ص 89

وصدق ا إذ يقول: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"¹

أنواع المعجزات :

من الأمور المسلم بها أن المعجزات تكون من جنس ما نبغ وبرع فيه أهل ذلك العصر والمصر الذين أرسل إليهم الرسول ، الذي يحمل تلك المعجزات .
والمعجزات - أيضا - تأتي وفقا واتفاقا للقدرة العقلية من حيث النضج والتطور ومن ثم ألفينا العلماء قسموا المعجزات إلى ضربين :

أولا : معجزات حسية :

المعجزات الحسية هي التي من سماتها أن تكون مرئية ملموسة ، تشاهدها الأبصار ، كما أنها محدودة بمدة تواجد النبي الذي أرسل بها ، وتزول بوفاة ، وهي مقصورة على قومه دون غيرهم .

والمعجزات الحسية المادية تكون عادة في أقوام لم تنضج قدراتهم العقلية نـضجا تاما .
ولذلك قيل : إن أغلب معجزات بني إسرائيل كانت حسية ، وأرجع بعض العلماء ، ومنهم السيوطي ذلك لبلادة عقولهم وسذاجة أفهامهم ، يقول السيوطي : " وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم "² و المعجزات الحسية كثيرة منها:

عصا ، ويد سيدنا موسى عليه السلام ، تلك العصا التي تتحول بقدرة المولى عز وجل إلى حية تسعى ، وإلى ثعبان يلقف ما يأفكون . قال تعالى : " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين "³ .

¹ - الإسراء : الآية 88

² - السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 148

³ - الأعراف : الآية 106

ويده التي إذا أخرجها تخرج بيضاء للناظرين من غير سوء. قال تعالى : " ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين " ¹.

وناقة صالح عليه السلام والتي تخرج من صخرة ، وتشرب ماء النهر . قال تعالى على لسان سيدنا صالح : " ويا قوم هذه ناقة ا لكم آية فذروها تأكل في أرض ا ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب " ².

ثم إبرأ الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن ا لسيدنا عيسى عليه السلام . وصـدق العظيم إذ يقول : " ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسـولا إلى بني إسرائيل أنني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ر فـأنفخ فيه فيكون طائرا بإذن ا وأبرئ الأكمة والأبرص و أحيي الموتى بإذن ا " ³ وجميع هذه المعجزات المشار إليها سلفا ، انتهت بانتهاء من أرسل بها ، ولم يسمع لها خبر، ولا أثر ر من بعد .

ثانيا : معجزات عقلية :

وهي التي تدركها البصائر والعقول ، وهي مستمرة باقية خالدة إلى أن تقـوم الـساعة وجاءت لتخاطب العقول والأرواح ، ويدرك أثرها في كل زمان ومكان ، وليست محدودة بوقت ، ولا منتهية بانتهاء من أرسل بها .

وتجسدت هذه المعجزة في القرآن الكريم رسالة سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم ، تلكـم الرسالة الخالدة الخاتمة الباقية المستمرة ، والتي أرسل بها إلى العرب خاصة وإلى العالم عامة ، لأن العرب أمة عرفت ببيانها ، وفصاحتها ، وبلاغتها ، وتفوقها في أفانين القول وروائع الكلام ، وهي أمة بلغت من النضج العقلي ، والتطور الفكري درجة عالية ، لاسيما في الجانب البياني الذي فاقت فيه جميع أمم المعمورة قاطبة ، ومن ثم كانت

¹ - الأعراف : الآية 107

² - هود : الآية 63

³ - آل عمران : الآية 84

معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عقلية ، لتدل على النبوغ العربي ، يقول السيوطي :
وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ، ولأن هذه الشريعة لم
كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراهـا
ذووا البصائر¹.

وأشار المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أهمية هذه المعجزة ، واختلافها عن سائر
المعجزات الأخرى ، إذ يقول : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ،
وإنما كان الذي أوتيته وحيا أو حاه إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً"²
والمعجزة المحمدية جاءت متفردة ومتميزة عن باقي المعجزات الأخرى ؛ لأنها تمثل آخر
الرسائل السماوية ، وخاتمة الرسائل ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان آخر
الأنبياء والرسول .

فهي رسالة معجزة أعجزت العرب وغير العرب ، وتعدى إعجازها البشر ليشمل حتى
الجن مصداقا لقوله تعالى : "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"³ والمعجزة كما هو منصوص عليه عند
العلماء لاتكون -كذلك- إلا إذا كانت من جنس ما ينبغ فيه القوم ، وأحسنوه فالعرب أمة
مشهود لها بالبلاغة ، والفصاحة ، والبيان ، فشبه الجزيرة العربية - يؤمئذ - تمـور
بالشعراء الفحول ، والبلغاء الفطاحل ، والأدباء الأفذاذ ، والخطباء اللاد فجاءت المعجزة
المحمدية كلامية تتفق وطبيعة العصر ، والبيئة العربية .

فالمعجزة المحمدية كانت روحية عقلية ، لأن الإنسانية بلغت من النضج مبلغا عظيما
وصار لها شأو بعيد في المعرفة والعلوم ، ولذلك فإن المعجزات المادية الحسية صارت
لاتفي بالغرض المطلوب ، ولا تمكن من الإقناع ، وإقامة الحجة الدامغة ، والبرهان
الساطع ، ولذلك كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم قوية الحجة ، مقنعة منطقـا
وعقلا.

¹ - السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 149

² - البخاري ، الجامع الصحيح ، ط استنبول ، (دت) ، فضائل القرآن ، ج 6 ، ص 97

³ - الإسراء : الآية 88

شروط المعجزة :

تتحقق المعجزة إذا توفرت فيها خمسة شروط ، ويكفي أن يخل شرط واحد فقط ،
لتنفي عنها صفة المعجزة فما هي تلك الشروط ؟ وما أدلتها ؟

1 - عدم قدرة البشر على الإتيان بها . مثل : (إحياء الموتى ، انفلاق البحر ، انشقاق القمر).

2 - أن تكون خارقة للعادة ، ومخالفة للسنن الكونية والعقلية مثل : (نبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم الشريفة ، حنين الجذع إليه ، خروج ناقة صالح عليه السلام من صخرة)

3 - أن يستدل بها مدعي الرسالة (الرسول) على صدق دعواه . مثل (القرآن الكـريم).

4 - ألا يستطيع أحد الإتيان بها على وجه المعارضة ، أو بعبارة أخرى ، سلامتها من المعارضة

مثل : (القرآن) . قال تعالى : " فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دوني إني كنتم صادقين ¹"

5 - أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدى بتلك المعجزة (التحدي) مثل : (نزول المائدة من السماء استجابة لطلب الرسول عيسى عليه السلام بعد دعوى قومه بالإنزال).

التحدي و المعارضة :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان من أجله يزال البرهان الساطع والدليل القاطع ، والمعجزة الكبرى التي أبهرت العـرب ، وأخرست بيانهم ، وألجمت فصاحتهم ، فوقفوا أمامها من شدة دهشهم ، ورين حيـاري لا يملكون جواباً . وأمام هذه الحيرة والانبهار والذهول ، وجدوا أنفسهم عاجزين ، فاتهموا القرآن ، بنعوت وأوصاف لاحصر لها ، فقالوا عن القرآن بأنه سحر ، كهانة ، شعر

¹ - البقرة : الآية 22

وأساطير.... إلخ كما اتهموا أيضا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم بأنه : شاعر ، كاهن ، ساحر ، ومجنون... إلخ . وكل هذه الأوصاف والنعوت دل عليها القرآن الكريم . لماذا وقفت العرب هذا الموقف من الدعوة المحمدية ؟

وقفت العرب هذا الموقف العدائي من الدعوة المحمدية مكابرة وعنادا ، وكذلك أن العرب أصابها القرآن في أعز ما تملك ، وما تفاخر به ، البيان و الفصاحة فبين عشية وضحاها وجدت العرب نفسها تنهار أمام بلاغة القرآن ، وخر عليها السقف جراء فصاحته وبيانه . وهذا الأمر ليس بالهين ، كيف لا ، وتاريخ الإنسانية يشهد شهادة تظل باقية مابقيت الإنسانية ، وهي أن العرب أمة احتفلت بالشعراء والأدباء وأقامت الأسواق التي كانت معرضا للمتفنين في أفانين القول والإبداع الشعري والأدبي ، وكان كل ذلك من أجل التفاضل في الأداء البلاغي ، وكل ذلك يعطينا أبلغ الدلالة على أن في مقدمة ما تميزت به الأمة العربية من مواهب موهبة البيان ، ولا زال الإعجاز مشروطا فيه أن يتحدى القوم الذين يرسل إليهم الرسول في أهم ما نبغوا فيه ، فكان لابد أن تكون معجزة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأداء البياني في القرآن¹

ولا جرم أن العرب وقفت موقف المعارض ، والمنكر لصاحب الرسالة في بداية الأمر ، ثم القرآن الكريم ، فتحداهم الله تعالى في بداية الأمر على الإتيان بمثله ، قال تعالى : " فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين "²

ولكنهم عجزوا ، ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور ، قال تعالى : " فأتوا بعشر سور مثله مفتريات... "³

فعجزوا ، والقرآن في كل ذلك يتدرج بهم ويتحداهم تحديا جديدا ، فلما فشلوا نزل بهم إلى سورة واحدة تخفيفا ورأفة بهم ، قال تعالى : " فأتوا بسورة من مثله "⁴

¹ - محمد متولي الشعراوي ، القضاء والقدر ، دار الشهاب ، باتنة ، (د،ط) (د،ت)، ص 108

² - الطور : الآية 34

³ - هود : الآية 13

⁴ - يونس : الآية 38

وقال سبحانه : " فأتوا بسورة من مثله ..."¹ ثم أمعن القرآن في التحدي وطالبهم أن يجتمعوا هم والجن على أن يأتوا بمثله ، فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا مـ صدقا لقوله تعالى : " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "².

من خلال هذه الآيات يتضح لنا جليا أن القرآن الكريم وقف على قمة الهرم ، وحقق قمة التحدي ، فهو تحد يشمل البشرية قاطبة ، بل يتعداها إلى الجن ، واستخدام لفظ الجن يدل دلالة قاطعة على الاستحالة والتعجيز والتيئيس .

والترج في التحدي يلفت الانتباه إلى بلاغة القرآن الكريم ، وهو يخاطب هـ ولاء الله وم ويراعي حالاتهم النفسية ، وينزل معهم في كل فترة ، فيه دلالة ساطعة على أن القرآن كلاما ، وأنه معجز ، وأن التحدي القرآني يتسم بالاسـتمرارية والقدرة ، والإقناع ، وسيظل هكذا - عبر الزمان والأجيال - إلى أن تقوم الساعة .

وصدق ا إذ يقول : " فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا "³.

وعلى الرغم من هذا البيان الساطع ، والحجج الدامغة، والبراهين القائمة، إلا أن هناك الكثير ممن سوات لهم أنفسهم أن يركبوا تلك الحماقات والسخافات زاعمين أنهم يعارضون القرآن ويقفون ندا له ، فادعى الكثير منهم النبوة رجالا ونساء ، فمن الرجال : مسيلمة الكذاب، ومن النساء سجاح... وغيرهما كثير.

وهذه المعارضات - في اعتقادنا - دلالة قاطعة على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصدق رسالته ؛ لأن ظهور المعارضات ، وادعاء النبوات أمر خدم قضية الإعجاز في القرآن .

كيف ذلك ؟

لأن هؤلاء المعارضين أيقنوا جلال القرآن وعظمته ، وافتتنوا به، وبأسلوبه ، وطرائق نظمته البديعة ، وأدركوا سر تأثيره في النفوس لما يحمله من دلالات المعاني ، وما يشتمل عليه من جمال صوتي ، وإيقاع وأجراس تشد النفوس ، وتهز المشاعر .

¹ - البقرة : الآية 23

² - الإسراء : الآية 88

³ - البقرة : الآية 23

وعلى الرغم من أن تلك المعارضات عبرت عن سداجة أصحابها ، وتفاهاتها لفظا ومعنى إلا أنها خدمت قضية الإعجاز خدمة منقطعة النظير، وكانت حجة وبرهانا ودليلا قاطعا. لأولئك الرافضين لمسألة الإعجاز أولا ، والمنكرين لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا .

والقرآن سيظل شاهدا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشاهدا على أن آياته منزلة من عند الله ، وها هو النجاشي يقر بذلك حين تلا عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه آيات من سورة مريم : "إن هذا ، والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة" ¹ فالقرآن كله يدل على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحة رسالته ، ولعل من البراهين القرآنية الدامغة تلك المعجزات التي خص بها المولى عز وجل أقواله وعلمه وأفعاله ، فتحداهم في أمر الموت مع علمه أنهم لن يفعلوا أبدا ، ولن يتمنوه ، يقول الحق تبارك وتعالى : " قل إن كانت لكم الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " ².

قال القاضي عياض في الشفاء ، قال أبو إسحاق الزجاج : "في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على حجة الرسالة ، لأنه قال لهم فتمنوا وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا، فلم يتمنه واحد منهم" ³.

¹ - د. عبد الحليم محمود ، الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1985 ، ص86

² - البقرة : الآية 94

³ القاضي عياض ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م ، ج1، ص229

من آراء السابقين في الإعجاز ووجوهه

لاشك وأن الحديث عن الإعجاز في القرآن الكريم يعد من الأمور الشائكة المتـسمـة بالوعورة والعنت والمشقة ، ذلك لأن قضية الإعجاز من القضايا السرمدية التي لا يمكن لأي مخلوق مهما أوتي من البراعة والنبوغ في العلوم والمعارف على مختلف ينابيعها ، وألوانها ، وأشكالها ، ومهما تفوق في علوم البلاغة وأفنانها ، والنحو ووضـروبه ، واللغويات بعامة وصنوفها ، أن يصل إلى أسرار الإعجاز في القرآن ، ضف إلى ذلك أن الإعجاز القرآني في كل عصر ومصر وجيل يأتي بالجديد ، وتظهر وجوه لا حصر لها . فقضية الإعجاز مستمرة إلى يوم الدين ، وإن يستطيع أحد أن يزعم أنه قال كلمة الفصل وبلغ غور هذه القضية ، ومن هنا يمكن القول : إن الحديث عن الإعجاز في القرآن يعد في حد ذاته ضرباً من الإعجاز يقول الرافعي: و " ما أشبه القرآن الكريم في تركيبه بعجازه وإعجاز تركيبه ، وبصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفته العلماء من كل جهة ... وأخلقوا جوانبه بحثاً وتفتيشاً ، ثم هو بعد لا يزال عندهم على ذلك خلقاً جديداً ، ومراماً بعيداً"¹

وعلى الرغم من ذلك ألفينا السلف الصالح قديماً وحديثاً ذهبوا في إعجاز القرآن مـذاهب شتى ومتعددة ، وعالج كل لفيف منهم إعجاز القرآن من زاوية معينة ، وإنـبـروا لهـذا الموضوع ، ورصدوا له كل جهدهم وأوقفوا جل دراساتهم ، وأبحاثهم ، ومعارفهم وتـفـانوا في ذلك تفانياً منقطع النظير ، فنجم عن ذلك وجوه ونظرات ، وآراء متباينة تضافرت

¹ - الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتابة العربي ، بيروت ، لبنان ، ط9 ، 1973 ، ص 140

لتجلي بعضا من إعجاز القرآن العظيم ، وعلى الرغم من ذلك وقف بعضهم عاجزا ، ولم يستطع إدراك كنه إعجازه ، أو يحدده ، ومن هــ ـ ولاء السكاكـي حيـث يقول : " اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ، ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن ، تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحـة¹ " .

ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا ، وطريق اكتساب الذوق : (طول خدمة هــ ـ نين العلمين) ويتصد بها علمي المعاني والبيان .

وأمام هذا الفيض الإلهي ، وإقرار الإنسان بالعجز في بلوغ كنه الإعـجـاز وأسـرارـه ، والوصول إلى وجوهه ، حاول العلماء تقصي وجوه الإعجاز ، والعمل على سبر أغواره ، والنفاز إلى أعماقه ، وتحديد أبعاده ؛ كل ذلك محاولة منهم للكشف عن غوامضه ، واكتناه مجاهله ، والوقوف على سحره ، واستخراج درره وتبيان جماليته .

إذا ، ماهي أهم الآراء التي قيلت في الإعجاز قبل الزركشي ؟

1 - النظام ورأيه في الإعجاز ت (220 هــ ـ)

النظام إمام المعتزلة ، ورأس من رؤوسها ، عده الدارسون والباحثون من الأوائل الذين قالوا في الإعجاز القرآني ، ورأيه واضح بين حيث يرى أن القرآن معجز بالصرفة ؛ أي أن العرب كان بمقدورهم معارضة القرآن والإتيان بمثله ، لكن عز وجل صرفهم ومنعهم عن ذلك ، إما بالمنع أو حبس العـلـوم التي تمكن من المعارضة . يقول النظام : "إن الآية والأعجوبة في القرآن مافيه من الإخبار عن الغيوب ، فلما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن ا منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم² " .

¹ السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح ، عبد الحميد هندواي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000م ، ص 526
² الأشعري ، مقالات الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، (ب ط) (د ت) ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ج 1 ، ص 271

إن النظام - ولاريب - بقوله هذا نجده ينحرف عن جادة الصواب ، ويتنكب عن الصراط السوي ولا يقول أحد مثل مقالته هذه ، إلا مكابر ومعاذ ، لأن إقـرارـه بالأمور الغيبية التي أخبر عنها القرآن دلالة قاطعة على إعجازه .
أما حديثه عن قدرة العباد على التأليف والنظم على شاكلته ، فهذا أمر جال وحيف ما بعده حيف على القرآن ، وكيف يعقل أن العرب الفصحاء البلغاء الأفـحـاح - آنذاك - وقفوا حيارى أمام بلاغة القرآن ، ويديع فصاحته ، وسر نظمته ، فلم يجدوا بدا بعدما انهزموا في الجانب البلاغي الذي اشتهروا فيه وفاقوا باقي الأمم ، إلا أن يشهروا السيف في وجه النبي صلى الله عليه وسلم للقضاء على دعوته . أليس التوجه إلى السيف مدعاة إلى الإقرار بالعجز والغلبة أمام بيان القرآن ؟ وهل تقارع الحجة الكلامية بحد السيف ؟ وهل - فعلا - استطاعوا : دحر هذه المعجزة ؟

إذا كان ا جل في عليائه منع العرب وحبس عنهم العلاء - وم التـي تمكـنهم مـن معارضة القرآن والتأليف على نهجه ، هل استطاع العرب وغير العرب من بعده أن يأتوا بمثل هذا القرآن ؟ وهل استطاعوا إبطال معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟!

إن القرآن - ولاشك - معجزة خالدة تحدى بها المولى عز وجل العـرب وغيـر العرب على أن يأتوا بمثله ، وسيبقى التحدي مستمرا إلى يوم الناس قاطبة ولا يمكن الإنس ولا الجن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

لاشك ، وأن رأي النظام وأتباعه لم يلق رواجاً وشيوعاً في حقل الإعجاز القرآني لما فيه من مخالفة للحق ، وبعداً عن المنطق السليم ، فالنظام يقول بالصرفة ، ولا يمكن أن تكون الصرفة وجهاً من وجوه الإعجاز ، لأن ا أقام التحدي ، والتحدي يستلزم المعارضة والمعارضة تستلزم إقامة الحجة والبرهان ، ولكن العرب وقتئذ عجزوا ولم يستطيعوا يومئذ ، وإلى أن تقوم الساعة يظل العرب والعجم والجن

عاجزين أمام القرآن ، فأنى للصرفة والقائلين بها ؟ فرأيهم حديث خرافة ، وزيف ، وضلال ، وتجن على القرآن وعلى صاحب الرسالة الخاتمة .
وعلى الرغم من فساد وبطلان رأيي القائلين بالصرفة ، إلا أنه كان مـ ن أهـ م
العوامل التي ساعدت على نشأة البحث عن الوجوه الحقيقية للإعجاز القرآني ، مما
دفع بعلماء الإسلام إلى تكثيف الجهود من أجل التنقيح والتنقيب بـ عـ ن الوجـ وه
البديلة والجديدة والتي من خلالها يتم الكشف عن أسرار القرآن ومظاهر إعجازه
ومن هنا يصدق المثل العربي القائل : (رب ضارة نافعة) بمعنى أن مقولة النظام
وأتباعه بالصرفة كان لها الفضل – على الرغم من فسادها – فـ ي ذـ شاة عـ لـ وم
البلاغة ، وتنام البحث في وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

الجاحظ ورأيه في الإعجاز: (ت 255 هـ -)

الجاحظ من الباحثين القلائل الذين كانت لهم بصمات واضحة المعـ المـ
منقوشة الملامح على صفحات تاريخ الفكر العربي ، ذلك أن الرجل لم يترك فـ ذـ لـ
إلا وعالجه ، ولا موضوعاً إلا وطرقه ولا مسألة إلا وأدلى فيها بـ دلـ وهـ . فما هـ و
وجه الإعجاز في القرآن في نظره ؟
يرى الجاحظ أن القرآن معجز بنظمه ، وهو النظم الذي انفرد بـ هـ القـ رآن فـ ي
صياغة أساليبه صياغة تنتظم بها المعاني انتظام الروح في الجسد . يقول الجاحظ
: " في كتاب المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظم البديع الذي لا يقدر عـ لـ
مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به " ¹.

¹ - الجاحظ، الحيوان ، تح عبد السلام هارون ، مطبعة التقدم ، مصر 1323هـ ، ج 4 ، ص 32

ومع أن الدارسين يذكرون له كتاب * نظم القرآن * ، ولكنه ضاع كمـ. ا ضـاعـت كتب كثير ، وعلى الرغم من ذلك نجد حديثا عنه في ثنايا كتبه الأخـ. رى كالبيـ. ان والتبيين ، والحيوان ، وغيرهما وذكره الخياط في كتابه الانتصار قـ. ائلا : " ولا يعرف في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد صلى ا عليه وسلم ، على نبوته غير كتاب الجاحظ ¹ .

والجاحظ يقيم الحجة على عجز العرب واندحارهم أمام بلاغة القرآن الكريم حيث يقول : " بعث ا محمدا صلى ا عليه وسلم أكثر ما كانت العـ. رب شـاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة ، وأشد ما كانت عدة ، فدعا أفصاها وأدناها إلى توحيد ا وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة ، فلما أزال الـشبهة وصـار الـذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة ، حملهم على حـضهم بالسيف ² .

ولم يأتوا بسورة من مثله ، بل آثروا الحـ. رب معـه لعجـزهم عـ. ن مقارعتـه واندحاضهم ، و ظل القرآن يتحداهم ، ويقارعهم ، ويجلي عجزهم ، يقول الجاحظ : " فلم يزل يقارعهم بعجزهم وينقصهم على نقصهم ، حتى تبين ذلك لـضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لأقويائهم وخالصهم ، وكان ذلك من أعجب ما آبهـا ا نبيـ. ا قط ³ .

يرى الجاحظ أن لجوء العرب إلى الحرب والقتال حجة دامغة على أنهـ. زامهم وإثباتا للإعجاز القرآني وصدق رسالة الرسول صلى ا عليه وسلم .

¹ - أبو الحسين الخياط ، الانتصار ، تح ، د تبيرج ، ط ، دار الكتب العربية مصر ، 1925 ، ص 154 ، 155
² - الجاحظ ، رسالة حجج النبوة ، ضمن مجموعة رسائل الجاحظ للسندوبي . (ب ط) (د ت) ص 145 ، 146
³ - مازن المبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 6 ، 2006م ، ص 37

والجاحظ ممن يحفلون بالصياغة وجودة العرض ، ورأيه أن البلاغة نظم وصياغة وإذا كان هو صاحب نظرية النظم ، فهو أعلم الناس بهذا النظم ، ففي غيـر موضع يشير إلى أن العبرة بالطول والامتداد ، وإلا فإنه يقع في كلامنا مثـل * الحمد * * وعلى ا توكلنا * مما في القرآن ، وليس بشئ في النظم ولا يعول عليه .

والجاحظ – ولا ريب- كان سباقا إلى القول: بأن القرآن معجز بنظمه ، والنظم هو الأساس الذي قام عليه أسلوب القرآن ، وهو الأساس ذاته الذي حير العرب ، وأدهش الناس جميعا . " ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة ، أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، ولو استعان بجميع قحطان * و معد بن عدنان *¹

من خلال هذا القول، وأقوال أخرى يتضح لنا جليا أن الجاحظ كان إمام القائلين بأن القرآن معجز بنظمه ، وحاز بذلك قصبات السبق .

ورأي الجاحظ يعد عمدة الآراء في مسألة الإعجاز، وهو الذي مهد الطريق لمن جاؤا بعده وساروا على نهجه .

ومن ثم ، فالنظم هو الوجه الرئيس في قضية الإعجاز في القرآن ، وفيه تبرز روائع القرآن ، ومظاهر إعجازه وملامحه .

يقول إحسان عباس في معرض حديثه عن النظم كوجه من وجوه الإعجاز وأسبغية الجاحظ إلى هذا الوجه : "لأن الجاحظ كان قد سبق جميع النقاد إلى اعتبار النظم سر الإعجاز"².

¹ - الجاحظ ، رسالة حجج النبوة ، ضمن مجموعة رسائل الجاحظ السندوبي . (ب ط) (د ت) ، ص 120
² إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 1983 م ، ص 337

وهذا الوجه تأثر به حتى المتأخرون من أمثال الباقلاني ، الجرجاني ، والزركشي في البرهان، فتراهم يحومون حول براهين الجاحظ في الإعجاز ، ولا عجب . فالجاحظ يري أن النظم على صورة مخصوصة ، وفي امتداد رحب ، هـ- و المعرض الذي تتجلى فيه ملامح الإعجاز .

الرماني ورأيه في الإعجاز: (ت 382 هـ-)

درس الروماني قضية الإعجاز في القرآن الكريم، ووقف من خلال دراسته

على **سبعة أوجه تتمثل في النقاط التالية :**

- 1- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة .
- 2- الصرفة
- 3- البلاغة
- 4- قياسه بكل معجزة
- 5- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية
- 6- التحدي للكافة
- 7- نقض العادة.

إلا أن الرماني اعتبر البلاغة من أبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ،حيث اتضح له أن الصنعة الإلهية تتميز و تتفرد عن الصنعة البشرية ، ومن ثم مـ نـ راه وضع حدا للبلاغة متأثرا بالباحثين اليونان للأسلوب فهو **ثلاثة أذ-واع** : رفيـع ، متوسط وعادي .

يقول الرماني : " فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ومنها ما هو في أدنى طبقة ، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة ، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن ، وما كان دون ذلك ، فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"¹

من خلال هذا التصنيف لمراتب البلاغة نلاحظ أن الرماني خص القرآن الكريم بالطبقة العليا "فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن"² ، ويرى أيضا أن الكلام من حيث التناسب والتلاؤم على ثلاثة أقسام : متنافر م - متلائم ف - في الطبقة الوسطى ، و متلائم في الطبقة العليا ، بمعنى : متنافر ، ووسط وفي أعلى مرتبة . والقرآن في أعلى مرتبة حيث يقول : "ومتلائم في الطبقة العليا القرآن كله ، وذلك بين لمن تأمله"³.

إلى جانب هذا ، قد لمح الأثر النفسي للبلاغة لكي يجعل المعجز منها أشد تأثيرا ، وذلك من خلال تعريفه للبلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة في اللفظ⁴.

وتعريفه للبلاغة يجمع بين الجوانب الفنية ، والجوانب النفسية ، وإذا ما التقى الجانبان وقع الأثر ، وكذا ، لأن جودة النظام الهدف منها التأثير في النفس . ولأن النفس تذهب فيه كل مذهب كما نقول اليوم يفسح المجال للمتلقى.

¹ - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، تح. محمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر ، ط3 ، ص69

² - م ، ن ، ص 95

³ - م ، ن ، ص 95

⁴ - م ، ن ، ص 69

الخطابي ورأيه في الإعجاز: (ت 388 هـ -)

يعتبر أسبق الباحثين عن الإعجاز بطريقة علمية منظمة، لأن الخطابي يرى منذ الوهلة الأولى حقيقة ، وهي تعذر إدراك وجوه الإعجاز في القرآن مع محاولة ذلك من كل واحد .
ويعقب عبد الكريم الخطيب بأن ذلك هو عين الصواب ، لأن ذلك ليس علما فهـ و لا يخضع لمفاتيح¹ .

وأما كون القرآن معجزا فلا شك فيه ولا يحتاج إلى دليل ، وضرب مثلا بالعطشان الذي معه ماء وهلك ، ولم يشرب ، فهو غير قادر.
يقول الخطابي : " ومعلوم أن رجلا عاقلا لو عطش عطشا شديدا خاف منه الهلاك على نفسه وبحضرته ماء معرض للشرب فلم يشربه حتى هلك عطشا لحكمتنا أنه عاجز عن شربه ، غير قادر عليه ، وهذا بين واضح لا يشكل على عاقل² .

والخطابي يذكر جل وجوه الإعجاز ما عدا النظم ، ولذلك ألفناه يرد على القائلين بالصرفة بقوله تعالى : "لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"³

¹ - ينظر ، عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن ، الإعجاز في دراسات السابقين ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط 1 ، 1974م ، ص 183

² - ن . م ، ص 184

³ - الإسراء : الآية 88

كما رد على الفائلين بالإعجاز من ناحية الإخبار بالغيوب ، بأن ذلك لا يمس القـرآن جميعه .

وقال الخطابي بأن الإعجاز إنما هو في النظم (النظم ، واللفظ ، والمعني) . وهو يري أن كثيرا رأى هذا الرأي (أي الإعجاز من جهة البلاغة) ولكـنهم عجزوا عن تعليله ؛ لأنهم احتكموا إلى أذواقهم بعـدا عن الرأي والمنطق يقول : "ذهب الأكثرون من علماء النظم إلى أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة ، لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا إلى حكم الذوق"¹ . ويرى أن تعذر الإتيان بمثله ، لأن العرب مع بلاغتهم لا يحيطون بجميع أساليب اللغة البديعة .

وتفطن إلى عامل نفسي ، وهو صنيع القرآن وتأثيره في النفوس وقوة أسرته ، وهو وجه من وجوه الإعجاز يقول الخطابي : " وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما أو منثورا - إذا وقع الـسمع خاص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى - ما يخلص من القرآن إليه"²

ورأي الخطابي في مسألة الإعجاز يتلخص في أن القرآن معجز بنظمه ، وروعة تأليفه ، وصحة معانيه ، وفصاحة ألفاظه ، ومدى تأثيره في النفوس وسريانه في القلب ، ومن العلماء من يجعل هذا الصنيع والتأثير أسمى وجوه الإعجاز في القرآن ، ويبين الخطابي عن رأيه في كيفية إعجاز القرآن : "أن القرآن إنما صار معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، وفي أحسن نظوم التأليف ، مضمنا أصح المعاني"³ .

¹ - عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن ، ص 188

² - م . ن ، ص 192

³ - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1992 ، ص 143

إلى جانب ذلك ألفناه يرد على ثلاث فرق :

- أ- أصحاب الصرفة .
- ب- أصحاب الإخبار بالغيوب .
- ج- معتمدي التفسير الذوقي.

وجاء بثلاث رؤى:

- أ- قال بالإعجاز في النظم.
- ب- قوة الأسر.
- ج - إحاطته بالأساليب مما لا يوجد عند العرب.

الباقلاني ورأيه في الإعجاز (ت 403هـ -)

عد الدارسون والباحثون كتاب إعجاز القرآن للباقلاني من خيرة الكتب التي ألفت في باب الإعجاز ، لأنه من الكتب التي اتسمت بالشمول والعمق في الطرح وقوة الاستدلال ، وإذاك وصفه ابن العربي قائلا : " ولم يصنف مثله"¹.

والمأمل في الكتاب يجد أن الباقلاني أوضح أن القرآن في حد ذاته دليل قاطع على صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنه معجزته الخالدة . ثم أشار إلى الغاية التي من أجلها ألف هذا الكتاب ، والمتمثلة في أن الملاحدة طعنوا في القرآن وساووا بينه وبين الشعر . كما ذكر كتاب الجاحظ الموسوم ب (نظم القرآن) وقال : أنه غيـر كـاف عـلى الرغم من أن هذا الكتاب كما تروي الأخبار قد ضاع كما ضاعت نفائس كثيرة من التراث العربي .

¹ - البرهان في علوم القرآن، ج2، ص101

يرى الباقلاني أن القرآن معجزة ، لأنه تقع به الهداية ، وليبرهن على هذه القضية أورد آيات قرآنية كثيرة منها قول الحق تبارك وتعالى: " آله كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد " ¹ ، فالقرآن الكريم جاء لهداية الناس إلى الصراط المستقيم ، وإرشادهم إلى طريق الحق ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وجاء ليصحح اعتقادهم ، ويدعوهم إلى التمسك بتوحيد الله وعبادته حق العبادة . فالعز وجل غني عن العالمين ، لا يريد منهم جزاء ولا شكورا وصدق الله إذ يقول: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعموا - وإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " ² .

ويذهب الباقلاني إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن سماع القرآن وشدة أسره وقوة تأثيره دلالة على أن القرآن معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مستدلا على ذلك بقوله تعالى : " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " ³ ، يقول الباقلاني : " فلو أن سماعه حجة لم يوقف أمره على سماعه ، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة " ⁴

وتتجلى نظرة الباقلاني إلى قضية الإعجاز القرآني في أن القرآن الكريم معجز من وجوه ثلاثة :

1- الإخبار عن الغيوب ، ذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه .

2- أمية الرسول صلى الله عليه وسلم .

3- بديع النظم ، عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى حد الإعجاز

¹ - إبراهيم الآية 2، 1

² - الذاريات الآيات ، 56، 57، 58

³ - التوبة ، الآية 6

⁴ - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، (ش، ت) د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1411 هـ / 1991 ، ص 56

**إذن يمكن القول في الكشف عما في نظم القرآن من إعجاز يمكن حوصلة رأيه في
النقاط الآتية :**

- 1- ما يرجع إلى الجملة (جملة القرآن كله)، فهو قرآن وليس من أسس الخطأ المعروف عندهم .
- 2- اشتماله على بديع الألفاظ ، وغريب التركيب ، وأجود المعاني مع الامتنان والتناسب.
- 3- عدم التفاوت في نظمهما امتداد ، وطال .

إلى جانب ذلك نفي الشعر والسجع عن القرآن ، وتكلم عن البديع وأبوابه وقسمها إلى ثلاثين نوعاً يذكر فيها الشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال الصحابة والأشعار ، وقد يعتمد إلى تقديم تعريف للنوع قبل ذكر الشواهد كما فعل في حديثه عن المقابلة والمساواة والإشارة ، والتجنيس... الخ .
وينبغي أن يكون إعجاز القرآن راجعاً إلى ما فيه من بديع ، وفي هذا يقول : "لأسبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ، ووصفوه فيه وذلك أن هذا الفن ليس ما يخرق العادة ، ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به ، والتصنع له ، كقول الشعر ، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحذف في البلاغة"¹.

وفي كيفية الوقوف على إعجاز القرآن وإدراك كنهه ، يقول : " قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن ، إلا أن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك . فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا على أن يأتيوا بمثله

¹ - الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ص 162

وَقَرَعُوا عَلَى تَرْكِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، وَلَمْ يَأْتُوا بِهِ ، وَبَيْنُوا أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْهُ ، وَ إِذَا أُعْجِزَ أَهْلُ اللِّسَانِ فَهَمُّ عَنْهُ أُعْجِزَ¹ .
أما عن التحدي ، فألفيناه يرى أنه ضرورة لإثبات صدق نبوة الرسول صـلى الله عليه وسلم ، وصدق دعوته .
كما يعرض الباقلاني وجوه البلاغة العشرة كما عرضها الرمانى .
بالإضافة إلى أن كتابه يحتوي على قصيدة امرئ القيس ، ولامية البحتري ، ونقد أدبي لهما .

إن رأي الباقلاني في قضية الإعجاز القرآني ، يتبلور فـي أن اللهـ رآن معجـز بنظمه ، فالنظم هو السمة المميزة له عن سائر الكلام البشري و أن بنيته مستغرقة لجميع آي القرآن الكريم ، ومن ثم : " ونظم القرآن جنس متميز ، وأسلوب متخصص وقبيـل عن النظم المتخاص " ² فالنظم القرآني في نظر الباقلاني نسيج وحده ، بـل هـ و وحـدة متكاملة تستغرق كل القرآن الكريم . يقول الباقلاني : " ونظم القرآن في مؤلفه ومختلفه ، وفي فصله وافتتاحه واختتامه ، وفي كل نهج يسلكه ، وطريق يأخذ فيه وباب يتهجم عليه ووجه يؤممه ، على ما وصفه الله تعالى به - لايتفاوت - ولا يخرج عن تشابهه وتمائله " ³
ومن هنا ، فإن النظم القرآني من وجهة الباقلاني يغير ويخالف كلام الإنس والجن ومـن ثم " إن نظم القرآن وقع موقعا من البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن ، كما يخرج عـن عادة كلام الإنس " ⁴

¹ -المصدر السابق ، ص 165² - ثلاث رسائل في الإعجاز القرآن ، ص 25³ - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 279⁴ - المصدر نفسه ، ص 55، 56

ومن هنا نجد أن الباقلاني أصاب كبد الحقيقة التي توصل إليها من خلال دراسته لقضية الإعجاز القرآني ، ومن خلال تقليب وجهات نظره في الكلام المنظوم والمنثور ليصل ، وعن يقين إلى أن القرآن كلام المعجز ، فوق طاقة البشر ، وصدق إذ يقول على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي " ¹ وقول الحق تبارك وتعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ²

عبد القاهر الجرجاني ورأيه في الإعجاز (ت 471، 474هـ)

يرى الجرجاني أن قضية الإعجاز القرآني تأتي على قمة الهرم بالنسبة لاهتمامات العلماء والباحثين ذلك أن إدراك الإعجاز القرآني لا يتم إلا بدراسة متأنية واعية لخصائص التعبير التي تجعل بعضه يعلو بعضا حتى يصل إلى درجة تنقطع عندها الآمال في معارضته ، وهي درجة الإعجاز.

والجرجاني في دراساته البلاغية ينطلق من إحساس عميق يتمثل في أن الدراسات القرآنية تنبني أساسا على قضية الإعجاز.

وبالبحث عن آراء الجرجاني في قضية الإعجاز يجدها مبثوثة ضمن كتبه الثلاثة :

أ- دلائل الإعجاز.

ب- أسرار البلاغة .

ج - الرسالة الشافية .

وتتلخص آراؤه في عناصر ثلاثة :

أ- القرآن معجز ببلاغته.

ب- بلاغة القرآن تكمن في نظمته ، فإعجازه في نظمته.

ت- بيان طبيعة النظم وما هيته .

¹ - الكهف الآية : 105

² - النجم الآية : 4،3

فالجرجاني يربط قضية الإعجاز في القرآن الكريم بالنظم ، ولذلك ألفيناه يـ- رفض جميع-ع الوجوه التي قيلت في الإعجاز ، من صرفة إلى إخبار بالغيوب ، إلى-ى ذك- ر ق-صص الغابرين... وغيرها من تلك الوجوه ، ويتخذ من النظم مطية لإثبات إعجاز القرآن دون سائر الوجوه الأخرى ، لأنه يرى أن النظم والتأليف يستغرقان جميع القرآن. نفى أن يكون الإعجاز في الألفاظ المفردة ، لأن الألفاظ المفردة جرت على ألسنة العرب قديما قبل نزول الوحي ، كما رأى -أي-ضا - أن الإعجاز لا يك-ون ف-ي الفواصل-ل والأجراس ، والإيقاع ، لأن العرب تمرست بالوزن والقافية من خلال إبداعها الشعرية ، وكذلك أن الإعجاز في نظره لا يتأتى من باب الاستعارة .

إذا أين يكمن الإعجاز في نظره ؟

يجيب الجرجاني : "فلم يبق إلا أن يكون الإعجاز في النظم والتأليف"¹ وفي معرض حديثه عن الألفاظ يرى الجرجاني أن اللفظة المنفردة المعزولة عن ال-سياق لا قيمة لها ، ولا تتفاضل بينها وبين أختها مالم تكن داخل سياق ما ؛ لأن السياق هو الذي يؤدي إلى إحداث تناسق في الدلالة ، وبالتالي يؤدي إلى إبراز المعنى، وفي هذا يقول : " إن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خلاصا من التأليف ، وحسن الترتيب ويعمد بها إلى-وجه دون وجه من التركيب والترتيب)²

ومن هنا نلاحظ أن جودة الصياغة ، وروعة التأليف ، وحسن الترتيب ، ومدى مواعمة الألفاظ بعضها البعض مكمن الجمالية المعنوية للألفاظ ، ل-ذلك لاحظ الجرجاني أن الألفاظ لا تتفاضل فيما بينها وهي منفردة مجردة ، وإنما يتم لها-ا التفاضل إذا كانت منتظمة في سياق مضمومة بعضها إلى بعض ، ملائمة للمعنى ، م-سبوكة م-سبكاجي-دا فاللفظ لا يمكنه بحال من الأحوال أن ينفصل ع-ن المعنى ، ف-اللفظ والمعنى أم-ران متلازمان .

¹ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 274

² - الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح ، مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص 10

وإلى هذا أشار ابن رشيق قائلا : " اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوي بقوته "¹

ومن ثم ، فالجرجاني يلح إلحاحا شديدا ومستمر على أن النظام هو السبيل الأوضح للكشف عن مظاهر الإعجاز في القرآن ، لذلك يكرر دلالة النظام في مواضيع كثيرة مـ ن كتابهـ دلائل الإعجاز ، حيث يقول : " واعلم أن ليس النظام إلا أن تضع كلامك الوضع الـذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيـغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها) "²

وفي مواضيع كثيرة من كتابه الدلائل ينوه بإجماع رأي العلماء على فضيلة النظام ، وعلو شأنه ، وسموق قدره ، حيث يقول : " وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن الـنظام ، وتفخيم قدره ، والتنويه بذكره ، ولإجماعهم أن لا فضل من عدمه ، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له ، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ) "³

أن الجرجاني يرى أن القيم الفنية الجمالية في الإبداع تتأسس على نظرية النظام حيث جعل النظام محكا جوهريا ينبني عليه النقد ، ومعيارا أساسيا في بيان القيمة الفنية مـ ن حيث الجمال ، أو القبح ، ينضاف إلى ذلك ، يرى الجرجاني أن النظام هو السبيل الأمثل والأوضح الذي يوجه الأذواق إلى مواطن الجمال ، ومكامن الإبداع في العمل الـإبداعي والكشف عن سحره البياني ، كما يسفر عن مراتب الكلام.

ومن ثمة يمكن القول : ليس هناك ما يدع مجالا للشك في أن نظرية النظام كان لها بالغ الأثر في الدرس النقدي قديما وحديثا ، حيث ألفينا الكثير من البـاحثين والدارسين تلقفوا هذه النظرية ، وجعلوا منها أسا يهرعون إليه في تناول الأعمال الإبداعية علـى مختلف مشاربها ومصباتها بالنقد والتحليل .

¹ - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1963 ، ص 124

² - الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422هـ ، 2001م ، ص 60

³ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 63

فالنظام - ولا ريب - سمة الإبداع ، ودلالة العبقرية ، فالتمايز لدى الأدباء يبرز في مدى قدرتهم على نظم الكلام .

الزمخشري ورأيه في الإعجاز (ت 538هـ):

يرى الزمخشري أن الإعجاز القرآني يكمن في مسألتين اثنتين هما :

أ- الإعجاز بالأخبار الغيبية .

ب- الإعجاز بالنظم .

يشير الزمخشري إلى أن ما ذكره القرآن الكريم من أخبار غيبية لدلالة صدقها على أن القرآن معجزة دالة على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا تراه يـقـول : "و صدق الأخبار عن الغيوب معجزة"¹.

أما في معرض حديثه عن مواطن الجمال في القرآن الكريم وأسس رآه يـقـول : "وهـذه الأسرار و النكت لا يبرزها إلا علم النظم ، وإلا بقيت محتجبة في أكمالها"²

والزمخشري متأثر بالجرجاني في القول * بالنظم * ، لأن الآراء التي جاء بها الجرجاني في النقد والبلاغة ، والتي استوحاها من نظرية النظم ، استقطبت العلماء أيما استقطاب ، وراحوا يجعلون منها دروساً تطبيقية في دراساتهم وتآليفهم ، وكان على رأس هــؤلاء الزمخشري ، حيث جاء سفره *الكشاف* في تفسير القرآن دروساً تطبيقية محضة لآراء الجرجاني النقدية ، ونظراته البلاغية الثاقبة ، وفي هذا الصدد يـقـول صدق رزق : "وتجد أفكار الجرجاني النقدية ورؤيته البلاغية الواعية صداها عند الدارسين والمفسرين ،

¹ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، المطبعة العامرة الشرقية (د.ت) ، ط1 ، ج ح ،

ص 385

² - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 302

فتمثل درسا تطبيقيا ناضجا على يد الزمخشري في كشفه¹

والمأمل في * الكشف * يقف مشدوها أمام تلك الجماليات التي اسـتنبطها الزمخـشري أثناء تفسيره لآي الذكر الحكيم ، كما تستوقفه تلك الاستنتاجات الغنية بالملحوظات اللغوية والتفسيرات البلاغية الرائعة ، والتي زادت في إثراء المعاني ، وخدمت قضية الإعجازـاز القرآني ، وأوضحت جمالياته ، وروائعه ، يقول صلاح رزق مشيرا إلى روعة الدرس التطبيقي لدى الزمخشري مبينا . " فكان درسا زاخرا بصور التحليل الجمالي للنظم علىـى نحو يتضح معه التركيز على إثراء المعاني ، وتميز كيفية تقديمها من خلال نهج بيـاني مخصص² .

وخلاصة القول : أن الزمخشري كان في نظريته إلى قضية الإعجاز في الفـرآن الكـريم مطبعا أكثر منه منظرا ، فكان أمينا لنظريات ورؤى عبد القاهر الجرجاني التي رسـمها في كتابه دلائل الإعجاز .

السكاكي ورأيه في الإعجاز (ت 626هـ) :

يرى السكاكي أن القرآن معجز بالنظم ، كما قال عبد القاهر الجرجاني من قبل وأن الإعجاز في نظره لا يمكن إدراكه ، والوصول إلى أعماقه ، والوقوف على جمالياته وأسرارها إلا بالذوق ، والدربة والمران على أساليب العرب ، وكلامها البليـغ وطـول خدمة علم البلاغة .

يورد السكاكي وجوها أربعة للإعجاز القرآني وهي :

- 1- الصرفة.
- 2- الأسلوب من حيث الإبتداء.
- 3- سلامته من التناقض.
- 4- اشتماله على الغيوب.

¹ - صلاح رزق ، أدبية النص ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ط 1 ، 1989م ، ص 42

² - المرجع نفسه ، ص 42 ، 43

ولكنه لم يرتض واحدا من هذه الوجوه ، بل ألقيناه يفندها واحدا واحدا ويبطلها جميعا ثم ينبه إلى أمر مهم عده السبيل الأوضح في تحديد وإدراك الإعجاز القرآني ، وهــ و الوجـه البلاغي ، ذلك أن الإعجاز في نظره من جنس البلاغة والفصاحة ، وهــ ذا لا يتـأتى إلا بطول خدمة علميهما : المعاني والبيان ، وفي هذا السياق يقول : "واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن : تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحظة

1»

إذن ما المحك عنده لإدراك مكامن الإعجاز وأسراره ؟

يجيب السكاكي قائلا : "ومدرك الإعجاز عندي هو : الذوق ليس إلا ، وطرائق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين ² ويعني بالعلمين : علم البيان وعلم المعاني .

ومن هنا يتضح لنا جليا أن السكاكي لم يأت بجديد في قضية الإعجاز القرآني ، وإنما سار في فلك من سبقه من العلماء من أمثال : (الرمانى ، والخطـابى ، والـبـاقـلانى ...) وغيرهم ، القائلين بأن البلاغة هي الوجه الأمثل في قضية الإعجاز القرآني .

¹ - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 526

² المرجع نفسه ، ص ن

الزركشي ورأيه في الإعجاز (ت 794هـ) :

نوه الزركشي في مستهل حديثه عن الإعجاز القرآني بأهميته ، وجلال قدره وعلو شأنه ، وسموق منزلته ، لأن هذا الباب يعد عصب الدراسات القرآنية ، والأساس الذي تأسست عليه علوم اللسان جميعها (كاللغة ، والنحو ، والبلاغة...) وغيرها . يقول : "وهو علم جليل ، عظيم القدر ، لأنه نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزته - الباقية القرآن ، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز"¹ ، ويتضح لنا من خلال هذا القول أن الشاهد الحقيقي على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، القرآن الكريم ، ومن ثم وجب معرفة الإعجاز ووجوهه . ويستدل الزركشي بقول الحق تبارك وتعالى : " وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عندنا وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم "².

ثم يعقب على هذه الآيات بقوله : " فأخبر أن الكتاب آية من آياته ، وأنه كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره ، وآيات سواه من الأنبياء"³.

ثم أشار إلى مراحل التحدي التي تحدى بها القرآن العرب كافة ، على الرغم من فصاحة العرب وتفوقها في أفانين القول ، ونبوغها في البيان ، وذيوع صديتها في المجالات البلاغية ، ورغم ذلك تحيرت واندثشت أمام بيان القرآن ، وروعة أساليبه ، وبديع نظمته . ويصور الزركشي هذا المشهد بقوله : " ولما جاء به صلى الله عليه وسلم إلهم - وكأنوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء - تحداهم على أن يأتوا بمثله ، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا ... واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى العرب قاطبة بالقرآن"⁴

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 59

² - العنكبوت ، الآيات 50، 51

³ - البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 59

⁴ - المصدر نفسه ، ص ن

ثم يستوقفنا الزركشي عند الحقيقة المسلمة والمتمثلة في أن القرآن معجز مافي ذلك شك واستظل هذه الحقيقة السرمدية باقية إلى أن يرث الأرض ومن عليها ، كما برا عن كابر وجاحد من جحد ، ولذلك يقول الزركشي : " ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب المعجـز واختلفوا في إعجازه"¹.

ثم سرد أقوال من تناول قضية الإعجاز في القرآن ، التي بلغت اثني عشر قولاً اسـتـهـلها بقول النظام المعروف بالصرفة وفحواه : أن صرف العرب عن معارضته ، وسـلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات . ولكـن الزركشي أبطل هذا الرأي . وبين أنه فاسد بدليل قوله تعالى: " قل لئن اجتمعـت الإنـس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا"² وأبان –أيضا- فساد هذا الرأي وبطلانه من زاوية أخرى ، وهو زوال الإعجاز بـ زوال زمان التحدي "³.

وهذا مخالف لرأي الجمهور وإجماعهم على أن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم باقية خالدة إلى يوم الدين .

ثم أشار إلى رأي ابن الزمكاني في كتابه * البرهان الكاشف * والمتمثل فـي أن وجـه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف "⁴.

ثم أشار إلى ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، ولم يكن ذلك من شأن العـرب كقوله تعالى : " سيهزم الجمع ويولون الدبر"⁵ . وقوله تعالى : " ألم غلبـت الـروم "⁶ . وغير ذلك .

¹ - البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 103

² - الإسراء الآية: 88

³ - البرهان ، ج 2 ، ص 62

⁴ - ينظر ، البرهان ج 2 ، ص 62

⁵ - القمر ، الآية 45

⁶ - الروم ، الآية 2،1

ورده الزركشي ، لاستلزامه أن الآيات التي لاخبر فيها ، بذلك لا إعجاز فيها ، مع أن جعل كل سورة معجزة بنفسها ، وقد سلم أنه من أنواع الإعجاز ، لا أنه منحصر فيه ¹. ما تضمن من إخبار القرآن عن قصص الأولين ، كقوله تعالى: " تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا " ² ورده تمثل في الرد السابق. إخباره عن مكنونات النفوس والضمائر قبل ظهورها ، نحو قوله : " إذ هم - ت طائفة - ان منكم أن تفشلا " ³.

الإعجاز أيضا - حصل من جهة النظم وصحة المعنى وتوالي فصاحة الألفاظ ، وصح هذا القول ابن عطية الغرناطي بقوله : " إن الذي عليه الجمهور والحدائق ، - وهو الصحيح في نفسه - وأن التحدي إنما وقع بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه " ⁴. اختيار الرازي : أن وجه الإعجاز في الفصاحة ، وغرابة الأسلوب والسلامة - من جميع - العيوب ، وغير ذلك مقترنا بالتحدي ⁵.

اختيار الباقلاني أن الإعجاز وقع بما في القرآن من النظم والتأليف والترصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم ⁶. اختيار السكاكي : بأنه شيء يدرك ولا يمكن التعبير عنه.

اختيار حازم القرطاجي في منهاج : البلغاء وهو أن الإعجاز في القرآن - من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميع استمرارها لا توجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر ⁷.

¹ - ينظر البرهان ، ج 2 ، ص 63² - هود الآية : 49³ - آل عمران ، الآية : 122⁴ - في المحرر الوجيز ، ج 1 ، ص 38⁵ - فخر الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص 78-82 / التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1411هـ ج 2 ، ص 109 ، 107⁶ - إعجاز القرآن : 35-47⁷ - حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح ، محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي / بيروت ، ط 2 ، 1981م ص 389

مقالة الخطابي : إن الإعجاز في القرآن من جهة البلاغة¹ .

قول أهل التحقيق : إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال ، لا بكل واحد على انفراده فإنه جمعها كلها ، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع ، بل وغير ذلك مما لم يسبق .

وبعد أن استعرض الزركشي هذه الأقوال المحكية في باب الإعجاز القرآنـي ، ألفيدـاه يعتمد القول الثاني عشر ، وهو أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على إفراده ، مستثنياً بذلك قول النظام المعروف بالصرفـة لبطلانه وفساده لدى جمهـور العلماء . وعلى الرغم من هذا الاختيار إلا أن الزركشي لم يكن مثل أولئك الدارسـين والباحثين الذين تحمسوا لنظرية النظم التي اكتملت حلقاتها عند عبد القاهر الجرجـاني ، والتي تأسست عليها أغلب الدراسات ، وكأني بالزركشي أراد أن يبقى على باب الإعجاز مفتوحاً على مصرعيه ، مشيراً إلى من سيأتي بعده بأن هناك وجوهاً جديدة للإعجاز لم يقل بها العلماء السابقون .

كما أنه حاول أن يضيف بعض الوجوه منها ما هو جديد ، ومنها ما هو مسبوق إليه . فأما المسبوق إليه فيتمثل فيما قال به كل من الجاحظ ، والرمـاني والخطـابي ، والـبـاقلاني وغيرهم ، وهو الوجه البلاغي ، أي بلاغة القرآن ، ونجده يشير إلى ذلك في مقدمة كتابه في معرض حديثه عن القرآن الكريم ، حيث يقول : " وقد أحكم الحكمـيم صـديقه ومبناه ، وقسم لفظه ومعناه² ، وقوله أيضاً : "... وبحر لا يدرك غوره ، بهـرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتطافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتقارب في الحسن مطالعه ومقاطعه³ .

¹ - أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ص 23-24 ، ينظر: فخر الدين بن عمر الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز تح ، ديكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1405 هـ ، ص 78-82

² - البرهان ، مقدمة المؤلف ، ص 19

³ - م ن ، ص

كذلك ماسبق إليه قولهم : بالروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، أو ما عبر عنه الخطابي بروحانية القرآن ، ولعل هذا الوجه أشار إليه لفيف من العلماء منهم : الخطابي والقاضي عياض ، والزركشي وغيرهم .

ويشير أحمد جمال العمري إلى أن هذا الوجه يمثل حجر الزاوية في قضية الإعجاز إن لم يكن هو الإعجاز كله ، يقول : " فهذا الوجه في رأينا - هو عمدة وجوه الإعجاز - على الإطلاق ، إن لم يكن وحده وجه الإعجاز ... فالروعة التي تعتريقهم عند تلاوته هي مناط الإعجاز الحقيقي، وهي المعجزة القائمة فيه أبدا الدهر وإلى أن يـ رثا الأرض ومـ ن عليها ¹ .

أما إضافاته فتمثلات في النفاط الآتية :

- 1- أن القرآن لم يزل غضا طريا في أسماع السامعين ، وعلى ألسنة المفرئين .
- 2- جمع القرآن بين صفتي الجزالة والعذوبة ، وهما كالمتضادين ، لا يجتمعان غالباً في كلام البشر .

- 3- ما ينتشر فيه عند تلاوته من إنزال إياه في صورة كلام هو مخاطبة مـ ن ا لرسوله صلى ا عليه وسلم تارة ، ومخاطبة أخرى لخلقه بجميع أصدـ نافهم دون اختلال في الأسلوب .

- 4- جعله آخر الكتب غنيا من غيره ، وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلـ ي بيان يرجع فيه إليه ² كما قال تعالى : " إن هذا القرآن يقص على بني إـ سـ رائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون " ³ .

ولعل الأمر اللافت للانتباه في قضية الإعجاز القرآني يتجلى فـ ي أن جمهـ ور العلمـ اء ينوهون بفضل البلاغة ، ومدى تأثيرها في الإعجاز ، فلذلك وجدنا الزركشي على الرغم

¹ - أحمد جمال العمري ، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، دار المعارف ، القاهرة (د ط) ، (د ت) ، ص 211

² - ينظر ، البرهان ، ج 2 ، ص 71

³ - النمل ، الآية : 76

من ميله إلى رأي المحققين من العلماء إلا أنه نوه كغيره من الدارسين والباحثين بـ أثر البلاغة في الإعجاز ، حيث يقول : "...وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز"¹. تبقى مسألة أخرى في قضية الإعجاز عند الزركشي ، والتي عُدَّت لنا من خـلال تتبعنا لأهم الآراء والوجوه التي عرض لها ، كما تعرضنا أيضا لأهمها قبل واـ و جـ ا لآراء الزركشي ، وتمثالت في بعض المآخذ التي أخذت عليه ، ويمكن حوصلتها في نقطةـين هـامتين وهما :

- 1- لم يتتبع التسلسل التاريخي لآراء العلماء حتى يتبين لنا الـسابق مـن اللاحـق ، وتتضح لنا الآراء المتقاربة والمتفاوتة .
- 2- ذكر أن التحدي للإنس دون الجن ، لأن الجن ليسوا من أهل الـالـسان العربيـي ، وهذا الرأي مردود بدليل قوله تعالى: "إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشـد فأـمنا به"² وقول الحق تبارك وتعالى : " وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين وقالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيـبوا داعي اـ وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم"³. وقال ابن حزم وكذلك قوله : " قل لئن اجتمعت الإنس والجن علـى أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"⁴ عموما كل إنس وجن أبدا لايجوز تخصيص شئ من ذلك بغير نص ولا إجماع⁵.

¹ - البرهان ، ج2، ص71

² - الجن ، الآية 1-2

³ - الأحقاف الآية 28-29-30

⁴ - الإسراء ، الآية : 88

⁵ - أبو محمد بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، ط1 ، 1402هـ ج3، ص 26

قصارى القول في قضية الإعجاز القرآني لدى الزركشي أن القرآن معجزة - من جميع الوجوه ، باستثناء رأي النظام الذي أجمع العلماء على فساده وبطلانه ، ونحو - من - ضم صوتنا إلى صوت الزركشي ومن لف لفه وذهب مذهبه ، وكما نرى أن القرآن لا يقدّر إعجازه في اللغة والعلوم فحسب ، بل تعدى إلى كثير من الصور التي تثبت على أنه منزل من عند الله - لا سيما في عصرنا الحالي ، فالقرآن منهل لاتنقضي عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، وهوتبيان لكل شيء .

وصدق الله العظيم إذ يقول: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الله الحق"¹.

من خلال الآراء التي سبق ذكرها يمكننا أن نحصل وجوه الإعجاز في القرآن الكريم في النقاط الآتية :

- 1- جزالة الأسلوب وقوته في كل ما يتعرض له على الرغم من تباين الموضوعات واختلافها.
- 2- إخباره عن قصص الأمم الماضية .
- 3- التشريع الرباني الهادف إلى إسعاد البشرية في الأولى والآخرة.
- 4- بلاغته النادرة التي عجز أمامها فطاحلة العرب أوفرسان البيان ، فبلاغته بحر لجي لاساحل له.
- 5- نبالة الهدف في القرآن ، وسموق الروح ، فهو كتاب متكامل المنهج في دعوة -ه- إلى إقامة الحياة الصحيحة في كل جنباتها ، واتجاهاتها.
- 6- جلال أثره الأدبي في لغة العرب ، وحياتهم وأدبهم .
- 7- السهل الممتنع في أسلوبه ، ووضوحه ، وجماله وجزالته.
- 8- الإعجاز العلمي المبدع الذي يثبت يوماً بعد يوم صحة هذه المعجزة ، وصدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم .

¹ - فصلت الآية 53

9-خلوده وبقاؤه على مر الأيام والأحقاب والأمكنة ، مع عجز الناس عن معارضته رغم أنه تحدى ولا يزال إلى أن تقوم الساعة.

البلاغة وعلاقتها بالإعجاز :

لقد ارتبط علم البلاغة ارتباطا وثيق الصلة بقضايا الإعجاز في القرآن ، ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من الكتب التي ألفها الأسلاف ، والتي توجي عناوينها المقترنة بمصطلح الإعجاز ، ككتاب إعجاز القرآن للباقلاني ، ودلائل الإعجاز للجرجاني ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي وغيرها .

وكان الهدف الأسمى الذي تسعى إليه البلاغة يتمثل في الوصف -ول إلى إدراك ج- وهر الإعجاز في القرآن .

ولا جرم أن قضية الإعجاز في بداية أمرها لم تكن مطروحة لدى العرب الأوائل الذين أدركوا أسرار القرآن بملكاتهم الفطرية ، وجبلتهم اللغوية ، وفرائضهم الوقادة في مجال القول ، وروائع الكلام.

إلا أن قضية الإعجاز بعد ذلك عرفت نقاشا وجدالا حادين بين علماء الكلام ، خاصة المعتزلة والأشاعرة ، وصارت قضية الإعجاز من القضايا الفكرية الهامة ، والتي تحتاج إلى الاستدلال والتعليل العلميين .

ومن هنا صارت البلاغة مطية من أهم المطايا التي ركبها العلماء من أجل إقامة البراهين والحجج على الإعجاز والرد بها على الخصوم والأعداء .

كيف لا ، والقرآن الكريم نزل في أمة تجلبت بجلباب البيان والفصاحة والبلاغة ، وكان التحدي القرآني للعرب بيانيا قبل كل شيء . ولذلك تكاد كلمة العلماء تتفق على أن القرآن معجز في نظمه وتأليفه ، وبديع أسلوبه . وما نظرية النظم التي اكتملت أدواتها لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لأكبر دليل على ذلك .

ومامن شك في أن القرآن الكريم خدم جميع الدراسات اللغوية وغيرها ، وكان سببا في بروزها ، وازدهارها ، وتطورها ، ولولا القرآن الكريم لبقيت غفلا هملا .
ومن هنا يتضح أن علاقة علم البلاغة جد وطيدة بقضية الإعجاز القرآني ، وهذه العلاقة أفرزت لنا مباحث قيمة ، ودراسات جليلة أسهمت إسهاما منقطع النظير أعان على فهم قضية الإعجاز ، والسعي الدؤوب من أجل تحليلها لغويا وبلاغيا ، كما هو الحال عند كثير من العلماء من أمثال : عبد القاهر الجرجاني ، والزمخشري ، والسكاكي وغيرهم .

الغاية من الإعجاز :

أنزل المولى عز وجل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هداية للبشر ، ودستور تشريع في الحياة الدنيا للفوز والنجاة في الآخرة ، وما كان ليدر بني الإنسان يتخبطون في الضلال والتهيه ، وينغمسون في الشهوات والملذات ، وما خلق الإنسان عبثا ، وإنما خلق الإنسان لرسالة نبيلة سامية تسمو بها روحه ، وتصفو بها سريرته ألا وهي العبادة أن يعبد الله وحده ، ولا يشرك به مصداقا لقوله تعالى : " وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون " ¹.

هذه رسالة الإنسان في الأرض . ومن هنا لم يأت الإعجاز في القرآن الكريم مـن أجل التعجيز والغلبة ، بل جاء لإقامة الحجج والبراهين على أن ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله .

قال تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " ²
كذلك أن هذه الرسالة تعد الرسالة الخاتمة الخالدة الباقية لا يقبل من صد عنها ، وتنكب

¹ - الذاريات : الآية 56
² - النساء : الآية 81

عن هديها، بل هو في الآخرة من الخاسرين كما أخبر الحق تبارك وتعالى : " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "¹

عالمية الرسالة المحمدية وخصائصها :

كانت الدعوة المحمدية فتحة جديدا في شبه الجزيرة العربية ، وشكلت منعرجا خطيرا في حياة الأمة العربية خاصة ، والبشرية عامة . حيث انتقل الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد القهار، وتغير بذلك مجرى التاريخ ، فانقلبت الموازين ، وتنفس الصبح ، وأشرقت الأرض بنور ربها معلنة بذلك بطلان وزيف ما كان يعبد العرَبُ ويعتقدون. ولم يعجبهم ذلك ، بل راحوا يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم بالبرهان الدال على صدق رسالته وصحة نبوته ، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن قال لهم دليل صدقي القرآن ، فلم يؤمنوا في بداية الأمر، ولكنهم حاولوا بكل ما أوتوا من قوة بلاغية وبيانية ، وما امتازوا به من لسان وفصاحة ، وما أوتوا من قوة عسكرية ، الوقوف في وجه القرآن لصد الدعوة ، ولكنهم انكسروا وانهمزموا شر هزيمة ، فلم يجدوا بعد ذلك بدا ، إلا أن يذعنوا ويسلموا. وكان الإذعان والتسليم نتيجة لقوة القرآن ، وتأثيره في النفوس ، كما أن القرآن جاء رسالة جامعة خاتمة تتصف بالشمول والعموم ، خلافا لرسالات التي خلت.

يقول العقاد: وهو يذكر كلاما طيبا أثناء حديثه عن قوة العقيدة الإسلامية وكيفية تغلغلها إلى نفوس البشر جميعا ، لأنها رسالة تتسم بالشمولية والاستمرارية : " فالإسلام كانت له الغلبة ، وكان بحق قوة غالبة بفضل العقيدة الإسلامية التي وصفت بالشمول ، لأنها تشمل الإنسانية جمعاء "². مصداقا لقوله تعالى : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "³.

¹ - آل عمران : الآية 84

² - عباس محمود العقاد ، الإسلام دعوة عالمية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1974م ، ص 193

³ - الأنبياء : الآية 106

وشهد للقرآن الكريم في قوة التأثير ألد الأعداء الوليد بن المغيرة في معرض وصفه لتأثير القرآن ، وشدة وقعه في النفوس: " إن هذا كلام له جذور في الروح ولا يجث بسهولة " ¹. وما دخول الناس في هذا الدين الحنيف أفواجا وزرافات إلا لسماعته ، وقوة أسرته وسحره وتأثيره في النفوس ، وسمو أخلاق صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه الحق تبارك وتعالى : " وإذك لعل خلق عظيم " ² وتأسيسا على ما سلف يمكننا أن نستشف بعضا من خصائص الرسالة المحمدية نجملها فيما يلي :

- 1- الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة ، ومن ثم فرسالته ، رسالة عالمية تتميز بالشمول والعموم زمانا ومكانا.
 - 2- المعجزات السابقة كانت تنتهي بوفاة الأنبياء ، أما معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم على خلاف ، فهي ممتدة إلى أن تقوم الساعة.
 - 3- تفرد القرآن عن الرسائل الأخرى ، فهو المعجزة الوحيدة التي يستنبط منها الأحكام التشريعية (الإعجاز التشريعي).
 - 4- الرسالة المحمدية شاهدة على الرسائل السابقة ، والأمم الماضية ، وهذا قمة التفرد والتميز.
- وإلى هذا الدور الفاعل والفعال الذي قدمته الرسالة المحمدية للبشرية وما زالت تقدمه وستظل إلى أن تقوم الساعة يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - " إن الصباح العريض الذي بزغ مع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم سوف يظل وحده النور الذي يغمر العالم ويملا الأفق إلى أن يأذن الله بانتهاء الحياة والأحياء " ³.

¹ - العقاد ، الإسلام دعوة عالمية ، ص 196² - القلم : الآية 4³ - محمد الغزالي ، عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باتنة الجزائر ، (د ت) ، (د ط) ، ص 5

خلاصة القول :

ليس هناك ما يدع مجالا للشك في أن القرآن الكريم أعجز الإنس والجن على أن يأتيوا ولو بأفصر سورة من مثله ، فكان المعجزة الخالدة الباقية المستمرة إلى يوم الناس والحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار أن الحديث عن الإعجاز وعلا-ي اختلاف أجناسهم وتنوع ثقافتهم ، وتباين آرائهم ، اختلفت نظرتهم إلى قضية الإعجاز ووجوه ، ومظاهره ، بل هو سر يعلمه ا ، وما كثرة الأقوال والنظريات في الإعجاز القرآني ، إلا دلالة قاطعة على إعجازه ، وأنه كلام ا ليس إلا . كما أن القرآن معج-ز بجميع الوجوه التي ذكرها العلماء باستثناء الصرفة التي قال بها النظام وأتباعه ، فه-ي رأي فاسد وباطل بإجماع العلماء.

وما من شك في أن الأدلة والبراهين مازالت تترى من زمن إلى زمن ، ومن قوم إلى قوم ولان تنقطع دلائل وأمارات الإعجاز في القرآن إلى أن يرث ا الأرض وم-ن عليها ، وصدق ا العظيم إذ يقول : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات رب لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات رب ولو جئنا بمثله مدادا"¹

والقرآن هو البرهان الساطع لكل مؤمن امتلأ قلبه بفيض الإيمان ، وب-روح الف-رآن ، والحجة القاهرة الباهرة لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد . وصدق الح-ق تبارك وتعالى إذ يقول : " وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون"².

والقرآن العظيم بحر لا ساحل له ، متجدد الثوب ، متجدد العطاء ، فهو يعطي لكل جيل وعصر عطاء يختلف تماما عن ما سبقه من أجيال وعصور ، فالقرآن قشيب فريد عجيب وبيدع ، وس-يظل هك-ذا إلى ي-وم ال-دين.

¹ - الكهف : الآية 104
² - الزخرف : الآية 44

الموسوعية:

كان الزركشي موسوعيا، وعلى قدر كبير من الثقافة، والإلمام بعلوم من سبقوه ومن عاصروه، ومن ثمة امتازت مؤلفاته بالموسوعية، فكان موسوعيا بكل ما تحمله دلالة هذا المصطلح من معان.

فالرجل - ولا مرء في ذلك - بحرفي العلوم على مختلف ألوانها، وض-روبها، فالإمام الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " غزر عطاؤه، وكثرت موارده وتعددت منابعه، فهو يعطي في كل موضوع، ويبحث رياضيا من الآراء، وفنونا-ا-م-ن الفكر، ويتشعب معك في شعبه، حتى يستوفي الموضوع حقه، بعيدا عن الحشو والفضول متجنباً الإخلال والإملال .

وهو في كل ذلك يصول بك، ويجول، ويخلق عندك لونا من أل-وان الت-شويق والإث-ارة للمتابعة والمزيد، وهذا ينطبق جميعه على ماورد في الكتاب - فضلا عما تعرض له في المباحث والفكر البلاغية على اختلاف أقسامها، من معان، وبيان، وبديع، فجمع فأوعى، وعالج فأشفى، وأفاد واستفاد، فبرز محلا، ومعللا، ومستقصيا، ومتتبعا لجميع الفكر، والآراء، مضيفا من بنات أفكاره، وفيوضات شعوره، وغزير علمه وسعة ثقافته. وباختصار أقول: لو لم يكن للزركشي في برهانه "إلا هذه الموسوعية والتبحر في العال-وم لكفاه ذلك لأن يتسنى ذرى التأليف، وأبراج العلماء، لكن الرجل أكثر من ذلك جاءت سمات أخرى وسمت فكره البلاغي، ينضح بها الكتاب عامة، والمباحث البلاغية خاصة.

العمق والشمولية:

يتسم التفكير البلاغي عند الزركشي بالعمق والشمول وعلة ذلك أن الرجل له باع طويل في علوم القرآن ، وقدم راسخة في علوم اللغة وفنونها وأفنانها ، والرجل قد تـشبع بعلوم عصره ، وألم بها قراءة ، ودرسا ، وتأليفا .

يتضح ذلك أكثر في أن الزركشي ألم بقدر كبير من ثقافات معاصريه وسابقيه لـ ذلك جاء كتابه زاخرا بأسماء من نقل عنهم من العلماء واستشهد بأرائهم (من أمثال: عبد الفاهر الجرجاني ، والزمخشري ، والسكاكي وابن أبي حديد، وحازم القرطاجني وغيرهم كثر. ر. كما امتاز الزركشي في تناوله للموضوعات البلاغية بالإحاطة والسعة والشمول حيث ألفناه يلم بأطراف الموضوعات ويجمع أشتاتها وكل ذلك عن طريق الاستقصاء العجيـ ب متبعـا الفصول متجوزا عن الفضول ، وهو في كل ذلك مجتهد .

وتبرر الشمولية والإحاطة في أن الزركشي يعمد إلى التأليف في الموضوعات منتهجا أسلوب المؤرخ كما يحصي الكتب التي ألفت في ذلك الموضوع مشيرا إلى العلماء الـ ذين تناولوه وتدارسوه، يقول محمد أبو الفضل إبراهيم: "وكتاب البرهان في علوم القرآن " مـ ن الكتب العتيقة التي جمعت عصارة أقوال المتقدمين وأراء العلماء المحققين"¹

ويقـر الزركشي نفسه باتساع رقعة علوم القرآن وقضاياها المتنوعة الشاملة بشتى أنواع العلوم قائلا: "واعلم أن مامن نوع من هذه الأنواع إلا و أراد الإنسان استقصاءه لا ستفرغ عمره ، ثم لم يحكم أمره ، مشيرا إلى قول القائل : " فـإن الـصناعة طويلة ، والعمر قصير"².

¹ - البرهان ، ج 1 ، ص 13

² - المصدر نفسه ، ص 25

ويبرز العمق في الغوص إلى أعماق المسائل البلاغية ، وسبر أغوارها ، وذلك عن طريق التفصي والبحث ، والتحليل للمسائل المطروحة في الكتابة ، فجاء منهجه جمعاً بين التحليل والنقد والتركيب بصورة عجيبة دلت على سعة ثقافة الزركشي ، وتشعب معارفه ، وتوقد قريحته.

الذوق الأدبي الفني :

الذوق منذ القديم عمدة المفاضلات النقدية في الحكم بين الشعراء مـ ن أـ جـ ل الوصول إلى قمة الإبداع الأدبي ، وهذا التنافس دفع المبدعين إلى العمل على تجويد أشعارهم وتنقيحها ، وتحكيكها ، فكان منهم زهير بن أبي سلمى الذي يمكث حـ ولا كـ املاً وهو ينقح ويحكك القصيدة ، ثم يلقي بها إلى الناس .

والذوق لا يمكن الاستغناء عنه في مسائل النقد والجمال ، فهو يتربع على قمة الهرم فبدونه لا يستطيع الناقد أن يمارس العملية النقدية ممارسة حقيقية ، وبدونها لا يمكن المتلقي أن ينف على مكامن الجمال والجلال في الإبداع .

وفي هذا السياق يقول عيسى على العاكوب : " تتأثر الأحكام الجمالية النقدية بالذائقة الفنية التي هي أداة الحكم الجمالي على الأشعار ويتجلى ذلك في كثير من شهادات الشعراء للشعراء"¹.

وبنظرة متأنية إلى الفكر البلاغي في كتاب " البرهان " للزركشي نلاحظ أنه اتسم بالتحليل الأدبي لكثير من القضايا البلاغية ، كباب التقديم والتأخير ، والحذف ، والالتفات والفواصل القرآنية... وغيرها.

والذوق الفني الرفيع ، الذي أبان عن علو كعبه ، وسمو منزلته في الدرس البلاغي وعلى الرغم من أن الرجل جاء في القرن الثامن ، وهو من القرون المتأخرة ، والتي قيل عنها أن البلاغة العربية أصيبت بالجمود والركود ، ولم يبدق بعد السكاكي إلا التلخيصات والشروحات ، لكن الزركشي خالف هؤلاء وعاد إلى المدرسة الأدبية ،

¹ - عيسى على العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط1 ، 1417 هـ ، 1997 م ، ص121

وعالج مباحثه البلاغية مهتديا بسنا برفها ، فجاءت البلاغة عنده في أرقى بيـان وأحلى حلة. وبذلك أبطل المقولة التي ترسخت في أذهان الكثيرين ، بأن البلاغة بعدد السكاكي أصابها الوهن والضعف ، واشتعلت فروعها شيبا، وباغتتها الهرم والكبر وبقية أطـلالا. ومن ثمة ، يمكن القول :إن البلاغة العربية بخير، ومازالت طرية الجاذب غضة العود ، تجود بالثمار ، وتكلم المتذوق بالأكاليل والأزهار ، فهي الفن الوحيد الذي لم ينضج ، ولم يحترق على حد قول محمد بركات حمدي - رحمه الله -

النقـــــــــــــــــة - - - د :

يبرز الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " ناظدا بصيرا ، لايقبل كل ما يرد عليه من أقوال وآراء ، بل كان يتفحصها ، ويتدبرها ، ويدقق ويعيد النظر فيها ، ويقلبها على وجوهها ، فيقف منها موافق متبينة ، تارة ينقدها ، وتارة أخرى يرجحها ويصححها.

وهذه السمة النقدية انعكست على فكره البلاغي الموثق في الكتاب ، وكانت تلاحقنا عبر جمل مباحثه البلاغية ، ليكشف عن رسوخ قدم الرجل في المجال النقدي البلاغي .

فالزركشي ناقد موضوعي ، يقدم البراهين والحجج والأدلة على ما يطرحه من آراء نقدية سواء منها ما يتعلق بالأقوال والأفكار، أو ما يتعلق بالعلماء وآرائهم . وكثرت نقوده - على وجه الخصوص - لآراء الزمخشري ، على الرغم من أنه أفاد منه ، ونقل عنه الكثير . ولكن نقولات الزركشي عن الزمخشري لم تكن مجرد نقول فحسب ، بل كان نقله نقل واع متبصر.

وللتدليل على هذه الصفة التي اتسم بها التفكير البلاغي عند الزركشي ،نورد لفيها من الشواهد والأدلة على ذلك . نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

فمن النقود التي أبدتها الزركشي في باب الالتفات رداً على من جعل قولاً تعالى التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: "يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا"¹ قال الزركشي: "وهو عجيب لأن" الذين موصول لفظه للغيبة ، ولا بد له مـ ن عائـ د وهـ و الضمير في "آمنوا" فكيف يعود ضمير مخاطب على الغائب ؟ فهذا مما لا يعقل².

ووجه الزركشي نقداً إلى الشرط الذي اشترطه العلماء في أسلوب الالتفات ، حيث يـ ول : "تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المتنقل عنه ، وشرطه –أيضاً- أن يكون في جملتين ، أي كلامين مستقلين ، حتى يمتدع بهـ ين الشرط وجوابه " ثم يقول الزركشي : "وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القـ رآن مواضع الالتفات فيها وقع في كلام واحد وإن لم يكن بين جزأي الجملة³

نحو قوله تعالى : "وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا"⁴.

ورد على زعم إمام الحرمين في كتابه (البرهان) أن من ذلك صرف ما كان جمعا وفي القرآن ليناسب رؤوس الآي ، نحو قوله تعالى : "سلاسل وأغلال"⁵

قال الزركشي : "وهذا مردود ، لأن "سلاسل" ليس رأس آية ، ولا "قواريرا" الثاني ، وإنما صرف للتتناسب ، واجتماعه مع غيره من المتصرفات ، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها"⁶.

¹ - المائدة ، الآية 06

² - البرهان ج 3 ، ص 203

³ - المصدر نفسه ، ص ن

⁴ - القصص ، الآية 59

⁵ - الانسان ، الآية 04

⁶ - البرهان ، ج 1 ، ص 61

ووجه نقداً في منتهى الوجاهة إلى مكي بن أبي طالب حين قال في مسألة الإعجاز: "فمـن نزل عليهم كان يفهمه إذا تدبره لأنه بلغته ، ونحن إنما نفهم بالتعليم"¹.

فنقده الزركشي بقوله: "وهذا الذي قاله مشكل ، فإن كبار الصحابة رضي الله عنهم حفظوا البقرة في مدة متطاولة ، لأنهم كانوا يحفظون مع التفهم"².

ووجه نقداً إلى القائلين بأن القرآن معجز بما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، وما تضمنه من إخباره عن قصص الأولين.

فنقده بقوله: "ورد هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها - وهو باطل ، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها"³.

ومن نقوده - أيضاً - ما وجهه إلى نفاة المجاز من القرآن ، حيث يقول: "وهـذا باطل - ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف ، وتثنية القصص وغيره ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"⁴.

وخطأً من توهم أن لفظة الفرج في قوله تعالى: "والتي أحصنت فرجها" أنه الفرج الحقيقي يقول الزركشي: "وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها ، وهي كناية عن فرج القميص أي لم يعلق ثوبها ربية ، فهي طاهرة الأثواب ، وفروج القميص أربعة الكمان ، والأعلى والأسفل ، وليس المراد غير هذا ، فإن القرآن أنزه معنى ، وألطف شارة ، وأصلح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل ، لاسيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس..."⁵

ورد على مقالة الزمخشري في قوله تعالى: "ولا ينظر إليهم".

¹ - البرهان ج 2 ، ص 60² - المصدر نفسه ، ص 60³ - المصدر نفسه ، ص 61⁴ - البرهان ، ج 2 ، ص 203⁵ - البرهان ، ج 2 ، ص 189، 190

حين قال : إنه مجاز عن الاستهانة بهم ، والسخط عليهم ¹. فنقده الزركشي بقوله : "وهــ ذا بناء على مذهبه الفاسد في نفي الرؤية ، وفيه تصريح بأن الكناية مجاز ، وبه صرح ² في قوله تعالى : " ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء" ³. ورد دعوى من قالوا: إن العرب لا تكني إلا عما يقبح ذكره، فقال الزركشي : " فغلاط ، فكنوا عن القلب بالثوب ، كما في قوله تعالى : "وثيابك فطهر" ⁴

كما رد وصح ، ما ذكر الزمخشري أنه الاستعطاف ، نحو : "تا هل قام زيد- د" ق-سم ، والصحيح أنه ليس بقسم ، لكونه خبرا ⁵.

وفي الاستفهام التقريري الذي جعل الزمخشري منه ، قول ا تعالى : "ألـم تعلم أن ا على كل شئ قدير" ⁶ .

يقول الزركشي : "وقيل أراد التقرير بما بعد النفي لا التقرير بالنفي ، والأول أن يجعل على الإنكار ، أي ، لم تعلم أيها المنكر للنسخ" ⁷.

هذه بعض النقود التي وجهها الزركشي إلى بعض العلماء ، وعلى رأسهم الزمخشري ، وغيره نقدا تارة ، وتصويبا ، أو ترجيحا تارة أخرى . وحسبنا هذه الشواهد والأدلة كأمثلة للإيضاح.

¹ - البرهان ، ج 2 ، ص 192

² - المصدر نفسه ، ص 193

³ - النساء ، الآية 21

⁴ - المدثر ، الآية 04

⁵ - البرهان ، ج 2 ، ص 203

⁶ - البقرة ، الآية : 106

⁷ - البرهان ، ج 2 ، ص 207

ومن خلال عرضنا لتلك النماذج من نفود الزركشي ، تبين أن الزركشي يتميز بملكة نقدية متفردة ، تنم عن ثقافة متشعبة الفروع ، كثيرة الجوانب والفيوضات ، آماراتها مدى إلمامه بعلوم عصره ، وعلوم من سبقه ، فهو قارئ جيد ، ينتفع بما يقرأ ، وينفع غيره ، وهو ناقد ممحص ، ومغربل ، ومثمن لما يعرضه على المتلقين، ولا يبرح قضية رام البحث فيها حتى يستوفي أصولها وفروعها ، دونما حشو، أو إطناب ، أو إيجاز ، أو اقتضاب ، فهو يحاول أن يعطي القضية حقها من البحث والتنقيب ، فجاء فكره البلاغي بعيدا عن الحشو، بعيدا عن الإيجاز المخل ، وبعيدا عن التسليم بالأمور على عواهنها ، بل يقدم نقودا معللة ومبرهنة في الأعم الأغلب.

وإلى جانب النقد ، يعتمد إلى الترجيح في كثير من الأحيان ، فيعـرض إلـى آراء كـثيـرة ومختلفة في قضية ما ، ثم يبدي رأيه مرجحا الصحيح ، والأصوب. كذلك عمد الزركشي إلى تصحيح الكثير من الأحكام الخاطئة، ويقدم أيـضا إلـى دليل علـى خطئها .

الزركشي ناقد له أدواته النقدية التي يتكئ عليها في البحث والدراسة ، فجاءت آراؤه في منتهى الإقناع ، والإبداع ، والنفع ، فصارت محجة يسلكها الباحثون والدارسون . ولعل الآراء والفكر البلاغية الماثورة في كتابه " البرهان " لدليل قطيع على ما ذهبنا إليه والكتب التي أفادت منها شهادة على ذلك ، وعلى رأسها كتاب " الانتقان في علوم القرآن " للسيوطي وكتاب " معجم المصطلحات البلاغية وتطورها " أحمد مطلوب ، وغيرهما كثير.

وتأسيسا على ما سبق ذكره يمكن بلورت سمات النقد في الفكر البلاغي لـدى

الزركشي في النفاط التالية :

1- الزركشي ناقد بصير تتقف موسوعية أفادت من كنوز التراث العربي الإسلامي.

فأفاد منها واستفاد ، وكتبه ومؤلفاته شهادة عيان على ذلك .

2- الزركشي ناقد موضوعي لا يتعصب لرأيه ، ولا يجور على آراء الآخرين.

- 3- أثرى الزركشي الدرس البلاغي بأفكاره العميقة ، وآرائه النقدية الثاقبة ، وبرز ذلك في تلك الإضافات والتأسيسات في مباحث كثيرة منها : (الفواصل ، الحذف التقديم والتأخير ، والإعجاز ، الخبر والإنشاء ...) وغيرها .
- 4- الزركشي يأخذ عن غيره بطريقة علمية تدل على مدى تمكن الرجل مـن أدواته النقدية .

الموضوعية :

دعا النقاد منذ القديم إلى التحلي بالموضوعية والابتعاد قدر الإمكان عن الذاتية. لأن الأحكام النقدية الجمالية محكها الصحيح ، ومقياسها السليم الموضوعية ، والموضوعية تعني العدل والإنصاف ، وتجذب اتباع الهوى ، والجنوح إلى الذات . والميل كل الميل إلى ما هو حبيب لأنفسنا ، ومما لارغبتنا وذاقتنا على حساب غيرنا. التجرد من الذاتية كلها ، هذا أمر يعد ضرباً من الخيال ، والاستحالة ، لكن على الناقد أن يحاول بكل ما أوتي من شجاعة ، وجرأة أدبية ، ورحابة صدر أن ينف موقوف الحكم النزيه ، المتحلي بالموضوعية .

وهذا أمر لم نعدمه عند الزركشي ، وهو يعالج الجوانب البلاغية ، حيث كانت له من الجرأة ، والقوة ، والثبات أن يتصدى لآراء العلماء بالنقد ، والتصويب ، والتصحیح والترجيح ، ومما إلى ذلك ، ولقد أشارنا إلى بعض منها سلفاً.

وملامح الموضوعية عند الزركشي ، لاحت لنا في :

- الأمانة العلمية في النقول.
- نسبة الآراء لأصحابها.
- الدقة في إصدار الأحكام النقدية.
- التبحر في العلم .
- توخي الحق والعدل ، والصدق في كل ما يعرض له.
- ومن اتسمت موضوعيته بهذه السمات والخصائص كفيلة أن تتلج صدر المتلقي ، وتقع منه موقعا حسنا ، وتزيده تمسكا بأفكار الرجل والعض عليها بالنواجذ .

فالرجل يتحرى الموضوعية ، والدقة في النقل عن سبقه ، أو عاصره ، ولا يبخس الناس أشياءهم ، ولا ينسب آراء غيره لنفسه، وإنما توخى الحق في أغلب ما أورد في الكتاب دون تزيد أو تقول .

والتفكير البلاغي عند الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " جاء شاملا جامعاً لأنه حاول الربط بين البلاغة وسائر علوم العربية ، وعلوم القرآن ، لأن الباحث في حقول الدراسات القرآنية لا يمكنه التعمق فيها ، والوصول إلى مكنوناتها ، مالم يتسلح بعلوم اللغة العربية ، نحوها ، وصرفها ، وبلاغتها بأقسامها الثلاثة : (علوم المعاني وعلاوم البيان ، وعلوم البديع) .

وصاحب التفسير أحوج إلى هذه العلوم من غيره ، ولذلك ألفينا الزركشي يربط ربطاً عجيباً في كتابه ، حيث استهله بالحديث عن التفسير والتأويل ، ثم ذكر جملة من علوم القرآن ، ليخلص إلى علوم النحو والصرف ، وعلوم البلاغة ، وكأنني به يهمس في أذن المفسر ، لايمكنك ولوج باب التفسير ، والتمرس به مالم تتشبع باللغة وتتملك ناصبها ، وتتشرب علوم البلاغة ، وتتف على أسرارها ، وأساليبها ، ومواطن الجمال فيها ، وطرائق استخدامها.

الأمانة العلمية :

مما يثلج الصدور ، ويسر النفوس ، ويطمئن القلوب ، ما امتاز به الزركشي - رحمه - في مسألة النقول عن غيره من العلماء في كتابه " البرهان في علوم القرآن " الأمانة في النقل وهذه المسألة تبدو ظاهرة للعيان لكل متدبر لما جاء في كتبه عامّة والبرهان خاصة ، وهاهو يقول في مقدمة كتابه " البحر المحيط " : " ولقد رأيت كتب المتأخرين الخل...فأيت البيوت من أبوابها ، وشافيت كل مسألة من كتابها"¹

¹ - الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، تح مجموعة من العلماء مطبوعات وزارة الأوقاف الكويتية ط2، 1413هـ/1998م ج1 ص 7

إلا كتاب " الجامع " لابن خويزمنداد من المالكية البصريين ، فقال عنه : "ونقلـت عنهـه
بالواسطة"¹.

وتبرز الأمانة العلمية في نقوله في " البرهان " بالإشارة إلى أسماء المصنفين ومؤلفاتهم
أو بأسمائهم دون الكتب ، أو بالكتب دون الأسماء ، وأكثر من صرح بالنقل عنه : الإمام
الزمخشري صاحب تفسير الكشاف .
ومن أمثلة ذلك قوله :

- قال الباقلاني في كتاب "إعجاز القرآن"²...
 - ورد عليهما الخفاجي في كتاب " سر الفصاحة "³...
 - وحكى حازم في : "منهاج البلغاء"⁴...
 - وأنكر ذلك ابن قتيبة⁵...
 - قال سيبويه - رحمه ا - ...⁶
 - قال الزركشي : "فأضيف القدوس ، ونزهت القانتة المطهرة عـن الظـن الكـاذب
والحدس . ذكره صاحب التعريف والإعلام"⁷.
 - وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في شرح الإمام...⁸
 - ثم قال المحققون ...⁹
- وغيرها من مثل هذه الشواهد .

كشف كتاب البرهان في علوم القرآن عن ثقافة الإمام الزركشي ، فهي ثقافة موسىـ وعية
دات على أن الرجل على اطلاع واسع غزير ، وأنه عكف على الكتب يعب منها عبـا

¹ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 8

² - البرهان ، ج 1 ، ص 53

³ - المصدر نفسه ، ص 55

⁴ - المصدر نفسه ، ص 57

⁵ - المصدر نفسه ، ص 60

⁶ - المصدر نفسه ، ص 62

⁷ - البرهان ، ج 2 ، ص 190

⁸ - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 190

⁹ - المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 198

وينهل من مختلف فنونها وعلومها ، فاستطاع أن يجتهد في ثمارها ، ويمتدح بفوائدها ، فالبرهان يوحى لمن قرأه أن صاحبه اطلع على كتب شتى ، منها ما يتعلق بكتب التفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث ، ومنها ما يتعلق بكتب اللغة والنحو والبلاغة وغيرها .

وبعملية إحصائية ألفينا الزركشي ينقل في كتابه " البرهان " عن (53) تفسيراً و (75) كتاباً من كتب علوم القرآن ، فضلاً عن ليف من كتب البلاغة واللغة ، والنحو ، وغيرها . إن النفود الواردة في كتاب " البرهان في علوم القرآن " للإمام الزركشي تكشف أنه يتصف بالدقة البالغة في النقل عن غيره من العلماء الذين سبقوه ، أو عاصروه . وأمانته في ذلك - كما أسلفنا - تتلج الصدور ، وتسرى النفوس ، وتطمئن القلوب ، وتبرز هذه الميزة في أغلب النماذج الواردة في الكتاب .

المصطلح البلاغي وسيلة لإبراز جماليات القرآن :

استخدم الإمام الزركشي المصطلحات البلاغية من أجل الكشف عن جمالية الإعجاز في القرآن الكريم ، وحاول أن يخرج بهذه المصطلحات البلاغية من معناها الخاص ، وتوظيفها في إيضاح جماليات القرآن خدمة لمسألة الإعجاز وأسراره ووجوهه . نهج الزركشي في تناوله للمصطلحات البلاغية طريقة الجاحظ (ت 255هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 ، 474هـ) في إدراك المباحث البلاغية . ولا شك أن هذه طريقة الأدباء ، وهي طريقة واضحة الأسلوب ، بينة المعاني ، بعيدة عن النواحي الفلسفية والتفلسف البلاغي الذي لا طائل من ورائه ، إلا الزيادة في صعوبة فهم والتنفير منه .

فالإمام الزركشي من خلال تحليله للمسائل البلاغية يكمن تصنيفه ضمن المدرسة الأدبية الذوقية في البلاغة العربية ، أو ما يسمى عند القدماء " بلاغة العرب " كما أن حديث الإمام الزركشي عن الأساليب البلاغية يعد من النظرات البلاغية القيمة التي تنأى عن تشفيق المصطلحات وتفريغها .

فالمصطلحات البلاغية عنده ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسائل للوصـول إلى الغاية الأسمى ، والمتمثلة في الكشف عن جماليات الإعجاز القرآني خاصة ، وفنيات أفانين القول العربي عامة.

وأخذ من أهل الاعتزال ما يناسب نظرة أهل السنة ، أما ما خالف رأي الجمهور فقد أشار إليه بقوله : " إنه مذهب فاسد " .

ومن أمثلة ذلك المصطلحات الآتية :

- رد العجز على الصدر.
- التجنيس.
- المجاز... وغيرها من المصطلحات.

ومحصلة القول :

ألفينا الزركشي لا يلجأ إلى التعريف بالمصطلحات البلاغية ، وتحديد مفاهيمها ودلالاتها ، ما لم تكن هناك ضرورة تستلزم ذلك ، ومن ثم فإن كثيرا من الفنون البلاغية اكتفى بالتمثيل لها ، دونما التعريف بمصطلحاتها ، أو شرحها ، أو تحليلها ، لأن غاية الزركشي الأسمى والأسنى لم تكن المصطلح في حد ذاته ، وإنما جمالياته ، ومواطن السحر الكامنة فيه ، وفي استعمالاته.

وختاما:

مهما يكن من أمر ، فلسنت أريد بذلك أن أغمط الزركشي حقه فيما بذل من جهد طيب في سبيل تحقيق غاية نبيلة تجلت بوضوح في توظيف المصطلح البلاغي من أجل الكشف عن جماليات القرآن الكريم بعيدا عن التعريفات والتشقيقات التي لاتغني ولا تسمن من جوع ، ولقد وفق الزركشي إلى حد بعيد في إثبات هذه القضية م- ن خ- لال انتهاج- ه طريقة الأدباء البلغاء ، وتعامله مع البلاغة العربية كما كانت عليه من قبل ، ولم يتبع من سبقه من الباحثين والدارسين الذين ساروا على نهج السكاكي وغيره . فالفيد- اه يعتم- د الذوق الأدبي الرفيع ، ويعتمد إلى التحليل الأدبي الجميل ، ويميل إلى الاستنتاجات السليمة الصحيحة التي يقبلها العقل ، ويتذوقها القلب ، متسلحا في كل ذلك بحبل الموضوع- وعية ، فجاءت آراءه على رأينا في البحث .

على الرغم من أن الزركشي كان من الدارسين المتأخرين ، وكتابه جاء في وقت متأخر جدا ، وهذا لم يمنع الرجل من أن يصول ويجول في جنبات البلاغة العربية وأن يقط- ف من زهورها باقات ، ويجني من جناها.

وتأسيسا على ماسبق : لأحسبني ابتعد كثيرا عن جادة ال- صواب إن قل- ت : إن الإم- ام الزركشي ترك بصمات عميقة في الدرس البلاغي المتكئ عل- ي ذوق رفيع- ع ، وح- سن مرهف ، وتحليل أدبي يتسم بمسحة جمالية عبرت عن عمق ثقافة الرجل ، وأبانت ع- ن مدى رسوخ قدمه في مجال العلوم عامة ، والعلوم البلاغية خاصة .

وقيمة " البرهان " بلاغيا تكمن في تحقيق الغاية المثلى التي كان ي- صبو إليها ، وه- ي الكشف عن جماليات القرآن العظيم من خلال المصطلحات البلاغية . ولذلك ألفناه - في الأغاب - يعتمد على الشاهد القرآني ، فكان يعرض الشاهد القرآني في مواضع كثيرة مشروحا شرحا أدبيا جماليا.

الختامة

الخاتمة :

الحمد والشكر على ما من به علي من خير عظيم ، ومكنني من إتمام هــ ذا البحث بعد رحلة شيقة وممتعة ومتعبة في آن كنت فيها سائحا صحبة سفر عظيم نفـيس تنسمت شذا عطره الفواح ، وتفيأت ظلاله الوارفة ، وخلال الرحلة وعلى مقربة مـن انتهائها عدت لي بعض الثمار الناضجة ، والتي أحسبها كذلك فـي اعتقـادي ، فقطفـت نتائجها وحققـت نتائجها . فحوصلتها في النقاط الآتية :

- أولا : النتائج العامة :

- 1- كتاب البرهان في علوم القرآن من الكتب التي تحتل مكانة مرموقة بين كتب علوم القرآن قديما وحديثا.
- 2- يعتبر كتاب البرهان في علوم القرآن مـن الكتب الموسـوعية الشاملة فـي موضوعها ، فهو يشبه بدائرة معارف مكثفة ومركزة ، جمعها الزركشي، واستقى مادتها من عصره ، ومن العلماء السابقين ، والمؤلفات السابقة، مضيفا إليها مـن بنات أفكاره ، ومن عبقريته الفذة ، وعلمه الغزير.
- 3- أغاب المتأخرين اعتمدوا على كتاب البرهان في علـوم القرآن ، فـي مجال الدراسات القرآنية خصوصا ، والعلوم الأخرى عموما.
- 4- مـثل الزركشي ثقافة عصره خير تمثيل ، ولمرحلة تعد من أهم المراحل ، وهـي مرحلة نضج العلوم .
- 5- ترك الزركشي أثارا عميقة الأخاديد في الإمام السيوطي ، إذ ألفينا أغلـب مـادة سفره "الإتيان في علوم القرآن " مؤسسة على ما جاء في البرهان .
- 6- كان الزركشي موسوعيا في كتابه " البرهان " وكان غزير المادة ، عميق الفهم كثير العطاء والثراء.
- 7- هندس الزركشي كتابه " البرهان " هندسة رائعة عجيبة، حيث ربط بين التفـسير وما يحتاج إليه المفسر في هذا العلم الجليل ، فجاء الكتاب إلـى جانب العلـوم

القرآنية مركزا على علوم اللغة والنحو والبلاغة ، و كأي بالزركشي يقول للمفسر والمشتغل بالدراسات القرآنية: لا يمكنك ولوج هذا الباب ما لم تحط بالبلاغة ، والنحو، واللغة خبرا.

- ثانيا : النتائج الخاصة :

- 1- اعتماد الزركشي على الطريقة الأدبية في تناول الفكر البلاغية.
- 2- الاعتماد على التحليل والنقد من أجل الوقوف على الجماليات والسمات الفنية للتعبير القرآني .
- 3- الإكثار من الشواهد ، وعلى وجه الخصوص الشاهد القرآني لأن الزركشي يدرس المصطلح البلاغي من أجل خدمة القرآن ، والكشف عن مناحي الجمال والجلال ، والإعجاز في سياقات الذكر الحكيم .
- 4- لايحتفل الزركشي كثيرا بتحديد دلالات المصطلحات وتشقيقاتها ، وفلسفتها ، بل يلجأ إلى وضع بعض الدلالات إذا اقتضت الضرورة ذلك.
- 5- أصل الزركشي - رحمه الله - في أسباب ورود الكناية في القرآن ، إذ عد عشرة أسباب ، تسعة تعتبر تأسيسا منه ، أما العاشر فقد صرح أن الزمخشري استنبطه .
- 6- ذكر من أسباب التقديم والتأخير الذي يدل على التمكن في الفصاحة ، ولم يتلاك الكلام ، وانقياده ، سبعة أسباب .
- 7- ابتكر اسم " المدرج " من أساليب القرآن ، قال : " هذا النوع سميت به هذه التسمية بنظير المدرج في الحديث " وهو نوع لم تسمح به قرائح علماء البيان قبل أبي عبد الله ، ولا حام حوله منهم أحد . وطبقه - رحمه الله - على سبع آيات قرآنية كريمة.
- 8- أبان أن للالتفات فوائد عامة وخاصة ، فمن الفوائد العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع ، واستجلاب صنفائه ، وإتباع مجاري الكلام ، وتسهيل الوزن والقافية .

واستنبط سبع فوائد خاصة له ، تعتبر تأسيسا في أسباب الالتفات.

9- ذكر نوعا من أنواع الحذف يسمى الحذف المقابلي ، وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من كل واحد منهما مقابله ، لدلالة الآخر عليه . وقد عده السيوطي ، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها ، وقد من تنبه له ، أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ، فالزركشي يعد مبدعا في هذا المصطلح .

10- أضاف بعض الجزئيات واللفظيات النادرة في باب أقسام معنى الكلام ، بد- رزت فيها روح التأسيس والتطبيق على آيات القرآن الكريم ، ولذلك قال في خاتمة هذا النوع المذكور : فاستمسك بما ذكرنا ، واجعله أصلا ، فإنه من المواهب الربانية.

11- قرر قاعدة مهمة في الحذف تدور على ثلاثة أسس :

- الحذف خلاف الأصل .

- إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه ، كان الحمل على عدمه أولى ، لأن الأصل عدم التغيير.

- إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته ، كان الحمل على قلته أولى .

12- عد الزركشي مؤسسا ومؤصلا في باب الفواصل ، خاصة في تفريعاته الستة . ونبه على أن الفواصل القرآنية وجه من أهم وجوه الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم .

13- يعتبر الزركشي أوعى من جمع الكلام في شأن الفواصل ، وجعل له-ا عنوانا مستقلا في كتابه " البرهان في علوم القرآن "

14- يمزج بين الأسلوب العلمي والأدبي في تناول القضايا ومعالجتها.

15- ضمن البلاغة العربية بأقسامها الثلاثة (معان ، بيان ، وبيد) تحت مصطلح " أساليب القرآن وفنونه البليغة " فجاءت البلاغة عنده كلا متكاملا ، ووحدة موحدة لا تعرف التقسيم والتجزئة .

وكان هذا النوع منتهي الغايات ، ودرة التاج ، وواسطة القلادة لكتابه . فأورد فيه من أفانين البلاغة وأساليبها خمسة وأربعين أسلوبا جلها فيه تأسيس وإبداع.

16- تناول الزركشي للفكر البلاغية امتاز بالإحكام والجودة ، وقوة عارضة في علم البلاغة .كيف ؟ وهو قد ألف شرحا لتلخيص القزويني سماه : "مجلد في الألف- راج شرح تلخيص المفتاح "

17- فكره البلاغية أثرت فيمن جاء بعده ، واعتمدوا عليها في الدرس البلاغي ، ومن أبرز من اعتمد عليها قديما " السيوطي " في كتابه الانتقان في علوم القرآن ". أما حديثا " أحمد مطلوب " في " معجم المصطلحات البلاغية وتطورها " حيث يبرز الزركشي في هذا المعجم واحدا من ألمع علماء البيان من حيث تقسيماته ومصطلحاته ، ودلالاتها ، وإضافاته القيمة التي ضاهى فيها ، ابن الأثير ، وحازم القرطاجني ، والسكاكي ، وغيرهم كثير ، أوافقهم في بعض تلك الجوانب.

18- اتسمت فكره البلاغية بالوفرة ، والإضافات ، والاستدراكات ، والانتقادات لأقوال سبقتها ، أو عاصرها ، أو ترجيحات لها .

19- نقول الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " تلجأ إلى صدر ، وتشفى العليل ، وتهدي الحيران ، وترشد الضال المسكين ، وعلة ذلك تحلي الزركشي بالأمانة العلمية أثناء عملية النقل ، والإشارة إلى العلماء الذين نقل عنهم بأسمائهم أو إلى كتبهم .

من المآخذ:

1- وقوعه في بعض الهفوات والزلات ، كتحديد لبعض أدوات التشبيه في بعض الأمثلة والشواهد كقوله تعالى : "مثل الفريقين كالأعمى" وذكر أن الأداة "مثل" ، ولكن الأمر غير ذلك فالأداة هاهنا "الكاف" لأن "مثل" ليست من أدوات التشبيه .

2- نسبته لبيت حسان بن ثابت المشهور: "

3- لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى * وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

نسبه مرة إلى النابغة الديباني ، ومرة أخرى نسبه إلى جـ ـسان ، وهـ ـذا خلاط واضطراب.

4- خلطه في تحديد بعض الشواهد المتعلقة بالطباق ، والمقابلة ، فمثلا في قوله تعالى "فليضحكوا كثيرا وليبكوا قليلا" اعتبر الآية من باب الطباق ، والأمر غير ذلك ، فهي من باب المقابلة.

5- تناوله للفكر البلاغية لم يكن تناولا بنفس الكيفية ، فنراه قد عالج بعضا من القضايا معالجة مستفيضة ، والبعض الآخر منها معالجة جد مقتضبة ، وقد دىكتفى في بعض البعـض الآخر بالاستشهاد فقط دونما إيضاح ، كما فعل في قضية : "رد العـجز على الصدر" وقضية : "الاستطراد" و"الترديد" وغيرها.

من التوصيات والاقتراحات :

1- كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي غــذي بالمباحـث اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية ، فهو بحاجة إلى المزيد من الدراسات الأكاديمية المتخصصة حتى تضع الكتاب وصاحبه في المكان اللائق بهما.

2- المباحث اللغوية والنحوية التي اطلعت عليها في ثنايا الكتاب ، لم تكن موضع بحثي ، أراها جديرة بالدراسة والتنقيب.

3- يمكن للباحثين والدارسين إعداد ببلوغرافيا للمصادر والمراجع في مختلف العلوم والفنون من خلال هذا الكتاب.

هذا ما تكشف لي من خلال البحث والتنقيب في مجمل القضايا والفكر البلاغية لـدى الزركشي - رحمه الله - من خلال كتابه " البرهان في علوم القرآن " وهذا ما جادت به القريحة ، ووسع الجهد والجهد ، وقد تكون هناك من الأمور التي لم أدركها ، ولم تنكشف لي ، وتلك سمة النقص البشري ، وما التمام والكمال ، إلا عز وجل القائل في محكم تنزيله : " و المثل الأعلى " .

والعلم بحر لجي ، وفضاء ماله ساحل ، وصدق الشاعر حين يقول :
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة * حفظت شيئا وغابت عنك أشياء.
فإن أصبت فمن ا ، وإن تكن الأخرى فحسبي أجر المجتهد ، وا يعلم أنني لـم أدخـر
جهدا وجدا في إنجاز هذا البحث المتواضع ، والذي أرجو من المولى عز وجل أن يفيـد
ويستفاد منه .

والحمد رب العالمين

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس لأهم الأعلام
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	السورة و الآية - - - -
	الفاتحة
117	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {1}
118	الحمد لله رب العالمين {2}
282	الرحمن - الرحيم {3}
282	م - إنا نؤمن بالدين {4}
83	إياك نعبد وإياك نستعين {5}
83	
	البقرة
83	الطلاق مرتان {227}
61	ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء {233}
61	وانتفوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
68	{281}
90	الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم {254} / {255}
90	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها
95	ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون {30}
95	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين {43} وادخلوا الباب سجداً
91	وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين {58}
91	وإذ قتلتم أنفساً قادراتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون {72}
92	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي
92	يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتني بالشمس من
92	المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين
	{258}

90	قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {259}
93 100 101 101	آل عمران أَفَعِيرِ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ {83} إِنْ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهـ ذَا النِّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ {68} إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ ارْفَعِي وِرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمَطْهَرِكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {55} شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {18}

71 63 86 101 101 106	النساء أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا {82} يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بَرَهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا {174} وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا {87} وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا {21} مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا {3} وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا {86}
69 95 99 106 101	الأنعام إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79} كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {141} وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ {100} وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {60}

63 320 91	التوبة وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون {6} اتَّخِشُونَهُمْ قَالَهُ أَذَقُ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {13} فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {129} هود قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَابُكَ تَمُرُّكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ {87}
64 117 113 233	يوسف إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {2} قَالَتْ فَذَلِكُنَ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمَرَهُ لَيَسْجَنَ وَليَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ {32} وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {82} قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {51} ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِثِينَ {52}

121 98	الرعد مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ {35} إِبْرَاهِيمَ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ { 52 }
73 105 104 125 124 127 82 211 101 90	الحجر إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {9} النحل وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ {6} وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هـ ذَا حِلَالٌ وَهـ ذَا حَرَامٍ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ {116} الإسراء وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا {16} الكهف كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا {5} وَتَحْسِبُهُمْ أَيَّامًا وَهُمْ رُفُودٌ 18 سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبْدَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا {22} مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَيْكَ أَحَدًا {49}

93	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ نَسِيَ لِأُطْلُوحِينَ بَدَلًا {50}
	مريم
182 85	قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ۖ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا {23}
84 99	إِذْ قَالَ لِلَّهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا {42}
	قَالَ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا {46}
195	طه
	الرحمن على العرش استوى {5}
192 98	وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى {17}
	قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى {66}
98	فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى {67}
98	قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى {68}
	الأنبياء
121 75 196	وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ {26}
	قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ {63}
	الحج
116	وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {35}
	المؤمنون
103	عَلَامِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {92}

		النور	
101	101	قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {30}	
		وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ {31}	
		الشعراء	
88		اتَّبِعُوا الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ {165}	
		إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعِلْهُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ {227}	
83			
		النمل	
93		وَنَقَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هُمْ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَالِيِينَ {20}	
164		أَمْ نَبِئُكَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالتُّرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {64}	
		الفصص	
127		فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ {12}	
198		مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْكُونُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْفِي حَتَّىٰ يَصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ {23}	
69		العنكبوت	
		وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ {43}	
125	298	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {46}	
		وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين	
		50	

103 63 104 105	الروم يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ {19} الأحزاب هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ {3} وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَلِيمًا {7} فاطر فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ {32}
90 92	يس وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {10} وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {48}

		الصفات	
186 193 145		فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلَاةٍ حَلِيعَةٍ {101} مَلَعَهَا كَأَنَّهَ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ {65} كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ {49}	
		ص	
125 125		كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ {29} نَعَمْ الْعَبْدَ إِنَّه أَوَابٌ {30}	
121		فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ {32}	

		الزمر
103		قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ {9}
89		أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {36}
		غافر
48		وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَاجِمَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ {36} أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ
48		فَأُطِيعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنْ
		السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ {37}
		فصلات
63		إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ {41}
83		سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
165		أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {53}
		وَذَلَّامٌ طُنُجُمُ الَّذِي طَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ {23}

128	الشورى أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ لَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {9}
200	الزخرف وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ {9} أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْجَلْدِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ {18}
93	أَفَلَمْ تَسْمَعْ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعَمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {40}
89	وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مَلَكٌ مِصْرَ وَهَـذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ {51}

83 83	الدخان إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ {15} كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {25}
107	الجاثية إِن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ {3} وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {4}
129	الأحقاف وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ قَامَنَ وَاسْتَكَبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {10}
132	محمد فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحْنُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِذَا مِنْهَا بَعْدُ وَإِذَا فُتِنُوا مِنَ الْحَرْبِ أُوْزَارُهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنتَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ بَعْضُ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ {4}
84	الحجرات يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {1}
186	الذاريات وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ {41} وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ

		النجم
210		وما ينطقُ عن الهوى {3} إن هو إلا وحي يوحى {4}
213		وأنه هو أضحك وأبكى {43} وأنه هو أَمَاتَ وَأَحْيَا {44} وأنه خَلَقَ الزوجين الذكر والأنثى {45}
		القمر
340		سيهزم الجمع ويولون الدبر {45}
		الرحمان
145		وله الجوار المنشآتُ في البحر كالأعلام {24}
280		فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ {37} وَلَمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ {46}
280		دَوَانًا أَفْنَانٍ {48}
		الواقعة
145		كَأَمْثَالِ الْوُجُوهِ الْمَكْنُونِ {23}
83		لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ {79}
		الحديد
91		مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ فَرَضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ {11}
		أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا
89		كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ قَطًّا أَلَيْسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَكَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ
		{16}

	الحشر	
164	هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم {22}	
82	الصف	
	كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون {3}	
	الجمعة	
159	مَنْ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَسْأَلُ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {5}	
	التغابن	
98	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {12}	
	التحريم	
98	ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكنى وكانت من القليلين {12}	
	المالك	
188	تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْطِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {8}	
84	الفلح	
	ودوا لو تدون قيدون {9}	
155	أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمَجْرِمِينَ {35}	
	الحاقة	
90	الحاقة {1}	
90	ما الحاقة {2}	
110	خُدُوهُ فَعُلُوهُ {30}	

110	ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلَوَهُ {31} الجن وَأَنَا لَا مَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا {10} المدثر وَرَبِّكَ فَكْبَرِ {3} وَتِلْكَ لَافِطَتُهُ {4} كَلَّا إِنَّهُ مَذْكُرٌ {54} الإنسان وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُطُوفُهَا مَذَلِيلًا {14} وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فَضِيٍّ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا {15} قَوَارِيرٍ مِنْ فَضِيٍّ قَدَرَوْهَا تَقْدِيرًا {16} وَيَسْقُونَ فِيهَا كَلْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا {17} المرسلات أَلَمْ نُهَاكِ الْأُولَى {16} ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ {17} كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ {18} النارعات وَالنَّارَعَاتِ عَرَفًا {1}
215	
263	
263	
193	
280	
123	
281	
281	
91	
91	
91	
129	

129	والناشِطَاتِ نَشْطًا {2}
129	والسَّالِحَاتِ سَبْحًا {3}
129	فَالسَّالِفَاتِ سَبْقًا {4}
129	فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا {5}
129	يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ {6}
129	يَقُولُونَ لَنَا لِمَرَدَدُونَ فِي الْحَافِرَةِ {10}
82	عَبَسَ فُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ {17}
92	التَّكْوِيرِ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ {26}
82	الانْفِطَارِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ عِرْكَ الْكَرِيمِ {6}
131	الانْشِقَاقِ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ {1}

133	الطارق فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ وَمِمْ خُلِقَ {5}	
281	الأعلى الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى {2}	
99	الغاشية إِن إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ {25}	
99	ثُمَّ إِن عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ {26}	
116 225	الفجر وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِر {4} وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا {22}	
121	البلاد أَوْ إِيْطَاعًا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {14}	

		الليل	
122		وما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى {19}	
85 115		الشمس فَقَالَ لَهُم رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {13}	
		الضحى	
88		أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى {6}	
88		وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى {7}	
		الشرح	
89		أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ {1}	
		العلق	
61 280		اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1}	
		الزلزلة	
165		وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا {2}	

88 194 183 194	الفيل ألم يجعل كيدهم في تَضليل {2} المسد تَبَتْ يدا لِي لهي وَدَب {1} وامرأته حمالة الحطب {4}
--	--

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	المراجع	اسم العلم
03	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 299	- أبو الفرج ، علي بن الحسين (الأموي القرشي) ناثر بليغ و ناقد واسع الثقافة ، متعدد المواهب (ت 356 هـ) له "الأغاني"
227	ينظر ، البحري ، ديوانه ، دار بيروت ، للطباعة و النشر ، مج 1(ب ط)، 1980 ص 5،6،7	- أبو عبادة الوليد الملقب بالبحري ولد في منبج قرب حمص عرف شعره بسلاسل الذهب، قال فيه الدارسون "أراد البحري أن يشعر فغنى"
10 11 313	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 302	-أبو عثمان ، عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، قمة في البيان و النثر الفني ، وإمام في التأليف ، و أسس المعتزلة ت255هـ - له "البيان و التبيين" و "الحيوان"
17 18	ينظر ، أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ص 38	- علي بن عبد العزيز المعروف بالفاضي الجرجاني ، عالم لغوي ، بلاغي ، ناقد شيخ ت في نيسابور 392 هـ - و هو صاحب " الوساطة بين المتنبي وخصومه "
224	ينظر ، جرير ، ديوانه ، دار صاير بيروت ، (ب ط)، 1964 ص 5	- جرير بن عطية الخطفي نشأ في اليمامة ، وبها مات ، وهو أحد الشعراء النفاذ ، كانت له معارك أدبية مع الفرزدق دامت زهاء أربعين عاما ت 114 هـ ، وله ديوان شعر مطبوع
03 05	ينظر ، الخنساء ، ديوانها ، دار بيروت ، للطباعة و النشر ، مج 1(ب ط)، 1978 ص 5	- تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد الملقبة بالخنساء ، شاعرة مخضمة اشتهرت برثاء أخيها صخر ، ت 24 هـ - لها ديوان شعر مطبوع
231 237	ينظر ، أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة و أسرار العربية ص 47	ذو الرمة غيلان بن عقبة من كبار شعراء العصر الأموي ، و يعد أكثر شعراء العرب استشهاد بشعره في معاجم اللغة ت117هـ -

44	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 305	- خير الدين بن محمود الملقب بالزركلي، ولد في بيروت، شاعر شاعر مجيد، وكتّاب، ت 1397 هـ. له "الأعلام" الشهير
22 237	ينظر، د شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف القاهرة، ط6، (د ت) ص 219	- جارا محمود بن عمر الزمخشري، كان معتزليا أُملي تفسيره "الكشاف" ببغداد، كان كاتباً و شاعراً، ت 538 هـ. من تأليفه: الكشاف، المفصل في النحو...
03 220	ينظر، زهير بن أبي سلمى، ديوانه، دار بيروت، للطباعة والنشر، مج 1 (ب ط) 1979 ص 5	- زهير بن أبي سلمى ربعة بن رباح المزني، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، صاحب معلقة له ديوان شعر مطبوع.
02	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 306	أبو عبد ا / محمد بن سلام الجمحي، ولد في البصرة، لغوي كبير، وناقذ حسن الذوق، ت 232 هـ. له "طبقات الشعراء"
09	ينظر، أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية ص 38	- أبو عبيدة معمر بن المثنى، عالم في اللغة و الادب، واد في البصرة 209 هـ.
20	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 308	- أبو هلال، الحسن بن عبد ا ولد في عسكر، عالم في الأدب و النقد و البلاغة و الشعر واللغة ت 394 هـ. له "سر الصناعتين"
12 168	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 310	- أبو محمد عبد ا بن مسلم بن قتيبة الدينوري عالم، أديب شاعر، متعدد الجوانب (ت 276)، له "الشعر والشعراء" "عيون الأخبار"، "أدب الكاتب".
16 17 18	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 310	- أبو الفرج فدامة بن جعفر، كاتب وناقذ عالم في المنطق و الفلسفة و اللغة و الشعر، ت 337 هـ. له "نقد الشعر"
19	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص 311	- أبو عبد ا، محمد بن عمران الملقب بالمرزباني ولد ببغداد، كان علامة و راوية للأدب و الأخبار، ت 384 هـ. له "الموشح"

282 287 299	ينظر د. عمر الدفاق، مصادر التراث العربي، ص 312.	- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور لغوي و كاتب مشهور ، ت 711 هـ - له "لسان العرب".
130 224	ينظر ، أبو نواس، ديوانه ، دار بيروت ، للطباعة و النشر ، مج 1 (ب ط)، 1978 ص 5	- أبو الحسن بن هانئ الملقب بأبي نواس ولد في الأهواز من بلاد فارس ، أجاد شعر الخمریات (ت 129 هـ).
310 319	ينظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، تح ، محمد السيد الكيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (ب ط)، 1980، ج 1، ص 53	-إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام من أئمة المعتزلة ، ت 2341 هـ -

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن العظيم (رواية حفص عن عاصم)

المصادر والمراجع

إبراهيم أنيس

موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 3 ، 1965م

إبراهيم بن عبد الرحمان الغنيم

الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، الشركة العربية للنشر والتوزيع

المهندسين القاهرة

ابن الأثير ، عز الدين على بن محمد الجزري

الكامل في التاريخ ، بيروت (د ط) ، 1965 م ، ج 12

ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الباب

الحلبي ، مصر ، 1939م (د ط)

ابن القيم الجوزية شمس الدين

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د

ط) (د ت)

ابن المعتز ، عبد الله

كتاب البديع ، تح ، إغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت لبنان / ط3 1982م

ابن تيمية ، تقي الدين

كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوي ، جمع عبد الرحمن الحنبلي ، دار التقوى (د ط) (د ت)

ابن حجر العسقلاني

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة تح محمد سيد جاد الحق ، القاهرة 1966،

(ب ط ، ج3)

ابن خلدون ، أبوزيد عبد الرحمن

مقدمة ابن خلدون ، دار المعرفة، بيروت ، د ط ، 1986م

مقدمة ابن خلدون ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، (ب،ط) ، 2000م.

ابن رشيق القيرواني

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1963

ابن سلام الجمحي

طبقات فحول الشعراء ، تح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني القاهرة ، (د ط) ، (د ت)

ابن سيّدة المرسى ، أبو الحسن علي

المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تح مصطفى السقا ، وحسين نصار ، مكتبة ومطبعة

مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ، ط1 (د ت) ، مادة (س،ج،ع)، ج1

ابن عبد الله شعيب أحمد

بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية ، ابن خلدون للنشر والتوزيع ، الجزائر / (د ط)

ابن قتيبة الدينوري

تأويل مشكل القرآن ، تح ، السيد أحمد صقر ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة 1954 م

تفسير غريب القرآن ، تح ، السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ب ط

1978م

الشعر والشعراء ، تح ، محمد محمود شاكر ، القاهرة ، ط3 ، 1977 م

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين

لسان العرب ، مادة (سجع) تح عبد الرحمان محمد قاسم النجدي / دار صادر بيروت

1992 ، ط1

أبو الحسن الرماني

النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح ، د. محمد خلف الله

أحمد ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر ، ط3 ، 1976م

أبو الحسين الخياط

الإنتصار ، تح ، د تبيرج ، ط، دار الكتب العربية مصر ، 1925

أبو الطيب المتنبي

الديوان ، تح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت

أبو الفتح عثمان بن حني

الخصائص ، تح ، الشيخ محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط2

1952 ، ج2

المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تح ، محمد عبد القادر عطا ،

دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1998م ، ج2

أبو بكر جابر الجزائري

هذا الحبيب يا محب ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، ط1 2005م

أبو بكر هداية الله الحسيني

طبقات الشافعية ، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ، (تح) ، عادل نويهض ، ط2

1979

أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي

بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، محمد خلف الله ومحمد

زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ب ط د ت

أبو عبدة ، معمر بن المثنى

مجاز القرآن ، تح ، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،

2006م

أبو عمرو الداني

البيان في عد آي القرآن ط1 ، الكويت (ب ط) (د ت)

أبو محمد بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة ،

شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، ط1 ، 1402هـ ج3

أبو نواس ، أبو علي الحسن بن هاني

الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (د ط) 1406هـ/1986م

أبو هلال العسكري

ديوان المعاني ، دار الفكر العربي القاهرة ، (د ط) ، (د ت) ج1

الصناعتين الكتابة والشعر ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة

العصرية صيدا ، بيروت ، ط1 ، 2006م

أيمن عبد الرزاق الشوا

الإمام ابن القيم الجوزية وأراؤه النحوية ، دار البشائر الطباعة والبشر والتوزيع دمشق

ط1 ، 1995

إحسان عباس

تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1983 م

إنعام فوال عكاوي

المعجم المفصل في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2

1417هـ/1996م

أحمد بدوي طبانة

من بلاغة القرآن ، القاهرة ، (د ط) 1947

أحمد بن فارس

الصاحبي في فقه اللغة تح السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة

أحمد جمال العمري

مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، دار المعارف ، القاهرة (د ط) ،

(د ت)

أحمد محمد ويس

ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي ، بحث في المشاكلة والاختلاف ، منشورات وزارة

الثقافة ، دمشق ، (د ط) ، 2002م

أحمد مطلوب

الصورة في شعر الأخطل الصغير ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن ، (ب ط)

1985م

معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي

ط3/1403هـ، ج1 5

الأشعري ، أبو الحسن إسماعيل بن علي

مقالات الإسلاميين ، مكتبة النهضة المصرية ، (ب ط) (د ت) ، تح ، محمد محي الدين عبد

الحميد ، ج 1

الأصبهاني أبو الفرج

الأغاني ، ط ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، (د ط) (د ت) ، ج9

الباقلاني ، القاضي أبوبكر محمد بن الطيب

نكت الانتصار في نظم القرآن ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، (د ط) (د ت) ، ج1،

إعجاز القرآن ، (ش،ت) د.محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ،، بيروت ، ط1 ،

1411هـ / 1991

البحثري ، أبو عبادة الوليد

الديوان ، دار صادر ، بيروت ، مج 1

البخاري ، محمد بن إسماعيل

الجامع الصحيح ، ط استنبول ، (د ت) ، فضائل القرآن ، ج6

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر

البيان والتبيين ، تح حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، (د ط) ، 1932

الحيوان ، تح ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط1 ، (د ت) ، ج5

رسالة حج النبوة ، ضمن مجموعة رسائل الجاحظ للسندوبي .(ب ط) (د ت)

الحموي ،ابن حجة

خزانة الأدب وغاية الأرب ،شرح عصام شعيتو ،دار ةمكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان

1987،(د ط) ،ج2

الخطيب القزويني

الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق ،د/عبد المنعم خفاجي/ط3 1971م

الدسوقي ، محمد أحمد بن عرفة

حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ، دار السرور ،بيروت ،(د ت) ، (د ط) ج4

الراغب الأصفهاني

المفردات في غريب القرآن،مادة (فصل)، تح ،سيد كيلاني ، القاهرة ، 1961

الرافعي مصطفى صادق

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتابة العربي ، بيروت ، لبنان ،ط9، 1973

الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم

إعراب القرآن ،تج إبراهيم الأنباري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،(

د ط) ، 1964، ج2

الزركشي ، محمد بن عبد الله بن بهادر

البرهان في علوم القرآن ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ،

بيروت ، ب ط 2005 م

البرهان في علوم القرآن ، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001

البحر المحيط في أصول الفقه ، تح مجموعة من العلماء مطبوعات وزارة الأوقاف
الكويتية ط2، 1413هـ/1998م ج1

تصحيح العمدة ، تح ، د، مرزوق بن آل هياس آل مرزوق الزهراني ، ج1 ط1
المنثور في القواعد ، (تح) ، د.تيسير فائق أحمد محمود ، ج1، ط1، 1986
الزركلي ، خير الدين

الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط 5 1980 ، مج 6
الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، المطبعة العامرة
الشرقية (د .ت) ، ط1

السكاكي ، أبو يعقوب يوسف

مفتاح العلوم ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000م
السيوطي ، جلال الدين

الإتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت (د،ط)، (د ت)

معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح ، علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ،
الأردن ، 1973، (د ط)، ج1

العلوي ، يحيى بن حمزة

الطراز ، تج.د عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 2002 م

الفيروز آبادي

القاموس المحيط ، مادة " فصل، دار الجيل ، بيروت ، (ب ط) (د ت)

القاضي عبد الجبار

المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تج محمود الخصري ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي

ليبيا، (د ط) 1958م

القاضي عياض

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت

لبنان، ط1424، 1424/هـ 2003م ، ج1

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد

الكامل في اللغة والأدب ، تج ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت مج1

ص32 لبنان ، ط1 1999م ، مج1

أيمن عبد الرزاق الشوا

الإمام ابن القيم الجوزية وأراؤه النحوية ، دار البشائر الطباعة والبشر والتوزيع د مشق

ط1 ، 1995

بدوي طبانة

البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ،
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط6 ، 1976م

بشار بن برد

الديوان ، دار صادر بيروت ، ط1 ، 2000م

بكري شيخ أمين

البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، ج1 علم المعاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط7
2001م

التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط2 ، 1396هـ ، 1976م

بهاء الدين السيكي

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط2 ، 1343هـ ، ج1
جاكوب كورك

اللغة في الأدب الحديث -الحداثة والتجريب ، ترجمة ليون يوسف ، وعزيز عما نويل ، دار
المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، (د ط) 1989م

جرير بن عطية

الديوان ، دار صادر ، بيروت ، (ب ط) (د ت)

جوزيف ميشال شريم

دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، (د ط) 1984 م

حازم القرطاجني

منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح ، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي

بيروت ط2، 1981م

حسان بن ثابت

الديوان ، شرح ، د ، يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 م

حسيني عبد الجليل يوسف

أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1

2001م

حلمي مرزوق

النقد والدراسة الأدبية ، مكتبة نهضة القاهرة ، (د ط) ، 1959 م

حمادي صمود

التفكير البلاغي أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،

تونس ، (د ط) ، (د ت)

خليل بن أبيك الصفي

الغيث المسحوم في شرح لامية العجم ، دار الكتب العلمية ،، بيروت ، ط1 1975 م ، ج1

د يفن ج سيتوارت

السجع في القرآن ، تر ، د.إبراهيم عوض مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 1998

رابع بوحوش

اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري ، دار العلوم للنشر ، عناية ، (ب ط) ، (د ت)

رفيق خليل عطوي

صناعة الكتابة علم البيان ، علم المعاني ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1989

زهير ابن أبي سلمى

الديوان ، طبعة القاهرة ، (د ت) ، (د ط)

سيد نوفل

البلاغة العربية في دور نشأتها ، ط ، الهيئة العامة المصرية ، (د ط) (د ت)

شوقي ضيف

البلاغة تطور و تاريخ ، ط: دار المعارف ، القاهرة ، ط2 / (د ت)

صلاح رزق

أدبية النص ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1989م

عائشة بنت عبد الرحمان الشاطئ

التعبير في القرآن الكريم ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1966

عائشة حسين فريد

وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية ، دار قباء للطباعة والنشر

والتوزيع عبده غريب ، القاهرة ، (د ط) (د ت)

عادل نويهض

معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف
والترجمة والنشر ، لبنان ، ط3 1988

عباس محمود العقاد

الإسلام دعوة عالمية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1974م

عبد الحليم محمود

الرسول صلى الله عليه و سلم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1985

عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني

البلاغة العربية ، أسسها ، وعلومها ، وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 2007م

عبد العزيز الجرجاني

الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ،
منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، (د ط) (د ت)

عبد العزيز عتيق

في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت (د ت) (د ط)

عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى

خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1992م

عبد القادر حسين

أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، (د ط) ،

1998م

فن البديع ، دار الشروق ، بيروت ، (د ت) (د ط)

المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 2 ،

2000م

عبد القاهر الجرجاني

أسرار البلاغة ، تح مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1

2007م

دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

لبنان ، ط 1 ، 1422 هـ ، 2001م

عبد الكريم الخطيب

إعجاز القرآن ، الإعجاز في دراسات السابقين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1974م

عبد الواحد حسن الشيخ

دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر

والتوزيع الإسكندرية ، (د ط) ، 1986م

عبد العزيز قلقيلة

البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي ، القاهرة

عمر السلامي

الإعجاز الفني في القرآن ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ،

1980م

عنتر بن شداد العبسي

الديوان ، تقديم وشرح وتعليق ، د ، محمد حمود ، دار الفكر اللبناني ، ط1 ، 1996م

عيسى علي العاكوب

التفكير النقدي عند العرب / دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط1 ، 1417هـ ، 1997م

عيسى علي العاكوب ، أ.علي سعد الشتيوي

الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني ، البيان ، البديع) ، الهيئة العامة لمكتبة

الإسكندرية (د ط) ، 1993م

فخر الدين بن عمر الرازي

التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، ط1 ، 1411هـ

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تح ، دبكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

ط1 1405هـ

فضل حسن عباس

البلاغة المفترى عليها بين الأصالة و التبعية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان الأردن

ط2 ، 1999م

قد امة بن جعفر

نقد الشعر ، شرح محمد عيسى فنون ، المطبعة الميمنية القاهرة ، (د ط) 1936م
نقد النثر ، تقديم طه حسين ، عبد الحميد العبادي ، ط ، دار الكتب المصرية (د ت) ،
(د ط)

مازن المبارك

الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، دمشق ، ط 6 ، 2006م

متولي الشعراوي

القضاء والقدر ، دار الشهاب ، باتنة ، (د ط) (د ت)

معجزة القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ج 1 ، (د ط) (د ت)

محمد الصديق المنشاوي

الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة

محمد العمري

البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان (د ط) ، 1929 م

محمد الغزالي

عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باتنة ، الجزائر

(د ت) ، (د ط)

محمد بركات حمدي أبو علي

البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، دار البشير للنشر والتوزيع عمان ، الأردن ،

(د ط) ، (د ت)

البلاغة عرض وتوجيه و تفسير ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ، ط1 ،

1983 م

فصول في البلاغة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1983 م

البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، دار وائل للنشر ، الأردن ، ط1

2003 م

محمد سعيد رمضان البوطي

من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ، مؤسسة الرسالة ،بيروت

ط3 ، 1996م

محمد علي الصابوني

التبيان في علوم القرآن دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط3 ، 1407هـ ، 1986م

صفوة التفاسير ، شركة الشهاب الجزائر ، ط5 ، 1411هـ ، 1990 م

مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج

صحيح مسلم ، تح :محمد فؤاد عبد الباقي ،دار أحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ، ج1

ج3 ط5 ، 1199 م

مصطفى الصاوي الجويني

منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ،دار المعارف ، مصر (د ط) ، 1959م

مصطفى مسلم

مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1416، 2هـ، 1996م

ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة

مؤلفات العلامة الزركشي الشافعي ، دار الفلاح مصر (د ت) (د ط)

واجدة مجيد الأطراحي

التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية ، (د ط) ، 1978م

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات	
	التصدير
	الإهداء
	شكرو وتقدير
	مقدمة البحث
	تمهيد
02	البلاغة قبل الزركشي
02	- البلاغة والنقد قبل نزول القرآن
06	- أثر القرآن في البلاغة
08	- النقد والبلاغة
10	من جهود العلماء في تطور النقد والبلاغة
10	- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ)
11	- الجاحظ : (ت 255 هـ)
13	- المبرد (ت 285 هـ)
15	- ابن المعتز (ت 296 هـ)
17	- قدامة بن جعفر (ت 337 هـ)
18	- القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366 هـ)
20	- أبو الحسن الرماني (ت 384 هـ)
21	- أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)
22	- عبد القاهر الجرجاني (ت 471 أو 474 هـ)
23	- الزمخشري (ت 538 هـ)
24	- السكاكي (ت 626 هـ)
26	- الخطيب القزويني (ت 739 هـ)
31	خلاصة

	الفصل الأول
33	الزركشي وكتابة البرهان في علوم القرآن
33	2 - عصر الإمام الزركشي
34	- الحالة السياسية
35	- الحالة الاجتماعية
36	- الحالة العلمية
37	- علاقة الزركشي بهذه الأحداث
38	3 - التعريف بالزركشي
38	- اسمه ونسبه
38	- ولادته ونشأته
39	- رحلاته في طلاب العلم
40	- ثقافته
41	- مكانته العلمية
43	- ألقابه العلمية ومناصبه
44	- عقيدته وصفاته
46	- شيوخه
47	- تلاميذه
48	- وفاة الزركشي
49	- تصانيفه
53	- من أقوال العلماء فيه
54	4 - كتاب البرهان في علوم القرآن
54	- التعريف بالبرهان
55	- موضوع الكتاب
56	- منهج الكتاب وأسلوبه
58	- مضمون الكتاب
78	- الغاية من تأليفه
80	خلاصة القول
	الفصل الثاني
82	مباحث علم المعاني عند الزركشي
82	المبحث الأول : من أقسام معنى الكلام
82	الخبر

83	أغراضه البلاغية
84	الإنشاء
84	التمني
85	النداء
86	الاستخبار (الاستفهام)
87	أقسام الاستفهام
88	ت - الاستفهام بمعنى الخبر
88	- استفهام الإنكار
89	- استفهام التقرير
91	ث - الاستفهام بمعنى الإنشاء
95	- الأمر
97	المبحث الثاني: التقديم والتأخير
97	- توطئة
98	- أسبابه
100	- أنواعه
112	- خلاصة
113	المبحث الثالث : أسلوب الحذف
113	- توطئة.
114	- الحذف عند الزركشي
114	- ماهيته
116	- فوائده
116	- أسبابه
118	- أدلته
119	- شروطه
137	- أقسامه
	الفصل الثالث
139	مباحث علم البيان عند الزركشي
140	المبحث الأول : التشبيه :
158	المبحث الثاني : المجاز في القرآن
179	المبحث الثالث : الاستعارة
202	المبحث الرابع : الكناية والتعريض في القرآن
204	الفصل الرابع

204	مباحث علم البديع عند الزركشي
205	المبحث الأول : المحسنات المعنوية
205	- التورية
206	- التورية عند الزركشي
207	- الغاية من استخدام التورية
207	- الفرق بين الاستخدام و التورية
208	- جماليات الاستخدام
209	- التجريد
211	- الطباق
216	- المقابلة
219	- إجماع الخصم بالحجة.
220	- التقسيم
223	- التعديد
224	- المبالغة
229	- الاعتراض
231	- الاحتراس
233	- التذليل
233	- التتميم
234	- المدرج
235	- الاستطراد
237	- الإلغاز
239	- الالتفات
	المبحث الثاني : المحسنات اللفظية
252	- التجنيس (الجناس)
257	- رد العجز على المصدر
259	- خلاصة
	الفصل الخامس
261	فضية الأسجاع والفواصل في القرآن
261	المبحث الأول : السجع في القرآن
261	- ماهية السجع
263	- أضرب السجع ومراتبه
267	- السجع بين الرفض والإثبات
269	- من حجج المانعين

269	- من حجج المجيزين
270	- رأي الزركشي في قضية السجع في القرآن
272	- من جماليات السجع
274	خلاصة
275	المبحث الثاني : الفاصلة في القرآن
275	- ماهية الفاصلة
277	- إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل
283	- أقسام الفاصلة
284	- طريق معرفة الفاصلة
285	- مبنى الفواصل على الوقف
286	اكتلاف الفواصل مع مضمون الآيات
287	أ - التمكين
290	ب - التصدير
291	ت - التوشيح
292	ث - الإيغال
294	- من فوائد الفاصلة القرآنية
295	- الجديد عند الزركشي في مبحث الفواصل
296	- جماليات الفاصلة القرآنية
297	خلاصة
	الفصل السادس:
299	قضية الإعجاز وسمات التفكير البلاغي عند الزركشي
299	المبحث الأول : ماهية الإعجاز
299	توطئة
300	- المعجزة لغة
301	- المعجزة اصطلاحاً
302	- الإعجاز لغة واصطلاحاً
303	- أنواع المعجزات
306	- شروط المعجزة
306	- التحدي والمعارضة.
310	المبحث الثاني: من آراء السابقين في الإعجاز ووجوده

311	- النظام : (ت 220 هـ -)
313	- الجاحظ : (ت 255 هـ -)
316	- الرمانى : (ت 382 هـ -)
318	- الخطابى : (ت 388 هـ -)
320	- الباقلانى : (ت 403 هـ -)
324	- الجرجانى : (ت 471 هـ أو 474 هـ -)
327	- الزمخشري : (ت 538 هـ -)
328	- السكاكى : (ت 626 أو 627 هـ -)
330	المبحث الثالث : رأي الزركشى في الإعجاز (ت 794 هـ -)
337	- البلاغة وعلاقتها بالإعجاز.
338	- الغاية من الإعجاز .
339	- عالمية الرسالة المحمدية وخصائصها .
341	خلاصة.
341	المبحث الرابع : سمات التفكير البلاغى عند الزركشى
342	- الموسوعية
343	- العمق والشمولية
344	- الذوق الأدبى والفنى
345	- النقد
351	- الموضوعية
352	- الأمانة العلمية
354	- المصطلح البلاغى وسيلة لإبراز جماليات القرآن
356	خلاصة
363-358	الخاتمة
	الفهارس العامة
365	- فهرس الآيات القرآنية
386	- فهرس لأهم الأعلام
406-388	قائمة المصادر والمراجع
-408	فهرس الموضوعات
413	